

٢١٨

غ ٠ م

غرر اللطائف مختصر عوارف المعارف للسهروردى ،
تأليف محب الدين الطبرى، احمد بن عبد الله -٦٩٤هـ
كتب ٨٧٤ هـ .

٣٢٠

١٧٣ ق ١٩ س ١٨x١٣ سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد .

الأعلام ١: ١٥٣، كشف الظنون ٢: ١٧٨

١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- مختصر عوارف المعارف .

ترجمة شهاب الدين السهروردي رحمه الله

الشيخ شهاب الدين السهروردي وهو استاذ زمانه وفريد اوانه
وانه مطلع الانوار ومنبع الاسرار دليل الطريقة وترجمان الحقيقة
استاذ الشيوخ الاكابر الجامع بين علمي الباطن والظاهر
قدوة العارفين وعمدة السالكين العالم الرباني من اولاد
ابي بكر الصديق وهو في التصوف كان منتسبا بعمه الشيخ ابي النجيب
السهروردي وكان في صحبة الشيخ عبد القادر الكيلاني وكان
مدة ببعض الابدال في جزيرة عبادان ولاقى الخضر عليه السلام
وله تصانيف مثل عوارف المعارف ورشح النصايح واعلام الهدى
وعقيدة ارباب التقى وصنف العوارف في مكة المكرمة وارباب الطريقة
من البلاد البعيدة استفتوا منه وبعضهم كتب اليه يا سيدي ان
تركت العمل أخلدت الى البطالة وان عملت داخلني العجب فكتب في
جوابه اعمل واستغفر الله من العجب قالوا سئل عن الشيخ سعد الدين
الحموي كيف وجدت الشيخ شهاب الدين السهروردي اجاب بان
نور متابعة النبي عليه السلام في جبين السهروردي ولادته في رجب سنة
تسع وثلثين وخمسمائة ووفاته سنة اثنتين وثلثين وستمائة فكان عمره
ثلث وتسعين سنه   من نفحات مولانا جامي

كتاب غرر اللطايف • مختصر عوارف المعارف السهروردي •
اختصار الشيخ الامام العلامة الحافظ عالم الحجاز الشريف •
وشيخ الحرم الشريف المكي ابو جعفر محب الدين •
احمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن ابرهيم •
الطبري الشافعي رحمه الله تعالى ونفع به •

وقف ... بعد محمد والد ...

لسيدي الشيخ الاوحد القدوة المذكر بالله تعالى جمال الدين محمد
ابن العلامه • الاوحد الفهامه شمس الدين محمد ... متعنا الله بحياته
هادنا طريقه سيخنا العلامه الاوحد • القدوة المعتقد • المنفرد في طريقته
جميع من في الآفاق • الامام المهاجر محمد بن علي بن عراق • نفعنا الله به وبعلومه

الي ابن عراق يرحل اللبيب • وعن دنياه بالذكر يغيب •
طريقه الشرعه من تحاها • نجا والله لا يابى يخيب •
اتا والدك في عمه اصطلح • فمنا من اجاب ولا يعيب •
يغيث الحق فهو اذ اكفور • وللمولى تخلفه اتيبوا •
عليها ان سلكوا تلجوا طريق الشرع • واسمعوا وله اجيبوا •
فتقوى الله عهدكم وعقد • وفعلا سواه فيها تخيبوا •
اذا طولبتم بالعهد يوما • به الولدان للاله والى تشيبوا •
فذا ما القول على ودا د • ومنها ما استطعت بحي تصيب •
صلاة الله اول كل امر • واخرا ونسلم بطيب •
على المحمود احمد كل خلق • ومن ذكراه تاتيه القلوب •

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
الحمد لله منور قلوب اوليائه بنور معرفته، وفاتق رتقها بوبل هطل
رحمته، ومحللها حلال عظيم خشيته، ومحليها حلى جميل منته، وجاعلها
مضغة اذا صلحت صلح من العبد جميع جثته، فاودعها لطايف المعاني من
بديع حكمته، وشرفها بالفهم والعلم والايقان لاحكام شريعته، **واشهد**
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ارجو بها تمام نعمته، وادفع
بها محذور نقمته، **واشهد** ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي شرف
الاكوان بكريم بعثته، صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وعترته،
اما **بعد** فهذا مختصر جامع لغرر اللطايف، منتخب من كتاب عوارف
المعارف، للامام القدوة تاج العارفين، علم العلماء العاملين شهاب الدين
السهروردي قدس الله روحه، ونور ضريحه، اختصرت غرر مطالبه، تقريبا
لطالبه، وانتخبت درر مقاصده تيسيرا للقاصد، والله اسال ان ينفعني به
وطالبيه، ويجعله مما لا ينقطع العمل منه ولا يخيب الرجا فيه بمنه وطوله وقوته
وحوله، والكتاب يشتمل على ثلاثة وستين بابا **الباب الاول** في منشا
علوم الصوفية **الباب الثاني** في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع **الباب
الثالث** في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة الى الفتوح فيها **الباب الرابع**
في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم **الباب الخامس** في ذكر ماهية التصوف
الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم **الباب السابع** في ذكر المتصوف
والمتشبه **الباب الثامن** في ذكر الملامتي وشرح حاله **الباب التاسع** في

ذكر المتصوف

ذكر المتصوف والمتشبه **الباب العاشر** في ذكر رتبة المشيخة **الباب
الحادي عشر** في شرح حال الخادم ومن يتشبه به **الباب الثاني عشر** في شرح
خرقة المشايخ **الباب الثالث عشر** في فضيلة سكان الربط **الباب
الرابع عشر** في مشابهة اهل الربط اهل الصفة **الباب الخامس عشر** في خصايص
اهل الربط فيما يتعاهدونه بينهم **الباب السادس عشر** في اختلاف احوال المشايخ
في السفر والمقام **الباب السابع عشر** فيما يحتاج اليه المسافر من الفضايل **الباب
الثامن عشر** في القدوم من السفر ودخول الربط والادب فيه **الباب التاسع
عشر** في حال الصوفي المتسبب **الباب العشرون** في حال من ياكل من الفتوح
الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجرد والمتاهل **الباب الثاني
والعشرون** في القول في السماع قبولا وايثارا **الباب الثالث والعشرون** في
القول في السماع ردا وانكارا **الباب الرابع والعشرون** في القول في السماع
ترفعا واستغنا **الباب الخامس والعشرون** في القول في السماع تادبا واعتنا
الباب السادس والعشرون في خاصية الاربعينية التي يتعاهدها الصوفية
الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الاربعينية **الباب الثامن والعشرون**
في كيفية الدخول في الاربعينية **الباب التاسع والعشرون** في ذكر اخلاق
الصوفية وشرح الخلق **الباب الثلاثون** في ذكر تفاصيل الاخلاق **الباب
الحادي والثلاثون** في الادب ومكانه من الشرف **الباب الثاني والثلاثون**
في ادب الحضرة لاهل القرب **الباب الثالث والثلاثون** في اداب الطهارة ومقدماتها
الباب الرابع والثلاثون في اداب الوضو واسراره **الباب الخامس والثلاثون**



والستون

منشأ علوم الصوفية

الباب الاول في ذكر منشأ علوم الصوفيه

عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثلي ومثل ما بعثني
الله عز وجل به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا
النذير العريان فالنجا فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت
به من الحق. وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله عز وجل به من
الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت طائفة منها طيبة
قبلت الماء وانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت طائفة منها اخاذات
امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب طائفة
منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه
في دين الله عز وجل ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك
رأسا ولم يقبل هدى الله عز وجل الذي ارسلت به فمن القلوب ما هو بمثابة الارض
الطيبة التي انبتت العشب والكلأ وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه
واهتدى به ومنها ما هو بمثابة الاخاذات وهي الغدران جمع اخاذة وهو
المصنع او الغدير تجتمع فيه الماء وهذا مثل من انتفع به من العلماء في فنون
العلم على يقينه وسوعد ويوضح قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال العلم والاودية القلوب

قال ابن عطا فاذا اسال السيل في الاودية لا يبقى فيها خاشة الا كنستها
وذهبت بها وهذا مشروط بالزهد في الدنيا والتمسك بالتقوى اما من كان
في قلبه لوث من محبة الدنيا من حصول الجاه والمال وطلب المناصب والرفعة
فسال وادي قلبه بقدره واخذ من العلم طرفا ولم يحط بالزهد والتقوى
لم يحصل ذلك الخير له ولا يتسع وادي قلبه للعلوم اتساعه للزاهد
التقي ولهذا قال الحسن وقد قيل له هكذا قال الفقها قال هل رايت فقيها
قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفي اخذ حظا من علم الكتاب بافادة
العمل به فلما عمل بعلمه افاده العلم علم الوراثة ومنه الحديث المشهور من عمل
بما يعلم اورثه الله علم ما لم يعلم فشاركوا العلما وتميزوا بعلم الوراثة وهو
الفقه في الدين المشار اليه في قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فصار الانذار مستفاد
من الفقه في الدين وهو مرتبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام، عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشي
افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد
ولكل شي عماد وعماد هذا الدين الفقه، وعن معوية رضي الله عنه قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال افضل العبادة الفقه في الدين والله سبحانه
وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا
علموا وعملوا به اكسبه ذلك معرفة ونورا يستضي به ونفعها في دين الله تعالى

فالصوفي

فالصوفي استفاد بعلم الوراثة احكام اساس التقوى فلما تزكت نفسه وانجلا
قلبه بصقال التقوى بانت له الدنيا بقبحها فرفضها وظهرت له الاخرة بحسنها
فطلبها فلما زهد في الدنيا انصب الى قلبه اقسام العلوم انصبابا وانضاف الى
علم الدراسة علم الوراثة والمعنى بالصوفي الغريب وانه لم يستقر كل مغرب صوفي
لانه لم يعرف لعدم تربيته بينهم ولا مشاحة في اللفظ، فائدة قيل لما
خاطب الله تعالى السموات والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
نطق من الارض واجاب موضع الكعبة ومن السما ما يحاذيها، وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال
بعض العلما فيما بدا بانها التي اجابت من الارض ومن موضع الكعبة دحيت
الارض فصار صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الماء والطين وفي رواية
بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وطينته ام الخليقة
وقد قيل ان تربة الانسان مدفنه فيقال ان الما لما تموج رمى بتلك الطينة
الى ذلك الموضع من المدينة، فائدة اخرى، قوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية جاء في الحديث ان الله تعالى مسح ظهر ادم
فاخرج ذريته منه كهيئة الذر واستخرجهم من مسام شعره فخرجوا كخروج
العرق وكان ذلك ببطن نعمان واد بين مكة والطايف فلما خاطبهم واجابوا
ببلى كتب العهد في رق ابيض واشهد عليه الملائكة والقمه الحجر الاسود،
فائدة اخرى قيل لما بعث الله جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام

الى الارض ليقبضا منه قبضة فابت حتى بعث اليها عزرايل عليه السلام
فقبض قبضة منها فكان ابليس قد وطى الارض بقدميه وصار بعض
الارض بين قدميه فخلقت النفس مما مس قدميه فصارت ماوى الشر
وبعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك التربة اصل الانبياء والاولياء وكانت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خلق منها موضع نظر الله تعالى من
قبضة عزرايل لم تمسها اقدام ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل وفر حظه من
العلم فبعث به بالهدى وانتقل من نوره الى القلوب فوقعت المناسبة
في اصل طهارة الطينة ووقع التاليف بالتعارف الاول فكل من كان
اقرب مناسبة في طهارة طينته كان اوفر حظا في قبول ما جاء به

الباب الثاني في حسن الاستماع

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله
امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من هو افقه منه
ورب حامل فقه غير فقيه قال ناس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قال بعضهم لو علمهم اهلا للاستماع لفتح اذانهم
للاستماع وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد قال الشبلي موعظة القران لمن كان قلبه حاضرا مع الله تعالى
لا يغفل عنه طرفة عين وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب قد حشي
باشتغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الطاعة لم يدر ما يصنع من شغل
قلبه بالدنيا وقلب قد حشي باحوال الاخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا

والعلم

في حسن الاستماع

لم يدر ما يصنع لذهاب همه في الاخرة وقال الحسين لمن كان له قلب لا يعرض
فيه الا شهود الرب وقال ابن عطا هو القلب الذي يلاحظ الحق ويشاهده
ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيستمع به ويشهد به بل يشهده فاذا
لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين الجمال هدا
واستمع وقد مثل بعض الحكما ايضا الناس في الاستماع فقال ان
البادر خرج ببذره فوقع منه شي على ظهر الطريق فلم يلبث ان انحط عليه الطير
فخطفه ووقع منه شي على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه شي من تراب
وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم تجد مساغا ينفذ فيه
فيبس ووقع منه شي في ارض طيبة فيها شوك فلما نبت ثم ارتفع
على جنبه الشوك فافسده واختلط به ووقع منه شي على ارض طيبة
ليست على ظهر طريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونمى وصلح
فمثل البادر كمثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على
ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد ان يسمعه فلم يلبث الشيطان
ان يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل
يستمع الى الكلام ويستحسنه ثم تفضي الكلمة الى قلب ليس فيه عزم على
العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في ارض طيبة فيها شوك مثل
الرجل يستمع الكلام وهو ينوي ان يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات
ثبطته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى من عمله لغلبة الشهوة كالزرع
يختنق بالشوك ومثل الذي وقع في ارض طيبة مثل المستمع الناوي للعمل

فيفهم ويعمل ويجانب هواه فان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار وحلاوة الحب للحضرة الالهية وهو تعلق
الروح بالحضرة الالهية كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما لانها
متاصلة في الروح فرعها عند الله وعروقها ضاربة في ارض النفس فاذا
سمع الكلمة من القران او من كلام النبوة فيتشرب القلب والروح
وانتعش كانه يقول شعر

انتم منكم نشيا لست اعرفه ... اظن لما جرت فيكم ارادتنا

فتعم الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا
فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل فكانه يقول شعر

ان تاملتكم فكلي عيون ... او تذكرتكم فكلي قلوب

او كما قيل

اذا ما تجلى لي فكلي نواظر ... وان هو ناجاني فكلي مسامع
حرام على قلب يلذ بغيره ... كما حرمت يوما لموسى المراضع

قال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك
الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب اللب العقل وهو ما به جزء
يسمعه ويسمعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في ساير المومنين وذلك
الجزء احدى وعشرون جزءا فجزء فتشارك المومنون كلهم فيه وهو شهادة ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرون جزءا
يتفاضلون فيها على مقدار حقايق ايمانهم قال الله تعالى استجيبوا لله

وانها الدرس المنواع

وللرسول

اذا دعاكم لما يحييكم

وللرسول الاية قال ابن عطا الاستجابة على اربعة اوجه اجابة التوحيد
ثم اجابة التحقيق ثم اجابة التسليم ثم اجابة التقريب فالاستجابة على
قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام
والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه
الكلام لا تنحصر قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية
فلكل كلمة في القران كلماته التي تنفد البحر دون نفادها فلكل كلمات كلمة
نظرا الى ذات التوحيد ولكل كلمة كلمات نظرا الى سعة العلم الازلي ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ما نزل من القران اية الا لها ظهر وبطن ولكل
حرف حد ولكل حد مطلع فقيل الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر
ظاهره الذي يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل والمطلع المصعد يصعد
اليه من معرفة عليه فيكون المطلع الفهم يفتح الله على كل قلب بما يرزق
من النور والحد في قوله لكل حرف حد اي في التلاوة لا تجاوز المصحف الذي
هو الامام وفي التفسير لا تجاوز المنقول ثم فرق بين التفسير والتاويل
فالتفسير علم نزول الاية وشانها وقصتها وهذا يجب الوقوف فيه على ما
يسمع واما التاويل فصرف الاية الى معنى تحتمله موافق للكتاب والسنة
ويختلف ذلك باختلاف صفا الفهم ورتبة المعرفة والقرب من الله تعالى
فللصوفية بكمال الزهد وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل اية
ولهم بكل مرة في القران مطلع جديد وفهم عتيد ولهم بكل فهم عمل جديد ففهمهم
يدعو الى العمل وعملهم يجلب صفا الفهم ويدني النظر في معاني الخطاب

فى الفهم علم ومن العلم علم فى العلم والعمل يتفاوتان والمراد بمحل القلوب اذهى
الطف ما وصفنا انها مشاكلة للعلوم لانها نبات وطوبات وتملق رحالى
وادب قلبى وكلما اتوا بعمل من هذه الا كمال دفع لهم علما من العلم واطلعوا
على ما يطلع من نحبهم الا بمحدبة وقال سفين بن عيينه رضى الله عنه اول
العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم
حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال
المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر
الى المتكلم والوعى قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به
وهذا تعليم من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حسن الاستماع
لمن اراد فهم شى من كتاب او سنة او مطالعة كتاب علم فلا يبادر اليه الا
بعد التثبت والانابة والرجوع الى الله تعالى وطلب التائيد من جهته فانه
قد يرزق بالمطالعة ما يكون مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان
حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله تعالى
زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن
هو الفهم وقد نبه الله تعالى على شرف الفهم بقوله تعالى ففهمناها سليمن
وكلا اتيناه حكما وعلما اشار الى الفهم بمزيد اختصاص على الحكم والعلم

الباب الثالث فى بيان علوم الصوفيه

علوم الصوفيه

عن الاحوص بن حكيم عن ابيه رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم

ان شر

ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء وقال سفين بن عيينه
اجهل الناس من ترك العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وافضل الناس
اخشعهم لله تعالى قال الشيخ شهاب الدين وهذا صحيح غير ان العلم فى
الاسلام لا تضيع اهله ويرجا عود بركة العلم على العالم والعلم فريضة
وفضيلة فالفريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين
والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكتسبه فضيلة فى النفس بموافقة الكتاب
والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة ولا هو مستفاد منهما ولا مستند
اليهما فهو رذيلة ليس بفضيلة يزداد به هوانا ورذالة فى الدنيا والاخرة
فالعلم الذى هو فريضة لا يسع جهله قال صلى الله عليه وسلم طلب
العلم فريضة على كل مسلم واختلف العلماء فيه فقيل علم الاخلاص ومعرفة
افات النفوس وما يفسد الاعمال قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين فيتوجه الى الامر بينهما وما لا يتوصل الى الغرض الا به
فهو فرض وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها لانها اصل الفعل ومنشاه بذلك
يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل الا بصحتها وقيل
علم الوقت وقال سهل علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى
فى دنياه واخرته وقيل طلب الحلال حيث كان اذ اكل الحلال فريضة وقد ورد
طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة وقيل علم الباطن وما
يزداد به العبد يقينا وهو العلم الذى يكتسب بالصحبة ومع الشيوخ الصالحين
والعلماء الموقنين وقيل هو علم البيع والشرا والنكاح والطلاق اذا اراد

الدخول في شي من ذلك وجب عليه طلب علمه وقد جعل علم التوحيد فمن قايل
يقول طريقة النظر والاستدلال وقايل يقول طريقة النقل قال ابو طالب
المكي هو علم الفرايض الخمس اذ عملها فرض فيكون العلم بالعمل بها فرضا
وذكر ان علم التوحيد داخل في ذلك اذ اجلها الشهادتان وعلم الاخلاص
اذ من ضرورتها الاسلام والاخلاص شرط في صحته واكثر ما يقال كعلم
الخواطر والحال والحلال واليقين قد خلا عنه اكثر الخلق ولو فرض عليهم
لعجزوا الا من شاء الله قال الشيخ والمختار قول ابي طالب وقول من
قال العلم بما تدعو الحاجة اليه من بيع ونحوه واعلم ان مشايخ الصوفية
وعلماء الاخرة شمروا عن ساق الجد في العلم المفترض حتى عرفوا انهم استقاموا
في ذلك متابعين سنة نبيهم حيث امره الله تعالى بالاستقامة بقوله
فاستقم كما امرت ومن تاب معك فتح الله عليهم ابواب العلوم قيل
لابي حفص اي الاعمال افضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال استقيموا ولن تحصوا ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال يا رسول الله روي عنك انك قلت شيبتني سورة هود
فقلت وما الذي شيبك منها قصص الانبيا وهلاك الامم فقال صلى الله
عليه وسلم لا ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت فكانه صلى الله عليه وسلم
بعد مقامات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب فعلماء الاخرة منحوا
من ذلك قسطا ونصيبا قال ابو علي الجوزجاني كن طالبا للاستقامة
لا طالبا للكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالب

منك الاستقامة وهذا صحيح فان كثيرا من السالكين لما سمعوا بسير الصالحين
وما منحوا به من الكرامات وخرق العادات تطلعوا الى ان يرزقوا شيا منها
ولعل بعضهم يبقى منكسر النفس متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف
له شيا من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الامر فانه قد يفتح لبعض
السالكين في ذلك والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خرق العادة يقينه
وعزمه على الزهد في الدنيا وقد يفتح لبعض العباد بذلك من غير مكاشفة
شي من خرق العادة فيستغني عنها اذ المراد ما حصل فلو كشف الغطا
ما ازداد يقينا حيث كان يقينه بغير واسطة فسبيل الصادق مطالبة
النفس بالاستقامة فهي غاية الكرامة ثم ان وقع له شي من ذلك فحسن
وان لم يقع فلا يبالي اذ لا نقص بذلك انما النقص بترك الاستقامة وهذا
اصل كبير ينبغي للطالب ان يعتني به ومن ادل دليل على شرف علم الباطن
ان علم الظاهر لا يتعذر حصوله مع محبة الدنيا بل ربما كانت عونا على حصوله
لان النفوس جبلت على حب الجاه والرفعة فاذا استشعرت حصول ذلك
بحصوله اجابت الى حمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر
الملاذ وعلم الباطن لا يحصل مع محبة الدنيا ولا ينكشف الا بمجانبة الهوى
ولا يدرس الا في مدرسة التقوى قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله
فجعل العلم نتيجة التقوى وما احسن قول بعض الفقهاء وقد سئل عن من
اوصى بماله لاعقل الناس قال يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق روي
عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم قال دخلت على ابي عبد الرحمن حاتم

الاصم الرى ومعه ثلثمايه وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الصوف ليس
معهم طعام فدخلنا الى الرى على رجل من التجار متنسك يحب الصالحين
فاضافنا تلك الليلة فلما اصبح قال لحاتم الك حاجة فانى اريد ان اعود
فقيها لنا عليلا فقال حاتم عياده الفقيه لنا فضل وكان الفقيه محمد
ابن مقاتل قاضى الرى فقالوا جميعا حتى جاوا الباب فاذا باب مشرف حسن
فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم استاذنوا ودخلوا فاذا
فى الدار هيئة حسنة وستور وجمع فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس
الذى هو فيه فاذا فرش وطيه وعند راسه غلام بيده مذبة فقعد
الرازى فسائله وحاتم قائم فاوما اليه ابن مقاتل ان اقعد فقال لا اقعد
فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وما هى قال مسالة اسال عنها
قال سل قال فقم فاستو جالسا فامر غلمانه فاسندوه فقال له حاتم
علمك هذا من اين جئت به قال الثقات حدثونى به قال عمن قال عن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم
من اين جاء به قال عن جبريل عليه السلام قال وعن من اداه جبريل قال عن
الله تعالى قال ففيما اداه جبريل عن الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم
ثم اداه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واصحابه الى الثقات ثم الثقات
اليك هل سمعت فى العلم من كان داره على مثل هذا كانت له المنزلة عند
الله تعالى اكثر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد فى الدنيا ورغب فى
الاخره واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله تعالى المنزلة اكبر

قال حاتم

قال حاتم وانت بمن اقتديت بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحين
ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل
المتكالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على مثل هذه الحال لا اكون انا شرا منه
وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وقيل لحاتم يا ابا عبد الرحمن بقزوين
من هو على اكثر من هذا قال فسار اليه الى الطنافسى قال فتسار اليه ودخل عليه
وقال رحمك الله انا رجل اعجمى احب ان تعلمنى كيف اتوضا للصلاه قال نعم فالى
بماء فجى انا بماء فتوضا حاتم ثلاثا ثلاثا حتى اذا بلغ غسل الذراعين غسل اربعا
فقال له الطنافسى يا هذا اسرفت فقال له حاتم يا سبحان الله اسرفت فى
كف ماء وانت فى هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسى انه اراد بذلك ولم
يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم
بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمى ليس
يكلمك احد الا قطعته قال معى ثلاث خصال اظهر بها على خصمى افرح اذا اصاب
خصمى واحزن اذا اخطا واحفظ نفسى ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل
فجاء اليه وقال سبحان الله ما اعقله فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما
السلامه من الدنيا قال حاتم يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك
اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيك وتكون
من شيهم ايسا فاذا كان هذا اسلمت ثم سار الى المدينه قال ابو يزيد
يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصبح اجتهد ان اقول لا اله الا الله فما قدرت
قيل ولم قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى جائتنى وحشة تلك الكلمة منعتنى عن ذلك

وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد روي في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان
ربما يسبقكم بالعلم فقلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب
العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا والعمل مسوفا حتى يموت وما عمل
قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية
وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبا بذي علم ورواية انما يعبا بذي فهم ودراية
فعلوم الوراثة مستخرجة من علوم الدراية ومثال علم الدراية اللبن الخالص
السائغ للشاربين وعلم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم
يكن زبد لكن الزبد هو الدهنية المطلوبة منه والمائية في اللبن جسم قوام به
روح الدهنية والمائية بها القوام وجعلنا من الماء كل شيء حي ومثل هذا علم
اليقين وعين اليقين وحق اليقين وهذه علوم الايمان وهي علوم القلوب
وعلوم الاسلام علوم اللسان لكن لعلوم القلوب وصف عام وهو علم
اليقين يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علوم الدنيا والاخرة
ووصف خاص يختص به علماء الاخرة وهي السكينة التي انزلت في قلوب
المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم والمشاهدة وصف خاص في اليقين
وهي عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين
اذا فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الاخرة وفي الدنيا
منه لمح يسير لاهله وهو من اعز اقسام العلم بالله لانه وجدان يصار علم
الصوفية وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين طغوا بعلمه

اليقين

اليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الدراية والوراثة
فعلمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذي هو الاساس وعلم الصوفية
بالله تعالى وهو عين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج منه وفضيلة الانسان
بفضيلة علمه والى هذا العلم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضلي على امتي لا الى علم البيع والشرا والطلاق والعتاق
وقد يكون العبد عالما بالله ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات
وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بالله من علماء التابعين
وكان في علماء التابعين من هو اقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم
وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما كان اذا سئل عن شي يقول سلوا سعيد المسيب
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول سلوا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لو نزل
اهل البصرة على فتياه لوسعتهم وكان انس بن مالك رضي الله عنه يقول
سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون اليهم في علم
الاحكام ويعلمونهم حقائق اليقين لانهم صادفوا طراوة الوحي المنزل قال
تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى قل
هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فمن كانت نفسه ظاهرة
على قلبه دعاه بالموعظة وهي الدعوة بذكر الجنة والنار ومن كان قلبه ظاهرا
على نفسه دعاه بالحكمة وهي الدعوة بتلويح نفح القرب وصفو المعرفة
قال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعني لو
كان يتبعه امان من النار حمله صرف المعرفة تعظيم امر الله تعالى على القيام

بواجب حق العبوديه اذ لا يعرفون من حق عظمة الربوبيه جاء رجل الى معاذ
رضي الله عنه فقال له اخبرني عن رجل مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب
الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ رضي الله عنه ليحبطن
شكه عمله قال فاخبرني عن رجل قليل العمل كثير الذنوب الا انه قوي
اليقين قال وسكت معاذ رضي الله عنه فقال الرجل والله لان احبط شكه
الاول عمله ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ رضي الله عنه بيده
وقال ما رايت افقه من هذا وقال لقمان يا بني لا يستطاع العمل الا
باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه فكان
اليقين افضل العلوم لانه ادعى الى العمل وما كان ادعى الى العمل كان ادعى
الى العبوديه وما كان ادعى الى العبوديه كان ادعى الى القيام بحق الربوبيه
فكان الحظ منه للصوفيه وانهم افراد من العلماء ●

الباب الرابع في شرح حال الصوفيه واختلاف طرقهم

شرح حال الصوفيه

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني
ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني
وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنه
والصوفيه هم الذين احيوا هذه السنه بطهارة الصدور من الغش والغل
وذلك عماد امرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما تمكنوا من ذلك
بالزهد في الدنيا فان منار الغش والغل محبتها ومحبة الترفع والمنزلة عند
الناس والصوفيه زهدوا في هذا كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا

لاقوام

لاقوام كنست بارواحهم المزابل واشار بذلك الى غاية التواضع وان لا يرى
نفسه مميزا على احد من المسلمين لحقارتها عنده بنفسه وعند هذا ينسد باب
الغل والغش وذكر بعض الفقراء في معناه ان الاشارة بالمزابل الى النفوس
لانها ماوى كل خبث ونجس كالمزبله وكنستها بنور الروح لان الصوفيه
ارواحهم في محال القرب ونورها يسري الى النفوس فاذا اسري اليها طابت
وذهب عنها الغل والغش والحقد وكانها تكنست وهذا المعنى صحيح وان
لم يرد القايل بقوله ذلك قال الله تعالى في وصف اهل الجنه ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل
في قلوب ايتلفت بالله واتفقت على محبته وانست بذكره ان تلك قلوب
صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق
فحجاب الخلق عن احياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا
صفات نفوسهم فاذا زالت ارتفع الحجاب وحصلت المتابعه ووجبت
المحبة لهم من الله تعالى عند ذلك بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله والصوفيه من بين طوايف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة
فامتثلوا اوامره وانتهوا عما نهاهم عنه ثم اتبعوه في فعله من الجد في
العبادة والتهجد والصوم والصلاة وغير ذلك من انواع التعبدات ثم رزقوا
ببركة المتابعه في اقواله وافعاله التخلق باخلاقه من الحياء والحلم والصفح
والعفو والرافة والمداراة والنصيحة والتواضع والرضا والصبر والزهد والتوكل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم الافتقار الى الله عز وجل حتى يقول اللهم لا تكلني

الى يعتني طريقة عين اكلالي كلالة الوليد فمن اشرف ما ظفر به الصوفي من
متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم دوام الاستغفار ودوام اللجا الى الله
تعالى ولا يتحقق بذلك الا من كوشف باطنه بصفا المعرفة واشرق صدره
بنور اليقين وخلص الى بساط القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة
فيعرف نفسه اسيرة بين هذه كلها ومع ذلك يراها مارق كل شر اذ هي
بمثابة النار لو يعنت منها شرارة احرقت عالما وهي تستر بعد الرجوع وتشكك
الانقلاب فلا يزال دايم الاستغاثة الى مولاه من شرها لمعرفته بها ومن
عرف نفسه فقد عرف ربه كارتباط معرفة الليل بمعرفة النهار لانه لا يخلوا
من مطالعتها ادنا ساعة كما لا يخلوا عن ربه ادنا ساعة وبالجمع جمل حال
الصوفية شيان واليها الاشارة بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشا ويهدي
اليه من ينيب فقوم من الصوفية خصوا بالاجتبا الصرف وقوم منهم خصوا
بالهداية بشرط تقدم الانابة فالاجتبا المحض غير معلل بكسب العبد وهو
حال المراد بيادية الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب فيرتفع
الحجاب عن قلبه وبباديه بسطوع نور اليقين فيقبل على العمل بلذاذة ويعشق
فيه قرة الاعين فيتسهل ذلك الكشف عليهم الاجتهاد كما تسهل على سحرة
فرعون لذاذة التارك بهم من صفو المعرفة بحمل وعيد فرعون قالوا لن نوثرك
على ما جانا من البينات قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا روح
العناية القديمة بهم فالتفوا الى السجود شكرا وقالوا امنا برب العالمين
والطريق الثاني طريق المريدين وهم الذين شرط لهم الانابة فقال تعالى

ويهدي اليه من ينيب طولبوا بالاجتهاد ولا تخل الكشوف قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمريدون رحمهم الله تعالى في مدارج الكسب بانواع
الرياضات والمجاهدات يتقلبون في رمضا الارادة ويتخلصون من كل
مالوف وعادة وهي الانابة المشترطة في الهداية وهي هداية خاصة لانها
هداية الله دون الهداية العامة التي هي الهدى الى امر دينه بمقتضى
المعرفة الاولة وهذا حال السالك المريد فالانابة هي الهداية العامة فاثمرت
هداية خاصة فاهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات فتخلصوا من مضيق
العسر الى فضا اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق
اجتهادهم كشوفهم والمراد من سبق كشوفه اجتهاده ثم وعن الجنيد
رضي الله عنه انه قال ما اخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات ثم ان الطريقان تجمعان
احوال الصوفية ودونها طريقان اخران ليستا من طرق اهل التحقيق احدهما
مجذوب ابتر مقصر على جذبته وما رد الى الاجتهاد بعد الكشف والثاني
مجتهد متعبد ما خلص الى الكشف وباب مزيد الصوفية والصحيح لطريقهم
حسن المتابعة ومن ظن ان يبلغ غرضا او يظفر بمراد لا من طريق المتابعة
فهو مخدوع مغرور وكان الجنيد رضي الله عنه يقول علمنا هذا مشتبك بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعضهم يقول من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة
روي ان ابا يزيد قال ذات يوم لاصحابه قوموا بنا ننظر الى هذا الرجل الذي يشهر

نفسه بالزهد والعبادة وشهر بالولاية وكان الرجل في ناحية مشهوراً فقصدوا
قال فقصدنا فلما خرج الرجل من بيته يقصد المسجد رمى ببزاقته نحو القبلة فقال
أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه فقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب
من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه
من مقامات الأولياء والصديقين • وسئل خادم الشبلي ماذا رأيت منه
عند موته قال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلي أن وضئني للصلاة
فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته
يخللها • وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة
فاسم باطل هذا حال الصوفية وطريقتهم فمن ادعى حالا على غير هذا الوجه فهو
مفتون كذاب •

الباب الخامس في ماهية التصوف

ماهية التصوف

قال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق
بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار • وقال الجنيد رضي الله عنه
التصوف أن يكون مع الله بلا علاقة • وقال معروف الكرخي رضي الله عنه
التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق ومن لم يتحقق بالفقر
لم يتحقق بالتصوف • سئل الشبلي رضي الله عنه عن حقيقة الفقر فقال
أن لا تستغني بشيء دون الحق • وقال النوري رحمه الله وصف الفقير
السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود • قال مظفر القرميسيني
الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة ومعنى هذا القول أنه مشغول بوظائف

عبوديته

عبوديته بأمر الفقه وبه عالم حتى كلا أنه لا توجد إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم
الله بحاله يتبرى عن السؤال في البين زهاده • قال الشيخ التصوف اسم جامع
لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد وإضافات لا يكون الرجل بدونها صوفيا
وإن كان فقيرا زاهدا • وسئل أبو محمد الجريري عن التصوف فقال الدخول
في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني فإذا علم أن التصوف حصول الأخلاق
السنية علم أنه فوق الفقر والزهد وقد قيل نهاية الفقر مع شرفه بداية التصوف
قال الشيخ وأهل الشام يفرقون بين التصوف والفقر ويقولون قال تعالى
للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وهذا وصف الصوفية وسماهم الله فقراء
والفرق أن الفقير هو الذي في فقره بلا حظ يفضله فيؤثره على الغنا فيتمسك
به متطلع إلى العوض عند الله تعالى بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم وهو خمسمائة عام وملاحظة العوض
علة في طريق الصوفي فإنه ترك الأشياء لا للأعواض بل للأحوال الموجودة
فإنه ابن وقته وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار والإرادة علة في حال الصوفي لأن الصوفي صار قائما في
الأشياء بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا
صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيما يوفقه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الإذن
من الله تعالى في الدخول فيه وقد يدخل في صورة سعة متابعة للفقر بإذن
من الله عز وجل ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان إذن من الحق فيه ولا
يفتح للسعة والدخول فيها للصادقين إلا بعد إحكامهم علم الإذن وفي هذا

منزلة الاقدام وباب دعوى المدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال الا
وقد تحكيه ارباب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة فاذا
اتضح ذلك علم الفرق بين التصوف والفقر وعلم ان الفقر اساس التصوف
وبه قوامه على معنى ان الوصول الى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه
يلزم من وجود التصوف وجود الفقر قال الجنيد التصوف ان يميتك
الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه في الاشيا
بالله لا بنفسه والفقير والزاهد يكونان في الاشيا بنفسهما واقفان مع
ارادتهما يجتهدان مبلغ علمهما والصوفي متهم نفسه مستثقل عليه غير
راكن الى معلومه قايم بمراد ربه لا بمراد نفسه قال ذو النون رضي الله عنه
الصوفية اثروا الله على كل شي فاثرهم الله على كل شي وكان من ايثارهم ان اثروا
علم الله على علم انفسهم وارادته على ارادتهم قيل لبعضهم من اصحب
قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكثير من الجلل
عندهم وقع يرفعونك به فتتعجب نفسك وهذا اصل لا يوجد عند الفقير
والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الاخذ وهكذا الفقير وذلك
لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم وقيل الصوفي من اذا استقبله
حالان حسنتان او خلقان حسنان كان الى الله تعالى وانا صادقا في
النجابة وابانة في اشتيانه الاحسن بفعله سبحانه والفقير والزاهد
يختاران ما هو الادعى الى ترك الدنيا والخروج من شواغلها احكما في ذلك
بعلمهما وقال سهل الصوفي من صفا من الكدر وامتلا من الفكر وانقطع

الى الله تعالى

الى الله تعالى من البشر واستوى عنده الذهب والمدر قال ذو النون رحمه الله
رايت ببعض سواحل الشام امراة فقلت من اين اقبلت فقالت من عند اقوام
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت فاين تريدين قالت الى قوم لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فانشات تقول شعر

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همة تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فايق انق ... ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في اثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الامد
فهم رهائن غدران واودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

وقال الجنيد الصوفي رحمه الله كالارض تطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا
كل مليح ويطاها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شي وكالقطر يسقي كل شي
قال الشيخ واقوال المشايخ في التصوف تزيد على الف قول تذكر ولو ان
اختلفت الفاظها متقاربة المعاني فيقول الصوفي الذي يكون دايم التصفية
لا يزال يصفي اوقاته عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس
ويعينه على ذلك دوام افتقاره الى مولاه فبكل ما تحركت النفس وظهر منها صفة
من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه

الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم

قيل للبستهم الصوف نسبة الى ظاهر لبستهم واختاروه لكونه لباس الانبيا عليهم السلام

تسميتهم بهذا الاسم

قال الحسن أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف وكان اختيارهم
لبسه تركا لزينة الدنيا وصرفا لهمهم إلى أمر الآخرة ونسبوا إلى لبسهم
تشبيها على التقلل في الدنيا والزهد فيها وتباعدوا إليه التقشف من لبس
الناعم فيوطن المريد نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن الأكول
من جنس الملبوس فيدخل في طريقتهم على بصيرة أو لأن حكم لبس الصوف
حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن
والحكم بالظاهر أليق وأولى وأقرب إلى التواضع والتخفي وهو ملائم
للاشتقاق يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس
القميص وهو في نسبة إلى الصوفية ككوفي إلى الكوفة ولم يزل ذلك
لباس الصالحين والزهاد والعباد وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله موسى عليه السلام
كان عليه جبة صوف وسراويل من صوف وكساء من صوف وكمة صوف
ونعلاه من جلد حمار غير ذكي وقيل سموا صوفية لأنهم في الصف الأول
بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان الاسم في الأصل صفوي فاستثقل
ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا بذلك نسبة إلى الصفة التي كانت
لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نحو أربعمائة
رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جعلوا أنفسهم في المسجد
واجتمعوا كاجتماع الصوفية في الربط والزوايا قديما وحديثا لا يرجعون

إلى زرع ولا إلى ضرع ولا تجارة وكانوا يحتطبون ويرضخون النوى في النهار
وبالليل يشتغلون بالعبادة وقراءة القرآن وتعلمه وتلاوته وكان صلى الله
عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم وكان صلى الله عليه وسلم
يجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية
وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم الآية وابن أم مكتوم رضي الله عنه منهم وفيه نزل عبس وتولى
أن جاءه الأعمى وكان صلى الله عليه وسلم إذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أهل الصفة
فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضيا بما فيه فإنه من رفقائي
يوم القيامة واسم الصوفي لم يكن في عهد النبوة بل يسمى الرجل صحابيا لشرف
الصحبة فكانت الإشارة إليها أولى وإنما كان في زمن التابعين قال
الحسن رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربعة
دوانيق وعن سفيان رضي الله عنه أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت
دقيق الرياء

الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه

(في الهامش: المتشبه)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع
من أحب قال أنس رضي الله عنه فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام
فرحهم بها فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم إلا لمحبته إياهم

فيكون مع تقصيرهم عن القيام بما هم فيه معهم لموضع محبته
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع
ان يعمل بعملهم قال صلى الله عليه وسلم انت يا ابا ذر مع من احببت قال
رضي الله عنه فقلت فاني احب الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم فانك
مع من احببت قال فاعادها ابو ذر رضي الله عنه فاعادها رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمتصوف متطلع الى حال الصوفي لكنه بقي بشي من صفات
نفسه وطريق الصوفية اوله ايمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب
ايمان والايمان بطريق الصوفية اصل كبير قال الجنيد رضي الله عنه
الايمان بطريقتنا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفي عند الناس من
يتميز باحوال عزيزة من المكاشفة وغرايب العلوم والفهوم والمومن بذلك
مومن بالقدرة فلا يومن بطريقهم الا من خصه الله تعالى بعنايته وقد
انكر قوم من اهل الملة كرامات الاولياء فالايمان بها تميز من اوليك
بتخصيص من الله تعالى فالمتشبه صاحب ايمان والمتصوف صاحب علم
لانه بعد الايمان اكتسب علما بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد
يستدل بها على سايرها والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق
نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف قال
الله تعالى ان الابرار لفي نعيم الى قوله ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون فكان لشراب الابرار مزاج من شراب المقربين وللمقربين
شراب صرف فالصوفي شرابه صرف والمتصوف من ذلك مزاج في شرابه

والمتشبه

وللمتشبه مزاج من شراب المتصوف والمتصوف بالنسبة الى الصوفي
كالمتزهد بالنسبة الى الزاهد لانه يتفعل ويتسبب والكل يجمعهم دايرة
الاصطفا قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال بعضهم
الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم
من يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد من يعبد على الرغبة والرهبة
والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقيل الظالم يذكر بلسانه والمقتصد
بقلبه والسابق لا ينسى ربه وكل هذه الاقوال قريبة من حال الصوفي
والمتصوف والمتشبه وكلهم من اهل الفلاح والنجا يجمعهم دايرة الاصطفا
ويولف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطا وعن اسامة بن زيد
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم في الجنة فالمتشبه
المتقي له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه ثم بسلوك واجتهاد ومجاهدة
ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما
من يتشبه بالمتصوف والصوفي في ظاهر اللبسة ويشاركهم في الزي
والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية بل متشبه
بالمتشبه يعتري اليهم بمجرد اللبسة ومع ذلك فهم القوم لا يشقى بهم
جليسهم روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله ملايكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق



ويتبعون الذكر فاذا راوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم
فيحفونهم باجنحتهم الى عنان السما فيقول الله تعالى وهو اعلم ما يقول
عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل راوني
فيقولون لا فيقول كيف لو راوني قالوا لو راوك كانوا اشد تسبيحا
وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسالوني قالوا يسالونك الجنة فيقول فهل
راوها قالوا لا فيقول كيف لو راوها قالوا لو راوها كانوا اشد طلبا
وعليها حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول هل راوها قالوا لا فيقول
كيف لو راوها قالوا لو راوها كانوا اشد منها تعوذا واشد نفورا فيقول
اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم انما جا لحاجة
فيقول تبارك وتعالى هم الجلسا لا يشقى بهم جليسهم فائده
قال الشيخ سمعت شيخنا يقول جاء بعض ابناء الدنيا الى الشيخ احمد
الغزالي يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير الى يحيى
يكلمك في معنى الخرقة ثم احضرني الشيخ فقال لي جاءني فقد ذكرت له
حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وادب من يلبسها فاستعظم ذلك
وجبن عن لبسها فاخبر الشيخ بما جرى عند الطالب من قولي فاستحضرني
وعاتبني على ذلك وقال بعثته اليك لترغبه في لبسها فنفرته وفترت
عزيمته وان كان ما ذكرته صحيحا لكن اذا الزمناه المبتدي بقي عجز فنحن
نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيا بزيهم فيقربه ذلك من
مجالستهم ومجالسهم فتعود عليه بركة مخالطتهم وينظر الى احوالهم

وسننهم

وسننهم ويعبر لهم فيتشبه بسنتهم ويسلك مسلكهم ومثل هذا قول
الجنيد رضي الله عنه اذا لقيت الفقير فلا تبتداه بالعلم وابتداه بالرفق
فان العلم يوحشه والرفق يونسه وكل من كان من الصوفية اكمل
حالا كان اكثر رفقا بالمبتدي، وحكي عن بعضهم انه صحبه طالب
فكان ياخذ نفسه بكثرة المعاملة والمجاهدة ولا يقصد بذلك الا
نظر المبتدي اليه والاقتدا به وهذا هو الرفق الذي ما دخل في شي الا زانه ٥

ذكر الملامتي

الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا
ان الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب
ان يطلع احد على حاله واعماله بل يرى كتم حاله وعمله ويتلذذ بالكتم حتى
لو ظهر له عمل وحال عند احد استوحش من ذلك كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته وذلك لتعظيمه وقع الاخلاص وتمسكه به
والصوفي غايب في اخلاصه عن اخلاصه، قال ابو يعقوب السوسي
متى شهد المخلص اخلاصه احتاج اخلاصه الى اخلاص، قال ذو النون
رضي الله عنه ثلاث من علامات الاخلاص استوا المدح والذم من العامة
وعدم روية العمل وعدم روية اقتضا به ثوابا، قال ابو عثمن المغربي الاخلاص
ما لا يكون للنفس فيه حظ وهذا اخلاص العوام فاما اخلاص الخواص
فانه تبدر منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها روية ولا بها
اعتداد وهذا اخلاص الخواص، قال الشيخ وهذا الذي يفعله الشيخ

ابو عثمن يفرق بين الصوفي والملامتي لان الملامتي اخرج الخلق عن عمله
وحاله ولكن اثبت نفسه فهو مخلص والصوفي اخرج نفسه عن عمله وحاله
كما اخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص والمخلص حكي ان بعض
الملامتيه اشتد عليه السماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لاني ان حضرت
يظهر علي وجد ولا اوثران يطلع احد علي حالي سيل الجنيد رضي الله عنه
عما بين الصدق والاخلاص فرق فقال نعم الصدق اصل وهو الاول والاخلاص
فرع وهو تابع والاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في العمل والملامتي وان
كان متمسكا بعروة الاخلاص متنفر شابساط الصدق ولكن غلبه
بقيه روية الخلق والصوفي صفا من هذه البقيه في طرفي العمل والترك
للخلق واخفا الملامتي حاله لوجهين الاول ليحقق الاخلاص والصدق
والثاني وهو اعلاهما ان يستر حاله عن الغير بنوع غيره فان من حال المحب
بكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة ان يكره اطلاع احد علي
حبه لمحبوبه وهذا وان علا فهو نقص في طريق الصوفي فعلي هذا تقدم
الملامتي علي المتصوف ويتاخر عن الصوفي وقيل ان اصول الملامتيه
ان الذكر علي اربعة انحا ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر
بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت الثلاثه وذلك ذكر المشاهده واذا
صح ذكر السر سكت القلب واللسان وذلك ذكر الهيبة واذا ذكر
القلب فتر اللسان وذلك ذكر الالاء والنعما واذا غفل القلب عن الذكر
اقبل اللسان علي الذكر وذلك ذكر العادة ولكل احد من هذه الاذكار

عندهم

عندهم افة فافة ذكر الروح اطلاع السر عليه وافة ذكر السر اطلاع القلب
عليه وافة ذكر القلب اطلاع النفس وافة ذكر النفس روية ذلك
وتعظيمه او طلب ثواب به او ظن انه يصل الي شي من المقامات به واهل
الناس فيه عندهم من يريد اظهاره واخبار الخلق عليه بذلك وشرح هذا
الاصل الذي بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات
بزعمهم وذكر القلب ذكر اثر الصفات من الالاء والنعما وذكر النفس
مخصوص للعادات ومعني قولهم اطلاع السر علي الروح يشيرون الي ان
ذكر الروح يحقق بالفنا عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت
بذكر الصفا لانه يستدعي وجود الهيبة ووجودها يستدعي وجودا وبقيه
وذلك ينافي حال الفنا وهكذا ذكر السر وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب
من القرب وذكر القلب الذي هو ذكر اثر الصفات مشعر ببعد ما لانه اشتغال
بذكر النعمة وذهول عن المنعم وهو ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس والنظر
الي الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقه وهذه
اقسام هذه الطايفه وبعضها اعلي من بعض

الباب التاسع في ذكر من ينتمي الى الصوفيه وليس منهم

فمن اوليك قوم يسمون انفسهم قلندريه تارة وملامتيه اخري وقد ذكرنا
حال الملامتي وتمسكه بالسنن وتحققه بالصدق والاخلاص وليسوا مما
يزعم المفتون في شي واما القلندري فهو عبارة عمن سكر طيبة قلبه حتي
خرق العادات وطرح التقيد باداب المجالسات والمخالطات وقل تعبده

من ينتسب من
الصوفيه

بالصوم والصلاة الا الفرايض ولم يميلوا بعينا ولشي من مباح لذات الدنيا وربما
اقتصروا على الرخص ولم يطلبوا حقايق العزيمة ومع ذلك فهم متمسكون
بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم
المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله
تعالى وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد على ما هم عليه من طيبة القلوب
والفرق بين الملامتي والقلندري ان الملامتي يتمسك بكل ابواب الخير
ولكن يخفي عمله وحاله ويقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه
وحركاته واموره لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب الزيادة
باذل مجهوده في ذلك والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من
حاله ولا ينعطف الا على طيبة قلبه وهو راس ماله والصوفي يضع
الاشيا مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال بالعلم ويستر ما ينبغي
ستره ويظهر ما ينبغي اظهاره فهولاء المفتونون الذين سموا انفسهم
بما ليس لهم ولبسوا لبسة الصوفية توقيا بالزي ودعوى لحرب ويزعمون
ان ضمايرهم خلصت مع الله تعالى وان الارتسام بمراسم الشريعة رتبة
العوام وهذا هو عين الالحاد والزندقة وكل حال يرده الشريعة فهي زندقة
وجهل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ان ناسا كانوا يوخذون
بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الوحي قد انقطع وانما
ناخذكم الان بما ظهر من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا
من سريرته شي الله يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوء لم نامنه

وان قال

وان قال سريرته حسنة وعنه رضي الله عنه انه قال من عرض نفسه
للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن فنحن اذا رايناه متهاونا بحدود الشرع
مهملا للفرايض داخلا في المكروه والمحرم نرده ولا نقبل دعواه ان له
سريرة صالحة ومن جملة اوليك قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله
تعالى يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفيها ويسبق الى افهامهم معنى من قول
النصارى في اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات
اشارة الى هذا الوهم ويتخايل لهم ان من قال كلمات في بعض غلباته كان
مضمرا شيا مما زعموه مثل قول الحلاج انا الحق وما يحكى عن ابي يزيد من قوله
سبحاني حاشى لله ان يعتقد في ابي يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية
عن الله تعالى وهكذا ينبغي ان يعتقد في الحلاج قوله ذلك ولو تحققنا انه
صدر هذا القول على ما زعموا رددنا ما قاله كما نردهم وقد انار رسول الله
صلى الله عليه وسلم نستر بعد نبينا بغيبه يستنفر بها كل معوج وقد دلنا
عقول لنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه عن
ان يحل في شي او يحل فيه شي وبعض المفتونين يخوض عند الفطنة غريزته
ويكون قد سمع كلمات يعتقد باطنه فيخوض لذلك يذكر كلمات ينسبها الى
الله تعالى وانها مكالمة الله اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا رجل
جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه فيعتقد المكالمة والمحادثة وسبب
تجريه على ذلك ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد
طول معاملات وتمسك بطاعات وتقوى وزهد حتى صفت سرايرهم فتشكلت

في سرائرهم مخاطبات للكتاب والسنة ولا يعدون ذلك كلاما يسمعونه بل
حديث النفس يجدونه موافقا للكتاب والسنة ويعدون ذلك مناجاة
لسرائرهم ومناجاة سرائرهم إياهم فيثبتون لأنفسهم مقام العبودية
ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه إلى أنفسهم عالمون بأن ذلك
ليس بكلام الله تعالى وإنما هو علم حادث أحدثه الله تعالى في بواطنهم
نظريون الاصغا في ذلك الافتقار إلى الله تعالى من كل ما تحدث به نفوسهم
حتى إذا برئت ساحاتهم من الهوى والهوى في بواطنهم شيئا ينسبوه إلى
الله تعالى بنسبة المحدث إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم ومن
أولئك قوم يغرقون من بحار التوحيد فلا يثبتون لأنفسهم حركة ولا فعلا
ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله تعالى
ويسترسلون في المعاصي والشهوات ويركنون إلى البطالة ويديمون
الغفلة والاغترار بالله تعالى وقد سئل سهل عن قول رجل أنا كالباب
لا أتحرك إلا إذا حركت فقال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو
زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع
أحكام الأصول ورعاية حقوق العبودية وحدودها والزنديق يقول
ذلك إحالة للأشياء على الله تعالى وإسقاطا للوم عن نفسه والخلاعا عن
الدين ورسمه أما من كان معتقدا الحلال والحرام والحدود والأحكام معترفا
بالمعصية إذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة فهو سليم صحيح وإن
كان بعد القصور عما يركن إليه من البطالة ويسترسل بهوى النفس إلى

الاسفار

رتبة النصيحة

الأسفار والتردد في البلاد متوصلا بذلك إلى شهواته غير متمسك بها بحصر
بعيب ما هو فيه والله أعلم

الباب العاشر في رتبة النصيحة

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد بيده لئن
شئتم لأقسمن لكم إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده
ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة وهذه رتبة المشيخة
والدعاء إلى الله تعالى ووجه ذلك إنما يكون الشيخ يحبب عباد الله إلى الله
لأنه يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح
اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ووجه كونه يحبب الله إلى عباده أنه يسلك بالمريد
طريق التزكية فإذا تزكت نفسه انجلت مرآة قلبه وانعكست فيها أنوار
العظمة الإلهية ولاح فيها جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة
جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث
التزكية قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا
مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها والآخرة بحسنها فتنكشف
للبصيرة حقيقة الدارين فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة
المشيخة بذلك وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر فإن لم
يكن فيهم من يهاب لله عز وجل فقد حضر الأمر يعني المشايخ ونار الله تعالى

وبهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال تعالى اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده فالمشايخ لما صيروا اهلا للاقتداء بهم وجعلوا ائمة المتقين
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن الله تعالى اذا كان الغالب
على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري فاذا جعلت همه
ولذته في ذكري رفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو اذا سهى الناس اولئك
كلامهم كلام الانبيا اولئك الابطال حقا اولئك الذين اذا اردت باهل الارض
عقوبة او عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم والطريق في وصول السالك الى رتبة
المشيخة انه يشوش نفسه لانه يبتلي بصفاتها فلا يزال يسلك بصدق
المعاملة حتى تطهر نفسه فاذا اطمأنت نزعت عنها البرودة واليبوسة
اذ بها تستعصي الطاعة فتلين بحرارة الروح وهذا اللين هو المشار اليه
بقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وينقاد للطاعة عند ذلك
وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين احدهما الى الروح
والاخر الى النفس يستمد منه حتى تطهر فاذا اطمأنت انتهى سلوكه
وانقادت نفسه وتاب لامر الله تعالى ويقوم بنفوس المريدين والطالبين
عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية فيشوش نفوس
المريدين كما يشوش نفسه من قبل بما اقامه الله تعالى من حسن التأليف
بين الصاحب والمصحوب المشار اليه بقوله تعالى لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فيصير المريد جزء الشيخ
كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية ويصير لهم ولادة معنوية كما

ولادة

ورد عن عيسى عليه السلام انه قال لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين
فبالولادة الاولى له ارتباط بعالم الملك وبهذه يصير له ارتباط بعالم الملكوت
قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين وبصرف النفس على الكمال تحصل هذه الولادة ويستحق بها ميراث
الانبيا المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا والملك ظاهر
الكون والملكوت باطنه وكما ان في الولادة الطبيعية ذوات الاولاد في
اصلاب الابا مودعة تنتقل الى اصلاب الاولاد بعدد كل ولد ذرة وهي
الذرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق الست بربكم قالوا بلى حيث
مسح ظهر ادم وهو ملقى ببطن نعمان واد بين مكة والطائف فتساقطت الذرات
من مسامات جسده كما يتسيل العرق بعدد كل ولد من ولد ادم ذرة فمنها
طيب وخبيث وردت الى ظهره ثم الابا من تنتقل الذرات الى صلبه ومنهم
من لم يودع صلبه شي فينقطع نسله وهكذا المشايخ منهم من يكثر
اولاده ويأخذون عنه العلوم والاحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت
اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من تقل اولاده
ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله تعالى به على الكفار
حيث قالوا ان محمدا ابتر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسله يأتي الى ان تقوم
الساعة بالنسبة المعنوية الموصلة ميراث العلم الى اهله كما قال صلى الله
عليه وسلم ان العلما ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما
ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظه او بحظ وافر فتبين ان الشيخ هو الاب معنى

قال الشيخ وكثيرا ما كان الشيخ ابو النجيب السهروردي يقول ولدي من
سلك طريقي واهتدى بهديي واعلم ان السالكين ينقسم الى اربعة اقسام سالك
مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذب ومجذوب متدارك بالسلوك فالسالك
المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه فيقف عند
حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقي الى حال
يروح بها من وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك تبادئه الحق
بآيات اليقين ولا يتعدى في طريق المعاملة وللمعاملة اثر تام فلا يؤهل
للمشيخة ايضا ويقف عند حظه من الله تعالى من روح حاله والسالك الذي
تدورك بالجذبة هو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة بالشروط المعتبرة
ثم اخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وبرز من
مضيق المكابدة الى متسع المساهلة واونس بنفحات القرب وفتح له باب
من المشاهدة فوجد دواءه وخاض وعاد وصار ظاهره مستردا وباطنه مستاهلا
فيعامل ولا يغلب ويفترس ولا يفترس فهذا يؤهل للمشيخة لانه اخذ في
طريق المحبين ومنح حظا من احوال المقربين ويكون له اتباع ينتفع منه
اليهم علوم ويظهر بطريقه بركته ولكن قد يكون محبوسا في حاله متمكنا
حاله فيه لا ينطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال فيقف عند حظه وهو
حظ سني يرفع الذين اوتوا العلم درجات والفائز الاكمل في المشيخة القسم
الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك تبادئه الحق بالكشوف وانوار
اليقين ويرتفع عن قلبه الحجب ويستنير بانوار المشاهدة وينفتح وينشرح

قلبه

قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود ويتروح من عين الحال ويتخلص
من الاغلال والاعلال ثم ينعطف من باطنه على ظاهره ويجري عليه صورة المجاهدة
من غير مكابدة ويعامل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه
بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابته في اليد للعمل كاجابة
قلبه فتبرز به الله تعالى الارادة ومحبة خاصة من محبة المحبوبين والمرادين ينقطع
فيواصل ويعرض فيراسل ولا يكون هذا الا للمحبوب المراد وقد ورد في
الخبر ان ابليس نعوذ بالله منه سأل السبيل الى القلب فقيل له حرم عليك
ولكن السبيل لك في مجاري العروق المشتبكة بالنفس الى حد القلب
فاذا دخلت العروق غرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة
المترشح من حجاب القلب ومن جعلته نبيا او وليا بلغت تلك العروق من
باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تصل الى المشتبكة
بالقلب ولا تصل الى القلب سلطانك فالمحبوب المراد الذي اهل للمشيخة
سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع
القلب ولانت النفس بعد ان كانت امارة بالسوء مستعصية ولان
الجلد للين النفس ورد الى الصورة الاعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب
الى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب ويستتبع النفس القالب
فامتزجت الاعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر الى الباطن والباطن الى
الظاهر والقدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والدنيا الى الآخرة والآخرة الى
الدنيا ويصح له ان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق

من وثاق الحال ويكون مستبطرا على الحال لا الحال مستبطرا عليه ويصير حرا
من كل وجه والشيخ الأول حر من رق النفس ولكن ربما كان باقيا في رق
القلب فالأول لربه لا لقلبه ولوقته لا لوقته يعبد الله حقا ويؤمن به
صدقا وليس هذا للثاني لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلي بما ابتلي من
وجدان الحال وذلك قصور في العلم ولو كمل العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال
كارتباط الروح بالجسد ورأى أنه لا غناء عن الأعمال كما أنه لا غناء في عالم
الشهادة عن القوالب فمن حصل في المقام الذي وصفناه فهو الشيخ
المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق بالله ينطق وبالله يسكت
كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له
سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا فبي يسمع وبي يبصر الحديث فيدخل في الصورة المرادة
لكونها مراده لله تعالى لا لكونها مرادة بخلاف الخادم على ما سيأتي والله أعلم

الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به

شرح حال الخادم

قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن
له خادما الخادم يدخل في الخدمة راغبا فيما أعد الله تعالى ويوعد به عليها
ويتصدى لإيصال الراحة وتفريغ خواطر المقبلين على الله عز وجل عن مهام
معايشهم ويفعل ما يفعله لله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد
الله تعالى والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشيء لله والشيخ يفعل
الأشياء بالله فالشيخ في مقام المقربين والخادم في مقام الأبرار وقد يعبه من
لا يعرف مقام الشيخ وربما جهل الخادم أيضا أمر نفسه بحسب نفسه شيخا

لقلة العلم

لقلة العلم وجماعة كثير من الفقراء من المشايخ باللفظ دون العلم والحال فمن
كثر الطعام فهو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم وليس بشيخ
والخادم في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى وهو حريص على حيازة الفضل
فهو يتوصل بالكسب تارة وبالدريوزة تارة وباستجلاب الوقف تارة لعلمه
أنه ثمرة لكل صالح لاتصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل
لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة والشيخ يرى بنفوذ البصيرة وقوة
العلم أن الإنفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة في تخليص النية عن شوائب
النفس والشهوة الخفية ولو حصلت نيته فارغب في ذلك الوجود مراده فيه
بحاله ترك المراد وإنما هو مراد الحق وعن بشر رضي الله عنه قال كل من عرف
طريقا يختص قصدا إلى الجنة فقيل له ما المعنى قال لا يسأل أحدا شيئا ولا يأخذ من
أحد شيئا ولا يكون معه شيء فيعطي منه أحدا شيئا والخادم يرى الإيثار والخدمة
ويقدمها على النوافل ويرى فضلها والخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها العبد
طالبا بها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى والدليل
على فضل الخدمة على النافلة ما رواه أنس رضي الله عنه قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا في يوم حار شديد الحر
فمنا من يتقي الشمس بيده وأكثرنا ظلا صاحب الكساء فنام الصائمون وقام
المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال صلى الله عليه وسلم ذهب
المفطرون اليوم بالأجر أما من لم يعرف تخليص النية من شوائب النفس
وتشبه بالخدام ويتصدى للخدمة لغير الحسن الإرادة فإن خدمته تكون

مشوبة فانه وان حسنت ارادته الا انه قد يضع الشي في غير موضعه ويخدم بهواه ويخدم من لا يستحق الخدمة ويحب المحمدة والثنا من الخلق مع كونه يحب الثواب من الله تعالى وربما امتنع من الخدمة لهوى في حق من يلقاه بمكروه ولا يراعي واجب الخدمة في طرفي الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم متبرا منه في الرضا والغضب لا تاخذه في الله لومة لايم وهذا الموصوف بهذا متخادم ولا يميز بينهما الا من له علم بصحة النيات وتخلصها من شوايب الهوى وقد يبلغ المتخادم النجيب ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه اما من يخدم لينال بنصيبه او حظ عاجل برؤيته فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره يعني بها جاهه بكثرة الاتباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص ليبلوها لا في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضي نفسه واهله وولده فيتسع في الدنيا ويستولي عليه حب الرياسة وكلما كثر تبعه كثرت مراد هواه واستطال على الفقرا وربما احوجهم الى التملق له وطلب الرضاه وتوقي الغضبه وميله عليهم فيقطع باسوئهم من الوقت فهذا احسن حاله ان يسمى مستخدما ولا يسمى خادما ولا متخادما ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبما يتادى اليهم وقد تقدم الخبر المتضمن هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

الباب الثاني عشر في شرح خرقة مشايخ الصوفية

خرقة الصوفية

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد للشيخ على نفسه والتحكيم سايغ في الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر من لبس الخرقة

ومقصودها

ومقصودها التحكيم في مصالح دينية يرشده الشيخ الطالب ويعرفه بافات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو فيسلم لذلك للشيخ نفسه ويستسلم لرايه ويكون لبس الخرقة علامة التفويض ودخوله تحت حكمه وفيها معنى المبايعة فتكون يد الشيخ في الباسها نايبة عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم المريد تسليم لله ولرسوله قال الله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهي عتبة الصحبة التي هي المقصود الكلي وبالصحبة يحصل كل خير للمريد وعن ابي يزيد رضي الله عنه انه قال من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم واحل ما يمسكه بخلاف غير المعلم وان كان في طبعه الاصطياد قال الشيخ وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح فاذا دخل المريد الصادق تحت حكم الشيخ وصحبه وتادب باداته يسري من باطنه حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد فينتقل الحال الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يحصل هذا الا لمريد انسلخ من ارادة نفسه وترك اختياره لانه لا يزال كذلك فيتادب بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم عن الله تعالى كما كان يفهم عن الشيخ ومبتدا هذا الخير كله الصحبة والخرقة مقدمة ذلك ومستندنا في تلبيس الخرقة قالت ام خالد رضي الله عنها اتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سودا صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايتوني بام خالد قالت

فاتي بها فالبسها صلي الله عليه وسلم بيده وقال ابلي واخلقي يقولها مرتين
وجعل صلي الله عليه وسلم ينظر الي علم في الخميصة اصفر واحمر ويقول يا ام
خالد هذا سنا والسنا هو الحسن بلسان الحبشة ولا يخفي ان لبس
الخرقة علي الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها استحسان من الشيوخ وقد
ذكر الله تعالي تحكيم الامة رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي فلا
وربك لا يومنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم الاية وسبب ذلك قصة الزبير
رضي الله عنه في شراج الحرة وتحكيم المريد شيخه احيا سنة ذلك التحكيم
وشرط عليهم في الاية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد
باطنا وهكذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة ترك اتهام
الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض علي المشايخ فانه السم
القاتل للمريدين وقل ان يعترض مريد بباطنه علي الشيخ فيفلح ويذكر المريد
في كل ما اشكل عليه من تصاريفه قصة موسي مع الخضر عليهما السلام
ويعتقد ان عند الشيخ بيان لما اشكل عليه كما كان عند الخضر بيان
لما اشكل علي موسي ولياخذ الشيخ علي المريد عهد الوفا بشرط الخرقة ومعرفة
حقوق الخرقة ويعتقد المريد في الشيخ انه باب فتحه الله عليه الي جناب
كرمه منه يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ حوائجه ومهامه الدينية
والدنيوية ويعتقد ان الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في
ذلك الي الله تعالي للمريد كما يرجع المريد اليه وهو امانة الله عنده فلا يتصرف

فيه بهواه

فيه بهواه ويستعطف الي الله تعالي لحوائجه كما يستعطف لحوائج نفسه
ومهام دينه ودنياه واعلم ان للمريد مع الشيخ اوان ارتضاع واوان فطام
وقد سبق شرح الولادة المعنوية فاوان الارتضاع اوان لزوم الصحبة
والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد ان يفارقه الا باذنه قال تعالي
تاديبا للامة انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه علي
امر جامع لم يذهبوا حتي يستاذنوه الاية واي امر جامع اعظم من امر الدين
فلا ياذن الشيخ للمريد في المفارقة الا بعد علمه بانه قد بلغ اوان الفطام وانه
يقدر علي ان يستقل بنفسه وذلك حين يفتح له باب الفهم عن الله تعالي
فاذا بلغ المريد رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم عن الله تعالي في ذلك
فقد بلغ اوان فطامه ومتي فارق المريد الشيخ قبل اوان الفطام ناله من
الاعتلال في الطريق والرجوع الي الدنيا ومتابعة الهوي ما ينال الفطيم لغير اوانه
واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرك والاولي هي الاصل
الذي قصده المشايخ والثانية تشبه بخرقة الارادة فالاولي للمريد الحقيقي
والثانية للمتشبه به ومن تشبه بقوم فهو منهم وحكم الشيخ مع المريد كالوالد
مع الولد يربيه بعلمه المستمد من الله تعالي بصدق الافتقار وحسن
الاستقامة ويتصرف في ملبوسه كما يتصرف في مطعومه فقد يكون المريد
يلبس الخشن علي هيئة التزهد وله فيه هوي كامن فاستدام يعتبر ذلك
الملبوس وتلك اللبسة فيلبسه ما يختاره هوي نفسه وقد يكون
ممن يعتاد لبس الناعم وهيئة من الملبوس استرسلت نفسه بحبها فيلبسه

الشيخ ما يخرجه به عن عادته وتصرفه في مطعومه وصومه وافطاره على ذلك
فيبقيه الى ما هو الاصلح له واللائق به من دوام ذكر او تلاوة او تنفل بصلاة
وكذلك يرده الى الكسب او الى الفتوح او غير ذلك فللشيخ اشراف على
البواطن فيأمر كل مريد بما يصلح له قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم الآية فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن
يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع
الابرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لكثرة
من انواع التعبد ومن له هوى في التقشف او التنعم فيخرجه عن هواه والمريد
الصادق الحريص على من يرشده اذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ
صدق العناية ومن باطن المريد صدق المحبة وظهر سر السابقة فيهما باجتماعهما
لله في الله بالله فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة يلبس المريد حسن
عناية الشيخ فيعمل عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام وقد نقل
ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف فيها عريانا فاتاه
جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة والبسه اياه وكان ذلك عنده ثم عند
اسحق ثم عند يعقوب فجعله في تعويذه وجعله في عنق يوسف فلما القي في
الجب عريانا جاءه جبريل عليهما السلام وكان عليه التعويذ فاخرج القميص منه
والبسه اياه وقد روي ان ارسال يوسف القميص الى يعقوب كان بامر
جبريل عليه السلام قال له ارسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
او سقيم الا صح وعوفي ويكون الخرقة عند المريد الصادق بمثابة عرف الجنة

لما عنه

لما عنده من الاعتقاد بالصحبة لله ويرى لبسها من عناية الله تعالى به واما
خرقة التبرك فيطلبها من قصده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب
بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود
عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم فسوف يرقيه ذلك الى الاهلية لخرقة الارادة
فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من
الصادق الراغب ولبس الازرق من استحسانات الشيوخ في الخرقة فان رأى
شيخ غيره فلا اعتراض عليه واختيار الازرق لكونه يحمل الوسخ فلا يحتاج
الى كثرة غسل وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة في ذلك
كلام اقناعي ليس من الدين والحقيقة في شيء انما هو تصنع قال الشيخ سمعت
الشيخ ابا الفتح الهمداني قال كنت ببغداد عند ابي بكر الشروطي فخرج علينا فقير
من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء لم لا تغسل ثوبك فقال يا اخي
لا اتفرغ قال الشيخ ابو الفتح لا ازال اتذكر حلاوة قول الفقير لا اتفرغ لانه
كان صادقا في ذلك واجد لذاذة لقوله وبركة لتذكاري ذلك فاختاروا الملون
لاجل هذا لانهم من رعاية نفوسهم في شغل شاغل وقد رأينا من المشايخ من
لا يلبس الخرقة ويسلك المريدين من غير لبس خرقة وقد كان طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون الخرقة فمن البسها فله مقصد صحيح ومشاهد من الشرع ومن
لا يلبسها فله ايضا مقصد صحيح وتصاريف المشايخ محمولة على السداد لا تخلو
عن نية صالحة فيها ان شاء الله تعالى

الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط

فضيلة سكان الرباط

قال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله القلوب
والابصار قيل هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
فعلى هذا العبرة بالرجال الذاكرين لا بتصور البقاع واي بقعة حوت
رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي اذن الله ان ترفع وعن انس رضي الله عنه
قال ما من صباح ولا رواح الا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا هل مر بك
اليوم احد صلى عليك او ذكر الله فمن قايلة نعم ومن قايلة لا فاذا قالت
نعم علمت ان لها عليها بذلك فضلا وما من عبد يذكر الله تعالى على بقعة من
الارض او صلى عليها الا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت
فسكان الربط ربطوا انفسهم على طاعة الله وانقطعوا الى الله فقام الله تعالى
لهم الدنيا خادما ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله
كفاه الله كل مونة فيها ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها واصل الرباط
ما يربط فيه الخيل ثم قيل لكل ثغر يدفع اهله عمن وراهم رباط فالمجاهد
مرابط يدفع عمن وراه والمقيم في الرباط على طاعة الله تعالى يدفع به غايله
البلا عن العباد والبلاد وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مايه من اهل بيت من
جيرانه البلا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لولا عباد الله تعالى ركع
وصبيان رضع وبهايم رتع لصب عليكم البلا صبا وروى جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليصلح بصلاح
الرجل ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ

الله تعالى

الله تعالى ما دام فيهم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه في قوله تعالى
اصبروا وصابروا ورابطوا قال نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة ويشهد له
قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم اسباغ الوضوء على المكاره
وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم
الرباط فالرباط لجهاد النفس والمقيم في رباط مجاهد نفسه قال تعالى
وجاهدوا في الله حق جهاده قال عبد الله بن المبارك هو جهاد النفس
والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم
حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وشرط
ساكني الربط قطع معاملة الخلق ومعاملة الحق وترك الاكتساب اكتفا
بكفالة الله تعالى وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات والقيام
على العبادة ليله ونهاره متعوضا بها عن كل عادة وحفظ اوقاته وملازمة الاوراد
وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا فاهل
الربط اذا اجتمعوا على الوجه الموضوع له الربط وحققوا حسن المعاملة ورعاية
الاوقات وتوقي ما يفسد الاعمال واعتمدوا ما يصحح الاحوال عادت البركة على
البلاد والعباد وقال بعض العلما ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات
بحسن النيات وصفا الطويات تحل ما عقدته الافلاك الدايرات وقيل ان
بعض الصالحين كتب الى اخ له في الله تعالى يستدعيه الى الغزو فكتب اليه يا اخي
كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب اليه اخوه لو

لزم الناس كلهم ما لزمت اختلت امور المسلمين وغلبت الكفار فكتب اليه
يا اخي لو لزم الناس ما انا عليه وقالوا في زواياهم على سجاداتهم الله اكبر
انهدم سور القسطنطينية ه

الباب الرابع عشر في مشابهة اهل الرباط باهل الصفة

المشابهة
باهل الصفة

اهل الرباط هو بيتهم ومنزلهم يجتمعون فيه على ما تقدم ذكره واهل
الصفة كانوا كذلك ووضع الربط لهذا المعنى ولان يكون اهلها كما قال
الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والمقابلة
باستواء السر والعلانية فمن اضمر لاخيه غلا فليس بمقابله وان كان
وجهه اليه واهل الصفة كانوا كذلك لان منشأ الغل والحقد وجود الدنيا
وحبها راس كل خطيئة واهل الصفة رفضوها فكانوا لا يرجعون الى زرع ولا
ضرع فزالت الاحقاد والغل عن بواطنهم وهكذا اهل الربط متقابلون
بظواهرهم وبواطنهم مجتمعون على الالفة والمودة يجتمعون للكلام وعلى
الطعام ويتعرفون بركة ذلك الاجتماع ه وعن وحشي بن حرب عن ابيه عن
جده رضي الله عنهم انهم قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال صلى الله
عليه وسلم لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه فالعباد والزهاد طلبوا الانفراد خوفا من دخول الافات
عليهم بالاجتماع والخوض فيما لا يعني والصوفية لقوة علمهم وصحة حالهم نزع
عنهم ذلك فراوا الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادات فسجادة كل واحد زاويته
ولهم في اتخاذها وجه من السنة ه وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل

لرسول الله

٢٨

لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل ه وقالت ميمونة
رضي الله عنها كانت تبسط الخمرة في المسجد حتى يصلي عليها صلى الله عليه وسلم ه
والرباط يحتوي على شبان وشيوخ واصحاب خدمة وارباب خلوة فالمشايخ
بالزوايا اليق نظرا الى ما يحتاجون اليه من النوم والراحة وان شاركهم الشاب
في الحاجة الى ذلك الا انه احمل من الشيخ ه وايضا الشاب اذا كان بين الجماعة
تقيد وتادب وهذا في قوم يهتمون بحفظ الاوقات وضبط الانفاس كما كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم شان يغنيه كان
عندهم رضي الله عنهم من شغلهم بالاخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض
وهكذا ينبغي لاهل الصدق والصوفية ان يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم
فاذا تخلل اوقات الشباب اللغو واللغط فالاولى بهم الوحدة والعزلة
ويؤثر بهم المشايخ بالزوايا ويكون المشايخ في بيت الجماعة لقوة حالهم وصبرهم
على مداراة الناس ومعرفتهم بخلاصهم في المخالطة ووقارهم بين الجمع فينضبط
بهم الغير وشان من دخل الرباط مبتديا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه
لنفائس الاحوال ان يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجلب بخدمته
قلوب اهل الله تعالى فتشمله بركتهم وينضبط بها عن البطالة التي تميت القلب
وهي من جملة العمل الصالح وطريق من طرق المواجيد فتكسب الاحوال الحسنة
ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا من تطلع الى الاقتداء بهم ه
روي ان عمر رضي الله عنه كان يقول للغلام لم يرو اسلم فان اسلمت استعنت
بك على امانة المسلمين فانه لا ينبغي ان استعين على امانتهم من ليس منهم

قال فأبى فقال لا اكراه في الدين فلما حضرته الوفاة اعتقه وقال اذهب حيث
شئت فالقوم يكرهون خدمة الاغيار ومخالطتهم والغير ربما استضر بالنظر
اليهم اكثر مما ينتفع فانهم بشر مثله ومنهم امور يقتضي طبع البشر فينكرها
الغير لقلة علمه بمقاصدهم فيكونون كراهتهم الغير موضع الشفقة على
الخلق لا من طريق التعزز والترفع على احد من المسلمين

خصائص اهل الربط

الباب الخامس عشر في خصائص اهل الربط والصوفية

اعلم ان فاستبين هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ولسكان
الربط احوال تميزوا بها عن غيرهم ومايرى من تقصير في حق بعضهم من
اهل زماننا لا يقدح في اصل امرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقي من الاثر
واجتماع المتصوفة في الربط وما هيأه الله لهم من الرفق ببركة جمعية بواطن
المشايخ المتقدمين وصورة الاجتماع الان في الربط على طاعة الله تعالى
والتزين بظاهر الاداب عكس ما كان من جمعية بواطن الماضين وسلوك
الخلف ينبغي ان يكون على نهج السلف فيكونون في الرباط كجسد واحد
بقلوب متفقة وعزائم متحدة قال الله تعالى في وصف المؤمنين كأنهم بنيان
مرصوص ووصف الكفار بقوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يدل
على اجتماع المؤمنين ظاهرا وباطنا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
انما المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى عضو من اعضائه اشتكى جسده
اجمع فاذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون فوظيفة الصوفية اللازمة لهم
حفظ اجتماع البواطن وازالة التفرقة بازالة شعث البواطن لانهم رابطوا

في الربط

في الربط لتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطة فلا بد من التودد
والنصح وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وعنه رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم ويستعين بقويهم
فان بعضهم عين على البعض على ما ورد المؤمن مرآة المؤمن فاي وقت ظهر من
احدهم اثر التفرقة انكروه لان التفرقة تظهر بظهور النفوس وظهورها من تضييع
الوقت فاي وقت ظهرت نفس الفقير علموا خروجه من دائرة الجمعية وحكموا
عليه بتضييع الوقت قال رويم لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا
هلكوا وهذا اشارة الى حسن تفقد بعضهم بعضا لحفظ المنافرة فاذا اصطلحوا
وارتفعت المنافرة يخاف ان تخامر البواطن المساهلة والمراياة ومسامحة
البعض البعض في اهمال دقيق الاداب وبذلك تظهر النفوس وكان عمر
رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وعنه رضي الله عنه
انه قال في مجلس فيه المهاجرون والانصار رضي الله عنهم ارايتم لو ترخصت في
بعض الامر ماذا كنتم فاعلين قال فسكتوا حتى قال ذلك مرتين او ثلاثا
فقال بشير بن سعد رضي الله عنه لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح
فقال عمر رضي الله عنه انتم اذا انتم فاذا ظهرت نفس الصوفي بغضب فسبيل
اخيه ان يقابلها بالقلب فان ذلك يحسم مادة الشر واذا قوبلت بالنفس
ثارت الفتنة قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا، واذا استشكى فقير من اخيه
الى الشيخ او الخادم قال المشتكى اليه لم تعاتب وللاخ ما الذي اذنبت حتى
تعدى عليك وتسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب فكل منهما
جان وخارج من دايرة الجمعية فيرد الى الدايره بالنفار فيرد الى الاستغفار
ولا يتسلط سبيل الاصرار، قالت عايشه رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا
واذا اساوا استغفروا ايبطنون للاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا
مع الله تعالى ويرون الله في استغفارهم فلاجل هذا المعنى يقعون في
صف النعال على اقدامهم تواضعا وانكسارا، قال الشيخ وسمعت شيخنا
يقول للفقير اذا جرى بينه وبين اخوانه وحشة ثم استغفر فربما يقول
الفقير ما ارى باطنا صافيا ولا اوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفا
فيقول قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفا وكان يجد ذلك ويرى
اثره على الفقير ويرق القلب وترتفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة
لا يتسعون وفي بواطنهم وحشة ولا يجتمعون على طعام كذلك ولا يرون
الاجتماع في ظاهر دون باطن واذا قام الفقير الى الاستغفار لا يجوز رد
استغفاره بحال، قال صلى الله عليه وسلم ارحموا اخاكم عفوا يغفر
لكم، وللصوفيه في تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار اصل من السنة،
قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كنا في سرية فحاص الناس حيصة وكنت
فيهم فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا

لو عرضنا

رابع
٣٠

لو عرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لنا توبة والا ذهبنا
فاتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم فقلنا نحن الفرارون قال صلى الله
عليه وسلم بل انتم العكارون انا فيئتكم انا فيئة المسلمين قال فاتيناه حتى
قبلنا يده، والعكار العطاف والرجاع فقال عكر الرجل اذا تولى ثم كر راجعا
ولكن ادب الصوفي انه اذا راى نفسه متعززا بذلك كذلك ان تطهر توضعها
ان تمتنع من ذلك فان سلم من ذلك فلا باس بتقبيل اليد ومعانقة
الاخوان عقيب الاستغفار انما كان لرجوعهم الى الالفة بعد الوحشة
وفقدهم من سبق الهجرة بالعرفة الى اوطان الجمعية ومن استغفر لاخيه
فلم يقبله كان كما قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر الى اخيه معذرة فلم يقبلها
كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس، ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال من
تنصل اليه فلم يقبل لم يرد الحوض، ومن الادب وهو من السنة ان يقدم
للاخوان شيئا بعد الاستغفار، روي ان كعب بن مالك رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من توبتي ان انخلع من مالي كله واهجر
دار قومي التي فيها اتيت الذنب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجزيك من
ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار
والمنافرة وقصدهم في ذلك رعاية التالف، ثم شرط الفقير الصادق اذا
سكن الباطن واكل من وقفه او ما يطلب لسياحته بالدروزة ان يكون
عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب معه والا اذا كان للبطالة
والخوض فيما لا يعنيه عنده مجال فلا يقوم بشرط اهل الارادة من الجد والاجتهاد

فلا ينبغي ان ياكل من مال الرباط شيا ويكتسب ويأكل من كسبه لان طعام
الرباط لاقوام كمل شغلهم بالله الا ان يكون تحت نظر شيخ عالم بالطريق
فيرى الشيخ ان يطعمه من حاله ما يكون للشيخ في ذلك من النية ان
يشغله بخدمة الفقرا فيكون ما ياكله في مقابلة خدمته ولا نزال مشايخ
الصوفية يندبون الشباب الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل احد يكون
له حظ من المعاملة ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة الا كامل الشغل بوقته
ولا يعني بكمال الشغل شغل الجوارح وانما شغل القلب والقالب وفنا
بالقلب ورضا بالقالب ويعقد الزيادة من النقصان وبذلك يودي شكر
نعمة الكفاية والفراغ وفي البطالة كفران نعمتها، وعن سري رضي الله عنه انه
قال من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، وقد يعذر الشيخ العاجز
عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشباب، هذا كله في شرط
طريق القوم فاما من حيث فتوى الشرع ان كان شرط الوقف على الصوفية
وعلى من يتزيا بزيهم ويلبس خرقتهم يجوز ذلك لهم على الاطلاق وفي ذلك
قناعة بالرخصة دون العزيمة التي هي شغل اهل الارادة وان كان
شرط الواقف على من يسلك مسالك طريق الصوفية عملا وحالا فلا يجوز
اكله لاهل البطالات وطريق اهل الارادة عند الصوفية معلومة مشهورة ●

الباب السادس عشر في ذكر اختلاف احوال مشايخهم في السفر والمقام

احوال مشايخهم بالسفر

اختلفت احوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في بدايته واقام في نهايته
ومنهم من عكس ذلك ومنهم من اقام بدايتها ومنهم من سافر فيهما فاما

الاول

الاولى فمفصلة معان منها بطلب شيء من العلم، روي ان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس رضي الله عنه يحدث
به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من
بيته في طلب علم فهو في سبيل الله حتى يرجع، وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال كنا ناتي ابا سعيد رضي الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان الرجال
ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا
والحديث المشهور من سلك مسلكا في طلب العلم سهل الله له طريقا الى الجنة
ومنها لقاء المشايخ والاخوان الصالحين فالمريد يلقا كل صادق
مريد وينفعه لحظ الرجال لعظهم وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك
لفظه لان نظر العلماء الراسخين ترياق نافع فاذا نظر مريدا صادقا احيا
قلبه فيتطلع اليه نظرة عن بصيرة فيكسبه نظره حالا سنية واثارا
مرضية وما ينكر من ذلك وقد جعل الله تعالى في بعض الافاعي من الخاصية
انه اذا نظر الى الانسان اهلكه بنظره فكذلك لا يبعد ان يجعل في نظر
بعض خواص عباده انه اذا نظر الى مريد صادق يكسبه حالا وحياة، قال
الشيخ وقد كان شيخنا يطوف في مسجد الخيف بمنى فقيل له في ذلك فقال
لله عبادا اذا نظروا الى شخص كسوه سعادة فانا اطلب ذلك ●
ومنها قطع العلائق والانسلاخ من العادات وتخريج النفس
مرارة فرقة الالاف والاوطان لتحتسب ذلك عند الله تبارك وتعالى ●

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مات رجل بالمدينة ممن ولد
بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده
قالوا ولم ذاك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا مات بغير
مولده فيقاس له من مولده الى منقطع اثره في الجنة ومنها استكشاف
دفاين النفوس واستخراج رعونتها ودعاويها ويسمى السفر سفرا لانه
يسفر عن الاخلاق فاذا وقف على داء النفس تداركه بدوائه وقال الثوري
المتصوف يترك كل حظ للنفس فاذا سافر المتصوف قاصدا ترك
حظ نفسه الطائف بالاماكن ويكون لها بالتعود باعث يذهب عنها
بالخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية او طبيعة الامهات
ومنها رؤية الآثار والاعتبار ومطالعة اجزاء الارض والجبال ومواطي
اقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان
حال القطع المتجاورات فقد يتجدد اليقظة بمطالعة ذلك لما يجمعها
من الشواهد والآيات قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق وكان السري رضي الله عنه يقول للصوفية
اذا خرج اذار واورقت الاشجار طاب الانتشار ومنها اثبات الخمول
وطرح حظ القبول فصدق الصادق يثبت على حسن الحال ويرزق من الخلق
حسن الاقبال وكان بعضهم يقول ازيد اقبال الخلق علي لان في فيه حظا
فاني لا ابالي اقبلوا ام ادبروا ولكن ليظهر قبول الخلق علامة يدل على
صدق الحال فاذا ابتلي المريد بذلك لا يأمن نفسه ان يدخل عليه بطريق

الركون الى الخلق وربما يفتح له باب من الرفق ويدخل عليه النقص من طريق البر
ويريد ان ذلك وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله تعالى ولا يزال
بهم والشيطان به حتى يجره الى الركون الى الاسباب واستحلا قبول
الخلق وربما قويا عليه وجراه الى التصنع والتجمل ويتسع الخرق على
الراقع كما قال بعض الصالحين لمريد انت الان في مقام لا يدخل عليك
الشيطان من طريق الشر ولكن من طريق الخير وهذه مزلة عظيمة للاقدام
فالله تعالى يتدارك الصادق اذا ابتلي بشيء من ذلك ويرجعه بالعناية
السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر ويفارق المعارف والموضع الذي
فتح له فيه هذا الباب وهذا من احسن المقاصد في الاسفار فهذه
جملة المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا الحج والغزو وزيارة النبي
صلى الله عليه وسلم وزيارة بيت المقدس فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما
خرج من المدينة قاصدا بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم اسرع
راجعا الى المدينة من الغد وقال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا
الى ثلاث مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ثم اذا من
الله تعالى على المريد الصادق باحكام اموره بدايته فعليه في الاسفار بتلك
المقاصد كما قال تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه
ويمده بمزيد العناية ويجعله اماما للمتقين به يقتدى وعلما للمؤمنين به يهتدى
واما الذي اقام في بدايته وسافر في نهايته فيكون ذلك لشخص بستر

الله تعالى له في بداية امره صحبة صحيحة وتنبض له شيخا عالما يسلك به
الطريق ويدرجه في منازل التحقيق ينال بركة صحبته وقد كان الشبلي يقول
للحصري في ابتداء امره ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة شي غير الله تعالى
فحرام عليك ان تحضرني لمن رزق مثل هذه الصحبة حرم عليه السفر
وعن ابي بكر الدقاق رحمه الله انه كان يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب
عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة لمن رزق صحبة من يقتدى به الى مثل
هذه الاحوال حرم عليه مفارقته ثم اذا احكم امره في الابتداء بلزوم الصحبة
وحسن الاقتداء وترقى من الاحوال وبلغ مبلغ الرجال فلا غرو ان يستنشق
نفس الرحمن من صدور العارفين من الاخوان في اقطار الارض ويكثر بركته
وصحبته اهل الصلاح وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من اتبعه لا
ينقص ذلك من اثامهم شيئا واما من اقام ولم يسافر اصلا فيكون
ذلك لشغل بالحق سبحانه وتولاه وجذبه بعنايته وقد وردت جذبة
من جذبات الحق توازي اعمال الثقلين ثم لما علم منه الصدق وراى حاجته
الى من ينتفع به ساق اليه بعض الصديقين حتى ايده بلطفه ولطفه
وتداركه بلحظه وكفاه بسير الصحبة لكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب
ويكفي بتوافر حظ الاستبصار عن الاسفار كما قال بعضهم الناس يقولون
افتحوا اعينكم وابصروا وانا اقول غمضوا اعينكم وابصروا قيل ارسل

ذو النون

ذو النون المصري رضي الله عنه الى ابي يزيد رجلا وقال قل له الى متى النوم والراحة
وقد سارت القافلة فقال قل لاخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في
المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه احوالنا
وكان بشر رضي الله عنه يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا
كثر مكثه في موضع تغير فقال بعضهم عند سماع هذا الكلام صر بحرا
حتى لا تتغير فاذا ادام المريد سفر الباطن بقطع مسافة النفس الامارة
بالسوء حتى قطع منازلها تبدلت اخلاقها المذمومة بالمحمودة وعاين
الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد
في حضره اكثر من سفره اذ السفر لا يخلو من طوارق وتوازل تضعف
عن شباتها بالعلة الضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات
السفر وتوازله الا الاقوياء قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده
اصحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما
اراك تعرفه فاذا حفظ العبد في بداية امره من تشويشات السفر ورزق
حسن الاقبال في الحضر وسيق اليه من الرجال من يكتسب به صلاح الحال
فقد احسن الله اليه وهو في انتظام من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب واما الرجل الرابع الذي ادام السفر بداية ونهاية
فرجل راى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك قال بعضهم اجتهد ان تكون
كل ليلة ضيف مسجد ولا تمت الا بين منزلين وكان من هذه الطبقة ابراهيم
الخواص رحمة الله عليه ما كان يقيم في البلد اكثر من اربعين يوما وكان يرى

انه اذا اقام اكثر من ذلك انعقد عليه توكله فكانه يرى علم الناس به
ومعرفتهم اياه سببا، وحكى عبد الله قال مكثت في البادية احدى عشر
يوما لم اكل وتطلعت نفسي ان اكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلا
نحوي فهربت منه ثم التفت فاذا هو راجع عني فقيل له لم هربت منه قال
تشوفت نفسي الى ان يغيثني فهؤلاء الفرارون بدينهم، وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال احب شيء الى الله تعالى الغرباء قيل وما الغرباء قال الفرارون
بدينهم يجتمعون الى عيسى بن مريم يوم القيامة وهذه احوال اختلفت واتبع
اربابها الصحة وحسن النية مع الله تعالى بقضية الصدق فمن سافر
ينبغي ان يتفقد حاله ويصحح نيته ويخلصها من شوائب النفس ولا يستطيع
ذلك الا كثير العلم تام التقوى وافر الزهد ومن انطوى على هوى كامن
ولم يستقص في الزهد لا يقدر على تخليصها اذ قد يدعوه الى السفر نشاط
جبلي نفساني وهو يظن ان ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعي النفس
وداعي الحق ويحتاج الى تصحيح النية الى العلم بمعرفة الخواطر وشرح ذلك
يحتاج الى باب مفرد ويؤدي من ذلك الى شيء يدركه من نازله شيء من ذلك
واكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفته على بعد، اعلم ان نشاط النفس
يقع للفقير في كثير من الامور فقد يعرض له الخروج الى الصحراء او بستان وان
كان حضرته ذلك في ثاني الحال وان نزلت له طيبة القلب في الوقت
ولم يطيبة القلب ان النفس تتسع وينفتح سلوغ عرضها لذلك التنزه
فيتعذر عن القلب بذلك فيتروح القلب ببعدها عنه لا بالصحرا كشخص

يبعد عنه ثقيل يستثقله ثم اذا عاد الفقير الى زاويته واستقبل معتاده
من المعاملة عادت النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما
ازداد ثقلها تكدر القلب ويستبشر بان ثقلها استمر شأنها في نيل هواها
فيصير الخروج الى الصحراء عين الداء ويظن الفقير انه ترويح ودواء ولو صبر
على الخلوة ازدادت النفس دواء فاما خفت ولطفت وصارت قرينا صالحا
للوقت، وعلى هذا ايقاس الترويح بالاسفار بالنفس ثبات الى مواهم الترويحات
فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر بالترويحات المستعارة التي لا تحمد عاقبتها
ويثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه متهما ظنه بالنفس
ونشوبها بالآفات فانه يدخل على الفقير من هذا الوجه آفات كثيرة ويدخل في
مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه انه من نهوض قلبه وربما يترا الخ انه
بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك وقد ابتلي بنهضة النفس ووثوبها
ولا يقع هذا الاشتباه الا لارباب القلوب وارباب الاحوال وغيرهم عن
هذا بمعزل، وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام فما علم ذلك فانه
عزيز عليه واكثر مراتب الفقراء في مبادي الحركة بتقديم صلاة الاستخارة فلا
يهمل اصلا ولو بان له صحة خاطره في الحركة او بان له وجه المصلحة بسبب
اوضح من الخاطر فلا يترك صلاة الاستخارة اتباعا للسنة ففي ذلك بركة
عظيمة، عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا
الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال اذا هم احدكم بالامر فليصل
ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك

بغدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم
وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم هذا الامر وتسميه خيرا لي في
ديني ومعيشتي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله فاقدره لي
ثم بارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعيشتي وعاقبة امري
او قال عاجل امري واجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث
كان انك على كل شي قدير

الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه الصوفي في سفره من الفرايض والفضايل

ما تحتاج اليه الصوفيه

لا بد للصوفي المسافر من تعلم علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع
في الصلاة ويعرف ذلك من كتب الفقه الموضوعة له وليس عليه الاتساع
في معرفة تفاريع هذه الاحكام انما عليه معرفة الشرايط المبيحة لذلك
والفرض والسنن والمبطلات وكيفية كل واحد منها المفروضة والمسنونة
وينبغي له ان يطلب لنفسه رفيقا في الطريق يعينه على امر الدين
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده وان كان
صوفيا عالما ان يعينه يختار الوحده وعلى بصيرة من امره فلا باس له
بها وان كانوا جماعة ينبغي ان يومروا احدهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم وينبغي ان يكون ازهد الجماعة في الدنيا
واوفرهم في التقوى واتمهم مروة وسخاوة واكثرهم شفقة نقل عن
عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال على ان اكون انا الامير او انت
قال بل انت فلم يزل يحمل الزاد على ظهره لنفسه ولابي علي ومطرت السما ذات ليلة

فقام عبد الله

فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه يغطيه بكسا من المطر وكلما قال له
لا تفعل قال الست الامير عليك الانقياد والطاعة اما ان يكون الامير
يستعمل الفقرا بحجة الاستتباع والرياسة والتعوذ ليتسلط على
الخدام في الربط ويتمكن بهم للدخول على ابنا الدنيا ويبلغ بنفسه هواها
فهذا طريق ارباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية وهو يشبه من
يريد جمع الدنيا ومثل هذا الجمع لا يخلو عن الدخول في الغيبة والدخول في
المداخل المكروهة واذا كثر معلوم في رباط اطالوا المقام فيه وان قلت
اسباب الدنيا وان قل رحلوا وان كثرت اسباب الدين ومن المستحب ان
يودع اصحابه اذا اراد السفر ويدعوا لهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة الى المدينة فلما اردت
مفارقته شيعني ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمن
ان الله سبحانه وتعالى اذا استودع شيا حفظه واني استودع الله
دينك وامانتك وخواتيم عملك وعن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله
جاعل له في دعايهم البركة وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع
رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت
وينبغي ان يعتقد لاخوانه ان دعاه لهم مجاب وروي ان رجلا اتى عمر رضي الله عنه
ومعه ابنه فقال ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه
يا امير المومنين اني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني

علي مثل هذه الحال فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت واذا
هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار علي قبرها فقلت للقوم ما هذه النار
فقالوا هذا من قبرها انه نراه كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة
فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب
فقيل ان هذه وديعتك ولو كنت استودعتنا امه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه
لهو اشبه بك من الغراب بالغراب، ويستحب ان يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين
ويقول اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير اينما توجهت
قال انس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينزل
منزلا الا ودعه بركعتين فينبغي ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين
واذا ركب الدابة فليقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين بسم الله
والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم انت
الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور، والسنة ان يرحل من
المنازل بكرة ويبتدي يوم الخميس، قال كعب بن مالك رضي الله عنه قل ما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وكان صلى الله
عليه وسلم اذا اراد ان يبعث سرية بعثها اول النهار، ويستحب كلما اشرف
علي منزل ان يقول اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين
اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شره وشر اهله واذا نزل
فليصل ركعتين، ومما ينبغي ان يصحب المسافر آلة الطهارة كان ابرهيم

الخواص

الخواص رضي الله عنه لا يفارقه اربعة اشيا في الحضر والسفر الركوة والحبل
والابرة وخيوطها والمقراض، وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه خمسة اشيا المراة والمكحلة والمدرا
والسواك والمشط وفي رواية المقراض وفي رواية ان قارورة الدهن كانت
لا تفارقه، والصوفية لا تفارقهم العصا وهو ايضا من السنة، قال صلى الله
عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابرهيم وان اتخذ عصا فقد اتخذها ابرهيم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما التوكي على العصا من اخلاق الانبيا عليهم السلام
وكان صلى الله عليه وسلم له عصا يتوكا عليها ويامر بالتوكي على العصا، واخذ
الركوة ايضا من السنة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا من ركوة
الحديث، ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة، عن ابي سعيد
رضي الله عنه قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة
الى مكة فقال اربطوا اوساطكم بازركم، ومن ظاهر اداب الصوفية عند خروجهم
من الرباط ان يصلي ركعتين في اول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع
بذلك البقعة ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم ياخذ
الذي يشد به وسطه وياخذ خريطة المداس وينفضها وياتي الموضع الذي
يريد ان يلبس الخف فيه فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل احد المداسين
بالاخر وياخذ المداس باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس في الخريطة
اعقابها الى اسفل ويشد راس الخريطة ويدخلها بيده اليسرى من كمه
الايسر ويضعها خلف ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيسار

وينفضه ويبدأ باليمين فيلبس ولا يدع شيئا من الران والمنطقة يقع على
الارض ثم يغسل يديه ويجعل وجهه الى الموضع الذي يخرج منه ويودع
الحاضرين فان اخذ بعض الحاضرين زاويته الى خارج الرباط لا يمنعه وهكذا
العصا والابريق ويودع من شيعه ثم يشد الزاويه ويرفع يده اليمنى ويخرج
المستري من تحت ابطه الايمن ويشد الزاويه على الجانب الايسر ويكون
كتفه الايمن خاليا وعقد الزاويه من جانبه الايمن واذا وصل في طريقه الى
موضع شريف واستقبله جمع من الاخوان او شيخ من الطوائف حل الزاويه
وحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم اذا جاوزوه يشد الزاويه واذا وصل الى
المنزل راجلا كان او غيره يحل الزاويه ويحملها تحت ابطه الايسر والعصا والابريق
يمسك بيمينه وهذه الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجبل ولا يعتمدها
اكثر فقراء العراق والشام والمغرب ويجري بين الفقراء مشاحة في رعايتها
فمن لا يعتمدها يقول هذه رسوم والتزامها وقوف مع الصور وغفلة عن
الحقايق ومن يعتمدها يقول هذه وضعها المتقدمون واذا راوا من يخل بها
ينظرون اليه نظر الازدراء والحقارة ويقولون ليس هذا بصوفي وكلا الطائفتين
في الانكار يتعدون الواجب والصحيح في ذلك ان من اعتمدها لا ينكر عليه
فليس بمنكر في الشرع وهو ادب حسن فيجعل التصاريف الاخوان اعذارا ما لم
يكن فيه منكرا واخلالا بمندوب اليه ومن لم يلتزم ذلك فلا ينكر عليه
فليس بمندوب في الشرع والله اعلم.

الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط

القدوم من السفر

ينبغي للفقير

ينبغي للفقير اذا رجع من السفر يستعيذ بالله من ثلاث الفقر كما يستعيذ
به من وعثاء السفر. ومن الدعاء المأثور اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر
وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد. واذا اشرف على بلد يريد
المقام بها يبتدي بالسلام على من بها من الاحياء والاموات ويقرا من القران
ما تيسر ويجعله هدية للاحياء والاموات ويكبر فقد روي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا قفل من حج او غزو يكبر على كل شرف من الارض ثلاث مرات ويقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير ايبون
تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ويقول اذا راى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو
اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين اغتسل
لدخول مكة. وروي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب ونزل المدينة
نزع لامته واغتسل واستحم والاولى ان يجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد
للقاء الاخوان بذلك وينوي التبرك من هنالك بزيارة الاحياء والاموات.
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رجل يزور اخا له
في الله تعالى فارصد الله تعالى له بمدرجته ملكا فقال اين تريد قال ازور فلانا فقال
القرابة قال لا قال فنعمة له عليك قال لا قال فبم تزوره قال اني احبه في الله قال
فاني رسول الله اليك انه يحبك بحبك اياه. وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عاد الرجل الرجل او زاره في الله تعالى
قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا. وقال

صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت فيحصل للفقير فائدة من
الاحياء والاموات بذلك فاذا دخل البلد يبتدي فيدخل مسجدا من مساجده
فيصلي فيه ركعتين وان قصد الجامع كان اكمل وافضل فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت
والرباط للفقير مثل البيت ثم يقصد الرباط وذلك من السنة عن طلحة بن
عبيد الله رضي الله عنه قال كان الرجل اذا قدم المدينة فان كان له بها عريف نزل
على عريفه وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت فيمن نزل الصفة فاذا
دخل الرباط مضى الى الموضع الذي يريد نزع الخف فيه فيحل وسطه وهو قائم
ثم يخرج الخريطة بيساره من كمه اليسار ويحل راس الخريطة باليمين ويخرج
المداس باليسار ويضعه على الارض وياخذ الخف بيده ويلقيها في وسط الخريطة
ثم ينزع خفه بيده اليسار وان كان على وضوء غسل قدميه من تراب الطريق
والعرق واذا قدم على السجادة طوى بعض السجادة من الجانب الايسر
ومسح قدميه على ما انطوى منها ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم
ويحفظ القدم ان يطأ به موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة
مما استحسنها بعض اشياخ الصوفية فلا ينكر وسنتهم في ذلك تعليم المريد
في كل شيء هيئة مخصوصة حتى يكون متفقد الحركات لا يقدم على حركة من
غير قصد وعزيمة وادب ومن اخل من الفقراء بشيء من ذلك لا ينكر عليه ما لم
يخل بواجب او مندوب لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقيدوا
بكثير من رسوم الصوفية ومن انكر شيئا من ذلك فهو غالط في امره ومن

لم يكن في سفره مشدود الوسط او كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق
ان يدخل كذلك ولا يتعمد شد الوسط وتشمير الاكمام فانه تكلف وتطرق
الى التملق ومن كان في سفره مشدود الوسط مشمر الاكمام دخل الرباط
كذلك ومما ينكر على المتصوفة انهم اذا دخلوا الرباط لا يبتدرون بالسلام
لكون ذلك خلاف السنة ولا ينبغي المبادرة الى الانكار دون ان يعلم
مقاصدهم وتركهم السلام يحتمل وجوها احدها ان السلام اسم من اسماء
الله تعالى وقد روي انه صلى الله عليه وسلم مر عليه رجل وهو يبول فسلم
عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل ان يتوارى فضرب بيده على الحائط ثم
مسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح ذراعيه ثم رد على الرجل السلام
وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر وروي انه لم يرد عليه
حتى توضا ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت ان اذكر الله تعالى الا على طهر
وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر فيتفق لاحدهم حدث فلو
سلم المتوضي وامسك المحدث ظهر حاله فيمسك السلام حتى يتوضا من
لم يتوضا ويغسل قدميه من لم يغسل ستر الحال على من احدث حتى يكون
سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون
بعض المقيمين ايضا على غير طهر فيستعد لرد السلام بالطهارة ومنها
انه اذا قدم عانقه الاخوان فقد يكون معه من اثار السفر ما يكره فيستعد
للوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها ان يكون في الربط ارباب
مراقبة واحوال فلو هجم عليهم بالسلام فقد يتزعج منهم مراقب فاذا تقدم

استئناس بدخوله واستحلاله بوضوء او غسل القدم وصلاة ركعتين
فاهو الذي فاتهم بعد سابقة الاستئناس ، وللقوم آداب
وردها الشرع كسنة الوسط والعصا والركوة وبسط السجادة ، وقد
سبق دليله والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار ، رواه
جابر وابو هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا
وكون احدهم لا يجلس على سجادة الآخر ، قال صلى الله عليه وسلم ولا
يجلس على تكرمته الا باذنه واذا سلم على اخوانه عانقهم وعانقوه
روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من
الحبشة عانقه وان قبلهم فلا باس بذلك ، روي انه صلى الله عليه وسلم
قبل بين عيني جعفر رضي الله عنه وقال ما انا بفتح خيبر اسر مني بقدوم
جعفر رضي الله عنه ، ويصافح اخوانه ، واحاديث المصافحة مشهورة ●
ويندب للمقيمين ان يستقبلوه بالترحيب ، قال عكرمة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جئته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين
وان قاموا اليه فلا باس ، روي انه صلى الله عليه وسلم قام لجعفر
رضي الله عنه يوم قدومه ، ويندب للخادم ان يقدم له الطعام ، قال
لقيط بن صبرة رضي الله عنه وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
نصادفه في منزله وصادفنا عائشة رضي الله عنها فامرت لنا بالخزيرة فصنعت
لنا واتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فاكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اصبتم شيئا قلنا نعم يا رسول الله ، ويندب للقادم ان

يقدم للفقرا

يقدم للفقراء شيئا لحق القدوم ، روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
نحر جزورا ، وكراهية القدوم بعد العصر لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الطروق
ليلا ، والصوفية يستعدون في ذلك الوقت لاستقبال الليل بالطهارة
والانكباب على الاذكار والاستغفار فاعطي حكمه ، واستحباب القدوم
في اول النهار لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فان فات اول النهار لعذر من ضعف ونحوه
فيعذر في بقية النهار الى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر نسب الى
تقصيره في الاهتمام بالسنة ، وقدوم اول النهار فيمسك عن القدوم الى الغد
ويقدم ضحوة النهار ، وايضا فيه معنى آخر وهو ان الصلاة بعد العصر مكروهة
والسنة للقادم ان يصلي ركعتين عند قدومه وقد يكون من القادمين
من يهوله الدرية بالرباط فتناله دهشة ، فمن السنة التقرب اليه والتودد
حتى ينشط ويذهب دهشه ، قال ابو رفاعة رضي الله عنه اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسال عن
دينه لا يدري ما دينه قال فاقبل صلى الله عليه وسلم علي وترك خطبته ثم
اتي بكرسي قوائمه من حديد فقعد عليه ثم جعل يعلمني مما علمه الله ثم اتى
خطبته واتم آخرها ، فاحسن حال الفقراء الرفق بالمبتدئين واحتمال المكروه
من مسموع او مرئي ، وقد يدخل فقير الرباط فيجالس بعض من اسمه الصوفية
فينهره ليخرج وهذا خطأ كبير فقد يكون خلق كثير من الاولياء والعلماء
لا يعرفون هذه المراسم الظاهرة فليحذر ذلك وينظر الى اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

وما كان يعتمد من المداراة والرفق، وقد روي ان اعرابيا دخل المسجد فبال
فنهى صلى الله عليه وسلم عن نهره وامر بذنوب من ماء فصب على بوله ولم ينهه
بل رفق به رعاية الواجب بالرفق واللين والفظاظة والغلظة والتسلط
على المستهين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال الصوفية
ومن دخل الرباط ممن لا يصلح المعاشرة اصلا اصرف باحسن وجه والطف بعد
ان يقدم له طعام ويحسن معه الكلام ومما يتعهده الفقراء ان يخدم الخادم
بخلق حسن ومعاملة صالحة وردت بها السنة، قال عمر رضي الله عنه
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله
ما شانك فقال صلى الله عليه وسلم ان الناقة اقحمتني وهذا عند الحاجة
اليه اما من يتخذ ذلك عادة ومجلبة للنوم ويرى ذلك لا يليق بحال الفقراء
وان كان مباحا، ومن اداب الفقير انه اذا استقر لا يبتدي بالكلام حتى
يسال ويستحب ان يمكث ثلاثة ايام لا يقصد زيارة ولا مشهدا انما حركته
العادة بزيارته حتى يذهب عنه وعثاء سفره ويعود باطنه الى هيئته اذ قد
يتغير بعوارض السفر فيكون ذلك ادعى لحفظه من كل خير يفصل من زيارة
شيخ او اخ في الله تعالى او مشهد، قال الشيخ وقد كنت اسمع شيخنا
يوصي به اصحابه ويقول لا تكلموا اهل هذه الطريق الا في صفاء وقتكم
والسر فيه ان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب،
وينبغي اذا دخل على شيخ او اخ يزوره ان يستاذنه اذا اراد الانصراف
فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اذا زار

قال اذا زار احدكم اخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستاذنه، وكذلك
ايضا اذا اعتكف في الرباط لا يخرج الا باذن المقدم فيه ولا يفعل شيئا دون
ان ياخذ رايه فيه، فهذه جملة اعمال يعتمدها الصوفية واهل الربط زادهم الله
توفيقا ونبهنا اوابا بكرمه،

حال المتصوف

الباب التاسع عشر في حال المتصوف المتسبب

اختلف احوال الصوفية فمنهم من كان على الفتوح لا يتسبب بكسب
ولا سوال، ومنهم من كان يكتسب ولا يسال، ومنهم من كان يسال وقت
فاقته، ولهم في ذلك ادب وحدود يراعونها، ولا ينبغي للفقير ان يسال
مهما امكن التسبب، عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يتضمن لي واحدة اتقبل له بالجنة قال ثوبان رضي الله عنه
قلت انا قال صلى الله عليه وسلم لا تسال الناس شيئا فكان ثوبان رضي الله عنه
يسقط علاقة سوطه فلا يامر احدا يناوله وينزل هو وياخذها،
وعن ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ
احدكم حبلا فيحتطب على ظهره فياكل ويتصدق خير له من ان ياتي رجلا
فيساله اعطاه او منعه ذلك فان اليد العليا خير من اليد السفلى، وعن بلال
ابن حصين رضي الله عنه قال قدمت المدينة فنزلت دار ابي سعيد رضي الله عنه
فضمني واياه المجلس فحدث انه اصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فاصبح
وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امراتي ائت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد اتاه فلان فاعطاه واتاه فلان فاعطاه قال فاتيته وقلت

التمس شيئا فذهبت اطلب فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يخطب ويقول من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا
شيئا فوجدناه اعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو احب
الينا ممن سألنا قال فرجعت وما سألته فرزق الله عز وجل حتى ما اعلم اهل
بيت من الانصار اكثر اموالا منا وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال
المسألة باحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم وقال صلى الله
عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان
ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفطن مكانه فيعطى فهذا حال
الفقير الصادق ومنهم من يلزم الادب حتى يؤديه الحال يستحيي من الله
ان يسأله شيئا من امر الدنيا فاذا همت نفسه بالسؤال ردته الهمة ويرى
الاقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما
قال الخليل عليه السلام لما جاءه جبريل عليه السلام وهو في الهوى قبل
ان يصل الى النار فقال له هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك
فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن بعضهم كان يقول اذا وجد الفقير
نفسه تطالبه بشيء فذاك اما لرزق يسوقه الله تعالى اليه وقد تستطلع
نفوس العقلاء الى ما سوف يحدث واما ان يكون عقوبة ذنب فاذا وجد
الفقير ذلك من نفسه بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصلي ركعتين
ثم يقول يا رب ان كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فاستغفرك واتوب
اليك وان كان رزقا قدرته لي فعجل وصوله الي فان الله تعالى يعجل اليه ان

مطلب اسباغ الوضوء لطلب الرزق

كان لرزق

كان لرزق يسوقه اليه والا اذهب المطالبة عن باطنه فشأن الفقراء
بترك الحول ثقة بالله تعالى فاما ان يرزقه الشيء او الصبر عنه او اذهاب ذلك
عنه ولله تعالى ابواب من طريق الحكمة وابواب من طريق القدرة فان فتح له باب
من طريق الحكمة والا فتحه له من طريق القدرة ويأتيه الشيء لخرق العادة كما
كان يأتي مريم بنت عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا واولى
من سأله الانسان نفسه يسألها الصبر الجميل فان الصادق يجيبه نفسه
وقد قيل في هذا المعنى

اذا شئت ان تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وان ابت فكل منوع بعدها واسع العذر

فاذا استعد الفقير الجهد من نفسه واشرف على الضعف وخيف الضرر
وسأل مولاه ولم يقدر له شيئا ووقته يضيق عن التكسب من شغله بحاله فعند
ذلك يقرع باب السؤال فقد كان بعض الصالحين يفعل ذلك عند الفاقة
نقل عن ابي سعيد الخراز انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل
عن ابي جعفر الحداد وكان استاذ الجنيد انه كان يخرج بين العشائين ويسأل
من باب او بابين على قدر حاجته يفعل ذلك بعد يوم او يومين ونقل عن
ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر
بعد ثلاث ليال ليلة فطره يطلب من الابواب ونقل عن سفيان الثوري انه
كان يسافر من الحجاز الى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت اذكرهم

حدثنا في الضيافة فيقدم لي الطعام فأتناول حاجتي وأترك الباقي، وقد ورد
من جاع ولم يسأل فمات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبتلى بمثل
هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم، وحكي عن بعضهم أنه قال صحبت
مع القافلة ونويت أن لا أسأل اعتناءً بعلم الله تعالى فيّ فبقيت مدة في الطريق
لا يفتح لي بما آكل وما أشرب في وقت الحاجة ثم وقف الأمر علي حتى ضعفت عن
المشي وتأخرت عن القافلة فقلت في نفسي هذا إلقاء النفس إلى التهلكة
وقد منع الله من ذلك فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني إنكار لهذه الحالة
وقلت عزيمة عقدتها مع الله تعالى لا أنقضها وهان علي الموت دون ذلك
فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت نفسي أنتظر الموت وذهبت
القافلة فبينا أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركني فقمت وفي
يده إداوة فيها ماء فقال اشرب فشربت ثم قدم لي طعاماً وقال لي كل
فأكلت ثم قال لي تريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد غربت فقال
لي قم وأخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال اجلس فالقافلة إليك تجي
فجلست ساعة فإذا أنا بالقافلة ورأيته متوجهاً إلي فهذا شأن من
يعامل مولاه بالصدق، وذكر الشيخ أبو طالب المكي أن بعض الصوفية
أوّل قوله صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل المرء من كسب يده أنه المسألة
عند الفاقة وأنكر الشيخ أبو طالب هذا التأويل، قال الشيخ ويقع لي
أن الصوفي لم يرد بكسب اليد ما أنكره الشيخ أبو طالب وإنما أراد بكسب
اليد رفعها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أحل ما يأكله إذا أحب الله

سواله

سؤاله ويشتاق إليه رزقه، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام إني
لما أنزلت إلي من خير فقير، قال ابن عباس رضي الله عنهما قالها وإن خضرة البقل
تتراءى في بطنه من الهزال، وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
عن النصرآباذي أنه لم يسأل غذاء النفس وإنما أراد سكون القلب، وقال
المستيقن يقول لما خصصتني من علم اليقين أن ترقيني إلى عين اليقين وحقه
ومن صح فقره تفقر في أمر آخرته كفقره في أمر دنياه فيرجع إلى مولاه
في أمر الدارين وإياه يسأل حوائج المنزلين.

ما يأكل من الفتوح

الباب العشرون في ذكر ما يأكل من الفتوح

إذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكمال تقواه حكم الوقت عليه بترك
السبب وينكشف لتصحيح التوحيد وصحة الكفالة من الله تعالى فيزول
عن باطنه الاهتمام بالاكتساب ويكون مقدمة لهذا أن يفتح عليه باب من
التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه أيسر
ذنب يجد عن ذلك في وقته أو يومه، وكان بعضهم يقول إني لأعرف
ذنبي في سوء خلق غلامي، وقيل إن بعض الصوفية قرض الفار خفه
فلما رأى ذلك أنشد، لو كنت من مازن لم تستبح إبلي، أشار إلى
أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا يزال به هذا الحال
حتى يتخلص بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حق الله تعالى فيمحى
عنده فعل غير الله فيرى المعطي والمانع هو الله إذا صار حالاً لا علماً وإيماناً ثم
يتداركه الحق بالمعونة ويوقفه على طريق التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما

حكي عن بعضهم انه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج الى بعض الصحاري
فراى قبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها مفكرا انها تاكل مع
عجزها عن الطيران والمشي والرؤية فبينا هو كذلك اذا انشقت الارض
وخرجت منها سكرجتان في احداهما سمسم نقي وفي الاخرى ماء صاف
فاكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الارض وغابت السكرجتان
قال فلما رايت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا اوقف الحق
عبده في هذا المقام ازال عن باطنه الاهتمام بالاكتساب ويرى الدخول في
التكسب والتسبب بالسؤال غير رتبة العوام ويصير ناظرا الى
فعل الله تعالى منتظرا للامور ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله تعالى
مكاشفا بما يحدث من امره لمتقلبات من الله الكريم بطريق الفعل وذلك
رتبة في القرب ومنه يترقى الى التجلي بطريق الصفات ومن ذلك يترقى الى
تجلي الذات فالتجلي بطريق الفعل يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلي بطريق
الصفات يكسب الهيبة والانس والتجلي بالذات يكسب الفنا والبقا
وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله تعالى فناء يعنون به فناء
الارادة والهوى والارادة الطف اقسام الهوى وهذا هو الفناء الظاهر
اما الفنا الباطن فهو محو اثار الوجود عند لمعان نور الشهود ويكون في
تجلي الذات وهو اكمل اقسام النفس في الدنيا فاما تجلي حكم الذات فلا
يكون الا في الاخرة وهو المقام الذي خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج ومنع منه موسى بلن ترى فاذا دخل العبد في مبادي اقسام

التجلي

التجلي وهو حظ العبد الفعل الالهي مجردا عن فعل سوى الله تعالى يكون تناوله
للقسم من الفتوح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من يوجه اليه
شيئا من هذا الرزق من غير مسالة ولا اشراف فلياخذه فليوسع به في
رزقه فان كان عنده غنا فليدفعه الى من هو احوج منه وفي هذا دلالة على
ان العبد يجوز ان ياخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا
ياخذه وهو يرى فعل الله تعالى ثم اذا اخذ فمنهم من يخرجه الى المحتاج ومنهم
من يقف حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون اخذه بالحق واخراجه بالحق
واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما شيئا فقال اعطه
من هو افقر مني فقال خذه فتموله او تصدق به ما جاءك من هذا المال وانت غير
مستشرف اليه ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك فكان ابن عمر
رضي الله عنه لا يسال احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى رؤية فعل الله تعالى والخروج عن تدبير النفس الجسمي تدبير
الله وهذا باب من العلم ملتبس على من يرد لان من يرد لا يامن دخول النفس
عليه ان يرى بعين الزهد ففي اخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق
والاخلاص وفي اخراجه الى الغير اثبات حقيقة الزهد فلا يزال زاهدا
في كلا الحالين ومن اهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا
يعلم فمنهم من لا يتناول الفتوح الا اذا تقدمه علم بنوع يقين من الله تعالى في
ومنهم من ياخذ غير متطلع الى تقدم العلم ومن لا ينتظر تقدم العلم فوقه من
ينتظر لتمام صحبته مع الله تعالى واستراحته من ارادته ومنهم من يدخل د

المفتوح عليه لا بتقدم العلم ولا برؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرزق شرابا من
المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يسكر شرب هذا المفتوح معهود النعمة وهذا
حال ضعيف بالاضافة الى الحالين المتقدمين وقد يتسلط صاحب الفتوح العلم
في الاخراج ايضا كما يتسلط في الاخذ لان النفس تظهر في الاخراج كما تظهر في
الاخذ وانه من هذا امن يكون في اخراجه مختارا وفي اخذه مختارا فان استطار
العلم انما يكون لمكان ابهام النفس بتقيد هوى موجود فاذا زال الابهام
فوجود صريح العلم باخذه واخراجه غير محتاج الى علم متجدد وهذه حال من يتحقق
بقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا
فبي يسمع وبي ينطق الحديث فلما صح فعرفته صح تصرفه وهذا في الحال اعز من
الكبريت الاحمر قال الواسطي الافتقار الى الله تعالى اعلى درجة المريدين
والاستغناء بالله اعلى درجة الصادقين وقال ابو سعيد الخراز العارف
غنى تدبيره في تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر الى الله
ومن احسن ما حكي في هذا ان بعضهم راى النوري يسال الناس فاستعظم منه
وذكر ذلك للجنيد رضي الله عنه فقال ان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم
ويعينهم في الاخرة بالاجر من حيث لا يضرهم وهذه اشارة الى ان اليد العليا
يد الاخذ لانه يعطي الثواب وهو قول بعضهم قال ثم قال الجنيد هات الميزان
فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها عليها ثم قال احملها اليه فقلت تعجب
لانه وزن ليعرف مقدار مائة ثم خلطه بمجهول فاستحييت ان اساله
فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة ثم قال ردها عليه

وقل له

وقل له انا لا اقبل منك شيئا قال فزاد تعجبي فسالته عن ذلك فقال الجنيد رجل
حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن لله فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها
اليه فبكى وقال اخذ ماله وترك ما لنا . وسمعت ان الشيخ محيي الدين
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بعث الى شخص وقال له فلان عندك طعام
وذهب ابغي منه ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل كيف اتصرف في
وديعتي ولو استفتيتك لم يفتني بالتصرف فالزمه الشيخ ذلك فاحسن
الظن به وجاء اليه بذلك فلما دفع المتصرف جاء مكتوب من صاحب الوديعة
يقضي بان احمل للشيخ عبد القادر كذا وكذا من الطعام وكذا وكذا من الذهب
للقدر الذي عينه الشيخ فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال الجنيد
بالفقراء ان اسرارهم يكونون على غير صحة وعلم فالعبد اذا صح مع الله تعالى
وانما هواه منطلبا رضاه رفع الله عن باطنه هموم الدنيا وجعل الغنا في
قلبه وفتح عليه ابواب الرزق والهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكونهم
ما استكملت الشغل بالله فعلى قدر ما اخلت من الاهتمام بالله ابتليت
بهم الدنيا ولو امتلات بهم الله تعالى ما عذبت بهم الدنيا روي ان عون بن عبد الله
المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا كل يوم عند واحد واخر كان له
ثلاثون صديقا كل يوم عند واحد واخر كان له سبعة كل يوم عند واحد فكان
اقواتهم معلومهم والمعلوم اذا اتاه الله للناظر الى الله الكامل توحيده
يكون نعمة هنية قيل لابي يزيد ما نراك تشتغل بكسب فمن اين معاشك

فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا يزيد قال بعضهم خذ
الفقير الصادق ممن يعطيه لا ممن يتصدق عليه ومن قبل من الوسايط
فهو المستهين بالفقر مع دناءته حكي عن الداراني انه قال اخر اقدام
الزاهدين اول اقدام المتوكلين قال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة
فتركتها فخطر في سري من اين المعاش فهتف بي هاتف لا اراك تنقطع
الي وتتهمني برزقك علي ان اخدمك وليا من اوليايي او اسخر لك منافقا
من اعدايي وروي ان احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج يوما فاشترى دقيقا
وواقفا ايوب الحمال فحمله ودفع اليه اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له صادف
خبزا يخبز ونشف على ستر يرى كان بصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح
ادفع الي ايوب من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعها فلما خرج
قال خذها والحقه بها فلحقه فاخذها فرجع صالح متعجبا فقال له احمد عجبت
من رده واخذه قال نعم قال هذا رجل صالح راى الخبز فاستشرفت نفسه
اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد
الاياس فاخذه وروي عن عمر رضي الله عنه انه سمع سايلا فقال من عنده
السائل عشي هذا فقال قد عشيته فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت
ابطه مخلاة مملوة خبزا فقال لست بسائل انما انت تاجر ثم نثر مخلاته
بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة ثم سؤال مستكثرا فوق الحاجة او
في غير وقت الضرورة فليس من الصوفية في شيء وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال ان لله عز وجل في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة

الفقر

٤٥

الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر
الله على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة يسيء خلقه ويعصي ربه
ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء قال الصوفية يحسن الادب في السؤال
والفتوح والصدق مع الله تعالى في كل حال كيف تقلب

الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجرد والمتاهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

شرح حال المتجرد

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد واركان ولتزوجه مقصد واركان
فلا يقدم على التزوج الا اذا اصلحت نفسه واستحق ادخال الرفق عليها
وذاك اذا صارت منقادة مطواعة مجيبة الى ما يراد منها فاذا صارت
كذلك تعذرت الى امر الله وتنصلت عن مشاحنة القلب فيصلح بينهما
بالعدل وينظر في امرهما بالقسط ومن صبر من الصوفية عن التزوج فهذا
الصبر ابعث له الزوجة اسبابا وهيأ له عونا واسباغ ومتى استعجل
المريد واستفزه الطبع بثوران دخان الشهوة المعطية لشغلها العلم
الحظ من اوج العزيمة الى حضيض الرخصة ومثل هذا الاستعجال حيض الرجال
وسمعت بعض الفقراء وقد قيل له الا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا
للرجال وانا ما بلغت مبلغ الرجال كيف اتزوج وقد تعارضت الاخبار
في فضيلة التزوج والتجرد وهذا التعارض في حق من تاب وقامه بردء سلام
لكان يقواه ويقهر هواه والا ففي غير هذا من خاف على نفسه العنت يجب
النكاح في حال التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الائمة في غير التايق
والصوفي اذا صار متاهلا لا يتعب على الاخوان مساعدته بالايثار ومتى انحنه

في الاستكثار اذ ارى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال. وعن عوف بن
مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه فيء قسمه
من يومه فاعطى الاهل حظين والعزب حظا واحدا. فالتجرد عن الازواج
والاولاد اعون للفقير على الوقت واجمع لهمه فالذي يصلح به قطع العلائق
ومحو العوائق والتنقل بالاسفار وركوب الاخطار. قال ابو سليمان الداراني
ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه
ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وان اخوف ما اخاف عليكم
فتنة النساء اذا تسورن بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن واتعبن
الغني وكلفن الفقير ما لا يجد. قال بعض الحكماء معالجة العزبة خير من
معالجة النساء. وسئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن النساء فقال الصبر
عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار فاذا رزق
الفقير العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد
حاز الفضل واستعمل العقل. قال صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين
خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد.
وقال بعض الفقراء لما قيل له تزوج انا الى ان اطلق نفسي احوج مني الى
التزويج. وقيل لبشر بن الحارث رضي الله عنه ان الناس يتكلمون فيك
فقال ما يقولون قيل يقولون انك تارك للسنة فقال قولوا لهم اني مشغول
بالفرض عن السنة والصوفي يبتلى بنفسه ومطالباتها فاذا انضم الى ذلك
مطالبات الزوجة ضعفت حاله وفترت عزيمته والنفس اذا اطعمت طمعت

واذا منعت

واذا منعت قنعت فيستعين الشاب المريد على قطع خواطر النكاح
بادامة الصوم فان له اثرا في قمعها وقهر النفس وقيد الحسر المشهور. وقد
قيل في النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا ادام الشاب المريد العمل
واداب نفسه في العبادة قلت خواطر النفس وايضا يشغله بالعبادة يثمر
له حلاوة المعاملة ويحبب الاستكثار منه ويفتح له باب السهولة والعيش
في العمل فيغار على حاله ووقته ان يكدرها بهم الزوجة. ومن اداب المريد في
عزوبته ان لا يمكن خاطر النساء من باطنه فكلما خطر له خاطر النساء والشهوة
[illegible] الانابة فيثبته ادركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة
[illegible] وينعكس على نفسه بنور قلبه ثم ابا الحسن انابته
[illegible] المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح
[illegible] المذمومة المؤدية الى الذل والهوان واخذ الشيء من
[illegible] من الخواطر بسبب التفات الخاطر الى ضبط المراة
[illegible] فان خطر التزوج فليستشعر اذا اتاه الله بالشايع
[illegible] مسئلة الله تعالى له بحسن الاختيار في ذلك ويستعظم
[illegible] الله الاحترازات فانه فتنة كبيرة قال الله تعالى ان
[illegible] عدوا لكم فاحذروهم. ويكثر الضراعة الى الله تعالى
[illegible] الاستخارة فان رزق القوة والصبر حتى يستبين
[illegible] لك فهو الكامل التام بعد يكشف الله عز وجل
[illegible] الطلاق في منامه او يقظته او على لسان من يثق به

في الاستكثار اذا راى ضعيف الحال تاجرا عن رتبة الر[illegible] وعن عوف بن
مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه [illegible] اذا جاءه فيء قسمه
من يومه فاعطى الاهل حظين والعزب حظا واحدا [illegible]
والاولاد اعون للفقير على الوقت واجمع لهمه قال الـ[illegible]ـرد عن الازواج
ومحو العوائق والتنقل بالاسفار وركوب الاخطا[illegible] به قطع العلائق
ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته [illegible] ابو سليمان الداراني
ابتلينا بالعز فصبرنا وابتلينا بالسرا فلم نصبر وان [illegible] معاذ بن جبل رضي الله عنه
فتنة النسا اذا تسورن بالذهب ولبسن ريط ال[illegible] ما اخاف عليكم
العنا وكلفن الفقير بالا يجد قال بعض الح[illegible]
معالجة النسا وسئل سهل بن عبد الله رضي الله [illegible]
عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير [illegible]
الفقير العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجـ[illegible]
حاز الفضل واستعمل العقل قال صلى الله عليه [illegible]
خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قا[illegible]
وقال بعض الفقرا لما قيل له تزوج انا الى ان ا[illegible]
التزوج وقيل لبشر بن الحرث رضي الله عنه ا[illegible]
فقال ما يقولون قيل يقولون انك تارك للسنة [illegible]
بالفرض عن السنة والصوفي يبتلي بنفسه [illegible]
مطالبات الزوجة مع ضعف حاله وتشتت عزيمـ[illegible]

ويجوز لمن وجب عليه الوضوء
[illegible] الغسل

[illegible]

واذا انتعت

واذا انتعت نحت فيستعين الشاب المريد على قطع خواطر النكاح
بادامة الصوم فان له اثرا في قمعها وقهر النفس وخمد الجمر الشهوة وقد
قيل في النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا دام الشاب المريد الحال
وادأب نفسه في العبادة قلت خواطر النفس وايضا شغله بالعبادة يثمر
له حلاوة المعاملة وتحبب الاستكثار منه ويفتح له باب السهولة والعيش
في العمل فيصبر على حاله ورتبته ان تكدرتهم الزوجة ومن اداب المريد في
عزوبته ان لا يمكن خاطر النسا من باطنه فكلما خطر له خاطر النسا والشهوة
فر الى الله تعالى بحسن الانابة فحينئذ ادركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة
ويؤيده بمراغمة النفس ويعكس على نفسه نور قلبه قال ابو الحسن انا بنه
فتنكسر النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح
من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية الى الذل والهوان واخذ الشي من
غير وجهه وما يتوقع من الخواطر بسبب التفات الخاطر الى ضبط المراة
وحراستها وكلف لا يتعين فان خطر التزوج فليستشعر اذا اتاه الله بالمشايخ
والاخوان ويسال لهم مسالة الله تعالى له بحسن الاختيار في ذلك ويستعظم
الامر ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث فانه فتنة كبيرة قال الله تعالى ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ويكثر الضراعة الى الله تعالى
والبكا في خلواته ويكثر الاستخارة فان رزق القوة والصبر حتى يستبين
لمن فضل الله الخيرة في ذلك فهو الكامل التام فقد يكشف الله عز وجل
للصادق ذلك سماعا او اطلاعا في منامه او يقظته او على لسان من يثق بدينه

وحاله اذا اشار لامشير الاعلى بصيرة من امره فعند ذلك يكون في
تزويجه ملابرا معانا، وقيل للشيخ عبد القادر رضي الله عنه لم تزوجت
فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج، وقال
ايضا كنت اريد التزويج مدة من الزمان ولا اتجرى عليه خوفا من تكدير
الوقت فلما صبرت الى ان بلغ الكتاب اجله ساق الله تعالى الي اربع
زوجات ما فيهن الا من تنفق علي ارادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل
فالفقير اذا صبر وسال التزويج من الله تعالى ياتيه الفرج والمخرج ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا تزوج الفقير
بعد الاستقصا والاكثار من الدعا وورد عليه وارد من الله تعالى باذن
فهو الغاية والنهاية وان عجز عن الصبر الى ورود الاذن واشتغل جهده
في الدعا والتضرع فعند ذلك يكون ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه بحسن
نيته وصدق مقصده، وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يتم نسك
الشاب حتى يتزوج، وكان شيخ من مشايخ خراسان يكثر التزويج حتى لم
يكن يخلو من زوجتين او ثلاث فعوتب في ذلك فقال هل يعرف احد منكم
انه جلس بين يدي الله عز وجل جلسة او وقف وقفة في معاملة فخطر له
خاطر شهوة فقالوا قد نصيبنا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم
في وقت واحد ما تزوجت قط ولكن ما خطر على قلبي خاطر قط يشغلني عن حالي
الا انفذته لاستريح وارجع الى شغلي ثم قال منذ اربعين سنة ما خطر على
قلبي خاطر معصية فالعارفون ما دخلوا في النكاح الا على بصيرة ويقصد

حتى يصير الدا

حتى يصير الداء دواء وكلما اخذت النفس حظها من روح القلب تزوج العارف
المشفق براحة جارية، سمعت بعض الفقرا يقول للقلب سكر مني في
الطعام اكثر منه في الصلاة وهذا من الاحوال العزيزة لا تصلح الا للعالم الرباني
وكم من مدع يهلك بشوطه هذا في نفسه والعبد اذا اكل عليه بأخذ من الاشيا
ولا ياخذ الاشيا منه، وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول انا احتاج الى
الزوجة كما احتاج الى الطعام، وسمع بعض العلما بعض الناس يطعن على
الصوفية فقال يا هذا ما الذي تنقصهم عندك فقال ياكلون كثيرا قال وانت
ايضا لو جعت كما يجوعون اكلت كما ياكلون قال ويتزوجون كثيرا قال وانت
ايضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وايش ايضا
قال يسمعون القول قال وانت ايضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون
وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه كثرة النسا ليست من الدنيا لان عليا
رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع
نسوة وسبع عشرة سرية، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول خير هذه
الامة اكثرها نساء، وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو لم يبق من عمري
الا عشرة ايام احببت ان اتزوج ولا القى الله عز وجل عزبا وما ذكر الله تعالى
في القران من الانبيا الا المتاهلين، وقيل ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج
لاجل السنة ولم يكن يقربها، وقيل ان عيسى عليه السلام سينكح اذا نزل
الى الارض ويولد له، وقيل ركعة من متاهل خير من سبعين ركعة من عزب
ومما ينبغي للمتاهل ان يحذر من الافراط في الملاطفة والمعاشرة الى حد ينقطع

عن اوراده فان الافراط يقوي النفس وجنودها. وللمتأهل بسبب
الزوجة فتنتان الاولى الاهتمام بسبب المعيشة كما تقدم. كان الحسن
يقول والله ما اصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا اكبه الله على وجهه في النار
وفي الخبر يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه
وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب
بها دينه فيهلك. وروي ان قوما دخلوا على يوسف النبي عليه السلام فاضافهم
وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت
فعجبوا من ذلك وهابوا ان يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فاني سألت الله
فقلت يا رب ما كنت معاقبي في الآخرة فعجله في الدنيا فقال ان عقوبتك
بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون. فاذا افرط الفقير
في المداراة ربما تعدى حد الاعتدال في وجوه المعيشة متطلبا رضا الزوجة
الفتنة الثانية ما تقدم من الافراط في الملاعبة والمجالسة فتخرج
النفس عن حد الاعتدال فتستولي على القلب فيسبب ذلك السهو والغفلة
فيقل الوارد المعتاد لقلة الاوراد وتتكدر الحال كما هو شرط الاعمال والطف
من هاتين فتنة ثالثة وذلك ان للنفوس امتزاجا وتسببا بلطيف تأثيرها
الخامل فدواؤه ان يكون للمتأهل عند الى الله غيبتان باطنتان فيطير بهما
الى مولاه وغيبتان ظاهرتان يستعملهما في طريق هواه. والطف من هذه فتنة
اخرى وهو ان يصير المزوج اشتغالا الى لطف الجمال فيصير ذلك وليجة
في حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتلتذ الروح وتنشد با

الفتوح

الفتوح ويندرج من الحلال الى باب غير مشروع وبهذه اللطيفة يعز الشعور بها
ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طائفة قالوا ان الشاهد فليحذر ذلك جدا اولا
يستمع ممن يدعي فيه حالا او وجدا فانه عذاب يدعي. ولهذا المعنى قال الاطباء
الجماع يسكن هيجان العشق وان كان مع غير المعشوق ليعلم ان منشأه
الشهوة ويجد من يدعي فيه حالا فيه تحسن لكن المتأهل ويخشى العزب مرور
النساء بخاطره وتصورهن في تخيله فتغطي الطهارة في باطنه لانه تنشئه خواطر
الشهوة واذا سنح الخاطر بجاه عشقه كانا به والعياذ بالله تعالى ومتى تشأم
كثف الخاطر وخرج من القلب الى الصدر وعند ذلك يحذر احساس العضو بالخاطر
فيصير ذلك عملا خفيا. وما اقبح مثل هذا بالصادق المتطلع الى الحضور واليقظة
فيكون ذلك فاحشة للحال. وقد قيل مرور الفاحشة بقلب العارف كفعل
الفاعل لها.

الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وايثارا

في السماع

قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
قيل احسنه ارشده. وقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق. هذا السماع هو السماع الحق الذي لا
يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية والاجتبا وهذا سماع
ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لان الحرارة والبرودة اذا
اصطدما عصرا ماء. فاذا اثر السماع بالقلب تارة يخف الماء فيظهر اثاره في
الجسد ويقشعر الجلد قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

وتارة يعظم وينصوب اثره الى فوق نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع
وتارة ينصوب الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق منه نطاق
الغالب فيبكون مع ذلك الصياح والاضطراب وهذه احوال يجدها اربابها
من اصحاب الحال وقد يحكيها بدلا اهل هوى النفس ارباب المحال روي ان عمر رضي الله عنه
ربما مر باية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين
حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم وروي
زيد بن اسلم رضي الله عنه قال قرا ابي بن كعب رضي الله عنه عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعا
عند الرقة فانها رحمة وروت ام كلثوم رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه الذنوب
كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وورد ايضا اذا اقشعر جلد العبد من
خشية الله تعالى حرمه الله على النار وهذه حالة لا تنكر ولا اختلاف فيها
انما الاختلاف في سماع الاشعار بالالحان وقد كان الجنيد وسري وذو
النون رضي الله عنهم يسمعون وروت عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر
رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين فانتهرهما
فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها
ايام عيد وقالت عايشة رضي الله عنها رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسترني بردايه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا اسام
وذكر الشيخ ابو طالب المكي ما يدل على تجويزه ونقل ذلك عن كثير من السلف

صحابي

صحابي وتابعي وغيرهم وقوله رضي الله عنه معتبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه
باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب وقال في السماع
حلال وحرام وشبهة فمن سمعه بنفس وهوى ومشاهدة شهوة فهو حرام
ومن سمعه بمعقوله على صفة مباحة من جارية او زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه
قال الشيخ فاذا لا يطلق القول بتحريمه ولا الانكار على من يسمع كفعل القرا
المتزهدين ولا يسمع منه على الاطلاق كفعل بعض المشتهرين المهملين
شروطه وادابه ويفصل الامر فيه تفصيلا فيقول اما الدف والشبابة وان
كان في مذهب الشافعي فسحة فيها فالاولى تركها والاخذ بالاحوط والخروج من
الخلاف واما غير ذلك فما كان من القصايد في ذكر الجنة والنار والتشويق
الى دار القرار ووصف الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا
سبيل الى الانكار ومن هذا القبيل قصايد الغزو والحج ووصف الغزاة والحجاج
واما ما كان فيه وصف القدود والخدود ووصف النسا فلا يليق باهل الديانات
الاجتماع لمثل ذلك واما ما كان من ذكر الصد والقطيعة والهجر والوصل مما
يقرب حمله على امر الحق سبحانه من تلوين احوال المريدين ودخول الافات على
الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات وتجدد عزم لما هو آت
فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين كان يقتات بالسماع
ويتقوى به على الطي والوصال ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه الم الجوع
فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه ويستمع الحادي يقول مثلا

فيا من هوى ليلى وحبي زيارتها فما لي الا ان انوب



فطاب تخلصه لما لحه من قوة عزمه على الثبات في امر الحق يكون سماعه لهذا ذكر
لله تعالى قال الجنيد رضي الله عنه تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلاثة
مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون
في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا
قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول المستمع ينبغي ان يستمع
بقلب حي ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتا ونفسه حية لا يحل له السماع
ونقل عن الجنيد رضي الله عنه قال رايت ابليس في المنام فقلت له هل
تظفر من اصحابنا بشي قال نعم في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني
استرق منهم فيه وادخل عليهم به قال فحكيت روياي لبعض المشايخ
فقال لو رايته لقلت له يا احمق من يستمع منه اذا استمع وينظر اليه اذا نظر انى تربح
انى عليه شيئا او تظفر منه بشي فقلت له صدقت وروت عايشه
رضي الله عنها قالت كانت عندي جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر رضي الله عنه ففرت فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ما يضحكك يا رسول الله فحدثه
حديث الجارية فقال لا ابرح حتى اسمع ما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته وذكر الشيخ ابو طالب
ان عطا كانت له جاريتان يلحنان وكان اخوانه يستمعون اليهما وقال ادركنا
ابا مروان القاضي له جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا القول
نقلته عن الشيخ ابو طالب وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهذا لا يتكلم

منه الا بشرط

منه الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفا بشرط قوله تعالى يعلم خاينة
الاعين وما تخفي الصدور وفي الحديث في مدح داود عليه السلام انه كان
حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجمع الانس
والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه الاف جنايز ودخل رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقراون القران وقوم ينشدون
الشعر فقال يا رسول الله قران وشعر فقال صلى الله عليه وسلم من هذا مرة
ومن هذا مرة وكان صلى الله عليه وسلم يستمع انشاد الشعر للنابغة وغيره
ودعا صلى الله عليه وسلم لحسان رضي الله عنه حيث كان ينافح عنه بشعره
وراى بعض الصالحين ابا العباس الخضر فقال فقلت له ما تقول في السماع الذي
تختلف فيه اصحابنا قال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الا اقدام العلما ونقل
عن ممشاد الدينوري رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر في هذا السماع شيا قال صلى الله عليه وسلم
ما انكر ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراة القران ويختمون بعده بالقران
فقلت يا رسول الله انهم يوذوني ويتبسطون فقال صلى الله عليه وسلم احتملهم
يا با علي هم اصحابك وكان ممشاد رحمة الله عليه يفتخر ويقول لقيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما وجه الانكار فيه فهو ان جماعة من
المريدين دخلوا في مبادي الارادة ونفوسهم ما تمرنت على صدق المجاهدة
فيكون تجمعهم حتى تحدث عندهم علم بصفات النفس واحوال القلب
فتنضبط حركاتهم فانهم يفاتونه العلم ويعلمون ما لهم وما عليهم والاحق قام بغير

مطلب وجه الانكار في السماع

بصوره عندما يسمع ايقاعا موزونا اداه اشعه الى طبع موزون فيتحرك
بالطبع الموزون الصوت الموزون والايقاع الموزون وينشيل جناب نفسه
المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب النشاط المنبعث من
الطبع فيقوم برقص موزونا ممزوجا بتصنع عند اهل الحق وبحسب ذلك
من طيبة القلب وما راى وجه القلب ولعمري انها طيبة قلب ملوث
بلوث النفس ومال الى الهوى لا يهتدي الى حسن النية في الحركات ولمثل
هذا قيل الرقص نقص ولا سيما اذا انضاف الى ذلك تشوف حركاته
تصريح النفاق بالتودد والتقرب الى بعض الحاضرين من غير نية بل بدلا له
نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وعند ذلك من لا يحتمله
من المنصرفة الا من ليس له في التصوف الا مجرد الزي او يكون القوال
امرد فيجذب النفوس النظر اليه ويلحقه ذلك ويهيج خواطر السوء
او يكون النساء اشراف على الجمع وتشتغل البواطن المملوءة من الهوى
بتفاوت الحركات والرقص اظهارا للتواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع
على تحريمه واهل المواخير حينئذ ارجح حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته
لانهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويراه عبادة لمن لا يعلم ذلك فيرى احد
من اهل الديانات يرضى بهذا او لا ينكره لمن هذا الوجه يتوجه للمنكر الانكار
وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع موزون من غير اظهار
وجد وحال ووجه نيته في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك
حركة موزونة غير مدع فيها حالا ووجدا ويجعل حركته في طرف الباطل كانها

وان لم تكن

وان لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنه غير محلله بحكم الحال فيها من اللهو
فيقصد بذلك من قبيل المباح كالضحك والمداعبة وملاعبة الاهل والاولاد
ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية اذا
نوى به استجمام النفس كما نقل عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال اني
لاجم نفسي بشيء من الباطل ليكون ذلك عونا لي على الحق ورايت في
بعض كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول في وصف الصادق يكون
جهله مزيد العلم وباطله مزيد الحق ودنياه مزيد لآخرته وهذا المعنى
ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يكون ذلك حظ نفسه الشريفة
فيكون ما من الباطل التصرف في حق الغير من المباح برخصة الشرع وفي حقه
صلى الله عليه وسلم ينتهي بتتمة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح
ما يدل على انه عبادة ومع هذا كله فلا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى
به لما فيه من مشابهة اللهو واللهو لا يليق منصبهم والمنكر للسماع على
الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من انه اما جاهل بالسنن والآثار واما
مغتر بما اتيح له من اعمال الاخيار واما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على
الانكار فالاول يستدل عليه بما سنوه من الآثار الواردة في ذلك ورخصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة في الرقص اذا تأملت الحركة بما ذكرناه
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه انت مني
وانا منك فحجل واما الثاني فيقال له تقربك الى الله تعالى باشغال
جوارحك لولا نية قلبك ما كان لتعمل جوارحك فلا تفتر بالسامع من الشعر

بينا يأخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا كيف
تقلب قلبه في انواع ذلك ذاكرا لربه وهو لو سمع صوت طاير وطاب له
ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة ذلك الطاير
ومنشا الصوت وتأديته الى الاسماع كان في جميع ذلك الفكر وامتلا
بالمنة ذكرا وفكرا فكيف ينكر ذلك نعم ان كان ذلك الصوت من امرد
يخشى به الفتنة او امراة غير محرم وان وجد من الذكر والفكر ما ذكرنا
فيحرم لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم
الفتنة وللحرام حريم ينسحب عليه حكم المنع كالقبلة للشاب الصايم
فانها حريم الوقاع وكالخلوة بالاجنبية وغير ذلك وباب الثالث
فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والعطوف لا يشرله بالجمال البارع
استمتاع فاذا ينكر من يحب سريان باطنه بالشوق والمحبة ويرى انخماد
روحه الطبايع في مضيق تقص النفس الامارة فهو بروحه يتنسم انس
الاوطان وهو بوجود النفس يتجرع كاس الهجران وكلما تقطع منازل النفس
بكثرة الاعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له المستقبل من
الجمال فيستروح بنفس الصعدا ويترنح باللايح من شدة البرحا ويقول
مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان

ابا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومها
اجد بردها او تشف مني حرارة ... على كبد لم يبق الا صميمها

ولعل المنكر

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الامر وهل المراد الا الخوف من الله تعالى
وينكر المحبة الخاصة التي يختص بها العلما الراسخون ولم يقرر في ذهنه
القاصر ان المحبة تستتبع عمنا الا وجدنا لا انكرها ولا يعلم ان القوم بلغوا
في رتبة الايمان الى امر منا لتخشوش وجاوزوا من حد الكشف والعيان
بالارواح والنفوس روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ذكر غلاما في بني اسرائيل كان على جبل فقال لامه من خلق
السما قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبال قالت
الله قال فمن خلق الغيم قالت الله فقال اني اسمع لله شانا ورمى بنفسه
من الجبل فتقطع فالعالم الازلي الالهي ينكشف للارواح غير منكشف
للعقل لان العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدي من الله تعالى الا الى مجرد
الوجود ولا يتطرق الى حريم الشهود المنجلي في طي الغيب المنكشف
للارواح لا ريب حكى بعض المشايخ قال رايت جماعة ممن يمشي على الما
والهوى يستمعون السماع ويجدون به ويتواجدون عنده وقال بعضهم
كنا على الساحل نسمع بعض اخواننا فجعل ينقلب على الما [illegible] حتى يرجع
الى مكانه ونقل ان بعضهم كان ينقلب على النار عند السماع ولا يحس بها
ونقل ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فاخذ شمعة فجعلها
في عينه قال الناقل فقربت من عينه انظر فرايت نارا او نورا خرج
من عينه يرد نار الشمعة وحكي عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع
ارتفع من الارض في الهوى اذرعا [illegible] وسمع الشبلي قايلا يقول

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين منزل

فزعق وقال لا والله ما في الدارين عنه مخبر. وقال أبو نصر السراج أهل
السماع على ثلاث طبقات فقوم يرجعون في سماعاتهم إلى مخاطبات الحق
لهم فيما يستمعون وقوم يرجعون فيما يستمعون إلى مخاطبة أحوالهم ومقاماتهم
وأوقاتهم فهؤلاء مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون إليه
من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين لم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا فهم
يستمعون بطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع وهم أقرب الناس إلى السلامة
وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع
وتكلف. وسئل بعضهم عن التكلف فقال هو على ضربين تكلف في
المستمع يطلب به منفعة دنيوية وذلك ملتبس فرجانه وتكلف
لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب إليه
وقول القائل إن هذا الاجتماع على هذه الهيئة بدعة يقال إنما البدعة
المحظورة بدعة تزاحم سنة مأمورا بها وما لم يكن كذلك فلا بأس به وهذا
كالقيام للداخل كان من عادة العرب ثم ترك ذلك حتى نقل أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي هذا القيام عادتهم
إذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة فلا بأس به لأن تركه يوحش
القلوب فيكون ذلك من قبيل حسن العشرة ويكون بدعة لا بأس بها
لأنها لا تزاحم سنة مأمورا بها

القول في السماع

الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وإنكارا

فقد تقدم

قد تقدم ذكر صحة السماع وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة
بطريقه وتصدى للخوض فيه أقوام قلت أعمالهم وأكثروا من الاجتماع فيه
وربما يتخذ له طعام تطلبه النفوس لا اجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في
السماع وينقطع بذلك على المريد طلب المزيد وتضييع أوقاته وتقل عباداته
وتكون الرغبة في السماع لتناول الشهوة واستروحا إلى الطرب واللهو
والعشرة ولا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق. قال الجنيد
رضي الله عنه إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.
وقيل إن الجنيد رضي الله عنه ترك السماع فقيل له كنت تستمع فقال
مع من فقيل له تستمع أنت فقال ممن فكأنهم كانوا لا يستمعون إلا من أهل
مع أهل الشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة ويرغبون به في الجنة
ويحذرون به من النار ويتفق لهم ذلك أحيانا لا أن يجعلوه دأبا وديدنا حتى
يترك لأجله الأوراد. ونقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في كتاب
القضاء الغناء لهو مكروه ويشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد به شهادته. ونقل عنه رضي الله عنه أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب
ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن. وقال رضي الله عنه لا
بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان. وعن أبي
حنيفة رضي الله عنه سماع الغناء من الذنوب وما أباحه من الفقهاء إلا نفر
يسير ومن أباحه لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة. وعن ابن
مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث

قال الغنا والاستماع اليه، وعن مجاهد في قوله تعالى واستفزز من استطعت
منهم بصوتك قال الغنا والمزامير، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الغنا
ينبت النفاق في القلب، وروي ان انسانا سال القاسم بن محمد عن الغنا فقال
انهاك عنه واكرهه لك قال احرام هو قال انظر يا ابن اخي اذا ميز الحق والباطل
في ايهما يجعل الغنا، وقال بعضهم اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم
المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا صحيح فان صاحب
الطبع عند السماع يستحسن ما لم يكن يستحسنه قبله من التصفيق
والرقص والتقلع والاشيا التي على السخافة واذا انصف المنصف وفكر
في اجتماع اهل الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب بشبابته وتصور في
نفسه هل وقع مثل هذا لمن تقدم من السلف الصالح وهل اتفق مثل هذا في
حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضر اقوالا وقعدوا يجتمعون
لاستماعه فلا يجد ذلك ابدا ولو كان في ذلك فضيلة لطلبت ما اهملوها
ومن قال انها فضيلة يجتمع لها لم يحط بذوق معرفة احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتابعين وانما يستروح الى قول بعض المتاخرين
والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع الشعر لا يدل
على اباحة الغنا فان الشعر كلام منظوم حسنه حسن وقبيحه قبيح
وانما يصير غنا بالالحان وكثير من الفقرا يتسمحون عند قراة القران
باشيا من غير غلبة، قال عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنهم قلت
لجدتي اسما بنت ابي بكر رضي الله عنها كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يفعلون

يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالوا كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم
وتقشعر جلودهم قال فقلت ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم خر احدهم مغشيا
عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
مر برجل من اهل العراق يتساقط فقال ما لهذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران
وسمع ذكر الله تعالى يسقط فقال ابن عمر رضي الله عنهما انا لنخشى الله عز وجل
وما نسقط ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما هكذا كان يفعل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هذا القول انكارا منهم على الاطلاق
اذ قد يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع في حق الاكثرين وقد
يكون ذلك لقصور علم وجهل ممزوج بهوى يخايله بشي من الوجد فيتبعه
بزيادات قد يجري بينه لانه يباين الصدق، ونقل ان موسى عليه السلام
وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق
قميصه وليشرح قلبه واما اذا انضاف الى ذلك كون المغني امرد فقد
توجهت الفتنة وتعين على اهل الديانات انكار ذلك، قال بقية بن الوليد
كانوا يكرهون النظر الى الغلام الامرد الجميل، وقال بعض التابعين اللوطية
ثلاثة اصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل
فقد تعين على طايفة الصوفية اجتناب مثل هذه الاجتماعات واتقاء مواضع
التهم فان امرهم جد كله وصدق كله فهذه الاثار دلت على اجتناب السماع
والباب الاول ما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره، وكان
جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك فلا ينكرون على من سمع بنية

حسنة ربّ راعى الادب فيه

القول في السماع

الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ردّا وقبولا (؟)

قال الحصري ما ادون حال من يحتاج الى من يزعجه فالوجد بالسماع في حق المحق كالوجد بالسماع في حق المبطل من حيث النظر الى ازعاجه وتاثر الباطن به وظهور اثره على الظاهر وتغير العبد من حال الى حال وانما اختلفت الحال بين المحق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيئا وانما يحرك ما في القلب فمن باطنه متعلق بغير الله تعالى يجد بالهوى ومن باطنه متعلق بمحبة الله تعالى يجد بالارادة وكلاهما محجوبان بهذا الحجاب النفس وهو حجاب ارضي ظلماني وهذا الحجاب القلب وهو حجاب سماوي نوراني والوجد صراح الروح المبتلى بالنفس تارة في حق المبطل وبالقلب اخرى في حق المحق فصار الوجد الروح الروحاني في حقهما ويكون الوجد تارة من فهم المعاني وتارة من مجرد النغمات والالحان فما كان من قبيل المعاني فيشارك النفس الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب الروح فيه في حق المحق وما كان من مجرد النغمات فتحرك الروح للسماع ولكن في حق المبطل يسترق النفس السمع وفي حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النغمات ان النغمات بها نطقت النفس مع الروح بالايماء الخفي اشارة ورمزا بين المتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق اصلي يرجع ذلك الى انوثة النفس وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع

سر استلذاذ الروح النغمات

قال الله تعالى

قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها ففي قوله تعالى منها ثم لازم ذلك وصف يوجد الابتلاف والتعاشق فالنغمات يستلذها الروح لانها مناغاة بين المتعاشقين فكما كونت حوا من ادم كونت النفس من الروح وذلك ان النفس روح حيواني تحيّنت بالقرب من الروح الروحاني وبعيتها بان امتازت من ارواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحاني في عالم القدرة فتكوين حوا من ادم في عالم الحكمة فهذا التالف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة من ها هنا ظهر وبهذا الطريق استطابت الروح النغمات لانها مراسلات بين المتعاشقين ومكاتبات بينهما وقد قال القايل شعرا

تكلم منا في الوجوه عيوننا ❊ فنحن سكوت والهوى يتكلم

فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوى وتحركت بما يرها ووجد القلب المعلول بالارادة وتحرك بما يبدو لوجود العارض في الروح كما قيل

وللارض من كاس الكرام نصيب ❊ فتفتش المبطل ارض لتشا تكلبه

وقلب المحق ارض لتشار وحه فالبالغ مبلغ الرجال المتجرد من اعراض الاحوال خلع نعلي النفس والقلب بالوادي المقدس وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر فله تصغ روحه الى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة اثار محبوبه ومن هذه الحالة لا تحركه السماع اصلا وراسا واذا كانت الالحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها كيف يلحقها السماع بطريق فهم المعاني وهو اكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل اعبا العبارات

عبارة تعرب من الانزعاج الوجد وارد يرد من الحق سبحانه ومن يرد الله لا يقنع
بها من عند الله ومن صار في محل القرب متحققا به لا تحركه ما من عند الله
فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقرب واحد فيصنع بالوارد فما دام
الرجل البالغ مستمر على حالة استقامته غير منحرف عن وجهة معبوده لا
لا تحركه الوجد بالسماع فان دخل عليه فتور او تصور بدخول الابتلا
عليه من الميل الخفي نوع من تفاريق صور الابتلا وجود به تحركه
الوجد لعود العبد عند الابتلا الى حجاب القلب فمن هو مع الحق اذا زل
وقع على القلب ومن هو مع القلب اذا زل وقع على النفس قال الشيخ
سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم انه وجد من السماع فقيل له اين حالك
منه فقال دخل على داخل ورد في هذا الورد قال بعض اصحاب سهل
صحبت سهلا سنين فما رايته تغير عند شي كان يسمعه من الذكر والقران
فلما كان في اخر عمره قرئ عنده فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فارتعد وكاد يسقط
فسالته عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق
فاضطرب فساله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت فقيل له ان كان
هذا من الضعف فما القوة قال القوة ان لا يرد عليه وارد الا ابتلعه بقوة
حاله فلا يغيره الوارد ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة
اشارة منه الى استمرار حال الشهود فهكذا في السماع قبل السماع واعلم
ان الباكين عند السماع مواجيدهم مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم من يبكي
شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القائل

طفح

طفح السرور علي حتى انني من عظم ما قد سرني ابكاني
واعلامها بكاء الفرح فمثاله كما ذكر يقدم على اهله بعد طول غربته فعند رؤيتهم
يبكي من قوة الفرح وكثرته قال ابو بكر الكتاني سماع العوام على
متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الاولياء رؤية الالاء والنعم
وسماع العارفين على المشاهدة وسماع اهل الحقيقة على الكشف والعيان
ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام وهذه كلها مواجيد اهل السماع وما ذكرناه
حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف ينزل على اختلاف اقسام البكا
كما مر وثم قسم في البكا اعز من هذه وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح
وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا
الامات يسيرة فيوجد البكا في بعض مواطنه كوجود تغاير وتباين
بين الحدث والقديم فيكون البكا شيئا هو وصف الحدثان لوهج سطوع
عظمة الرحمن وهذا وان عز مستغربه يلاح في صرف الفنا ثم قد يعود
العبد في الفنا متجردا عن الاثار فيترقى منه الى مقام البقا ويرد اليه
الوجود فيعود اليه اقسام البكا خوفا وشوقا وفرحا ووجدا ناشئا كله
صورها ومباينة حقيقتها تغري لطيف يدركه اربابه وعند ذلك يعود
اليه من السماع ايضا قسم وذلك القسم مقدر له مقهور معه يأخذه
اذا اراد ويرده اذا اراد ويكون هذا السماع نوع تمتع للنفس كتمتعها
بمباحات اللذات والشهوات لا ان يأخذ السماع منه او يرده ويكون
النفس في ذلك بمثابة الطفل يفرحه اللهو في بعض الاحيان ويغصه ما يريه

وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايمان ولهذا قيل السماع لقوم كالدوا
ولقوم كالغذا ولقوم كالمروحة ومن عود اقسام البكا بعد التنزل عن حال
الغنا ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي رضي الله عنه اقرا
فقال اقرا عليك وعليك انزل فقال صلى الله عليه وسلم احب ان اسمعه
من غيري فكان يقرا سورة النسا حتى بلغ فكيف اذا جينا من كل امة
بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا فاذا عيناه صلى الله عليه وسلم تهملان
ومما روي انه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر وجعل شفتيه عليه طويلا يبكي
وقال صلى الله عليه وسلم يا عمر ههنا تسكب العبرات فالتنزل يعود اليه
اقسام البكا ويكون البكا في الله ويكون لله ويكون بالله وهذا الاسم
لعوده اليه بوجود مستانف موهوب من الكريم المنان في مقام البقا

الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تادبا واعتنا

القول في السماع

ويتضمن هذا الباب اداب السماع وحكم التعريف واشارات المشايخ
في ذلك وما في ذلك من المأثور والمحذور ومبنى التصوف على الصدق في
سائر الاحوال فوجد كله لا ينبغي للصادق الحضور في موضع يكون فيه
سماع الا بعد ان يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا في ارادته وطلبه
ويحذر من شر النفس بشي من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسال
الله تعالى اذا عزم الحركة فيه فاذا حضر يلزم الصدق والوقار ويسكن
الاطراف قال ابو بكر الكتاني الصادق في السماع ينبغي استدعاء
الوجد ويجتنب الحركة مهما امكن فالوارد عليه يغنيه عن كل حركة وسكون د

حكي ان شابا

حكي ان شابا كان يصحب الجنيد رضي الله عنه وكلما سمع شيئا زعق وتغير فقال
له يوما ان ظهر منك شي بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه
وربما كان يقطر منه من كل شعرة نقطة عرق فلما كان يوما من الايام زعق
زعقة وخرجت روحه وقيل كان النصرباذي كثيرا ما يولع بالسماع فعوتب
في ذلك فقال هو خير من الغيبة فقال ابو عمرو بن نجيد وغيره هيهات يا ابا القاسم
زلة السماع شر من كذا كذا سنة وذلك انها اشارة الى الله تعالى بشرح
الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها انه يكذب على الله تعالى انه وهبه
شيئا وما وهبه ومنها انه يغر من يحسن به الظن والغرور خيانة ومنها
انه قد يعتر على باطله فيفسد عقيدة من يحسن به الظن فيه وفي غيره
من اهل الصلاح فيدخل الضرر عليه بسبب فساد عقيدته وينقطع مواده
من الصالحين الذي كان يحسن الظن بهم ومنها انه يحوج الحاضرين الى
موافقته في قيامه وقعوده فيكونون متكلفين للناس بباطله وقد يكون في
الجمع من له نور فراسة فيدرك باطله ثم تحمله المداراة على الموافقة ويكثر
شرح الذنوب في ذلك فليتق الله تعالى ولا يتحرك الا اذا انتهت حركته
الى حركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا الى الاستمساك والعاطس الذي
لا يقدر على رد عطسته او التنفس الذي يدعو اليه داعية الطبع قهرا
قال السري رضي الله عنه شرط الواجد في زعقته ان يبلغ الى حد لو ضرب
وجهه بالسيف ما شعر بوجع وهذا يقع لبعض الواجدين نادرا ولا يبلغ
الواجد في الغالب هذه الرتبة وانما زعقته تخرج كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة

بالاضطرار وهذا اصنع في الحركات والزعقات وهو في تمزيق الثياب اكد
فانه اتلاف مال وكذا في رمية الخرقة على الحادي لا ينبغي ان يفعل الا لله
ويجتنب فيها التكلف والرياء فاذا حضرت نية خالصة فلا باس به لكن
روي ان كعب بن زهير رضي الله عنه لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد انشده قصيدته التي اولها بانت سعاد حتى انتهى الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

وفي رواية مهند فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله انا كعب بن زهير فرمى
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معوية
رضي الله عنه بعث الى بن كعب رضي الله عنه الى زهير رضي الله عنه بع بردة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة الاف فوجه اليه ما كنت لاوثر
بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب رضي الله عنه بعث
معوية رضي الله عنه الى اولاده بعشرين الفا واخذ البردة وهي البردة التي
كانت مع الخلفاء من بني العباس رضي الله عنهم وللمتصوفة اداب في
الصحبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن
كل شيء استحسنوه وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه للانكار فيه
فمن ذلك اذا تحرك ورمى خرقته او رمى بها الى الحادي فالحسن عندهم
موافقة الحاضرين له في كشف الراس اذا كان شيخا ومتقدما فيهم وان كان
من الشبان فليس على الشيوخ موافقته ويستحب حكم الشيوخ على بقية

للحاضرين

للحاضرين في ترك الموافقة للشاب فاذا استكنوا من السماع يرد الى الواجد
خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمايم ثم ردها على الرؤس في الحال موافقة
والخرقة اذا رميت الى الحادي فهي له ان قصد الواجد اعطاه وان لم يقصده
فقد تحمل ايضا الى الحادي وتحمل للجمع والحادي واحد منهم لان المحرك قول
الحادي مع تبرك الجمع وقيل اذا كان القوال من الجمع حصل كواحد
منهم وان لم يكن منهم فما كان له فيه يوثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم
بينهم وقيل ان كان اجيرا فليس له منها شيء وان كان متبرعا يوثر بها
وكل هذا اذا لم يكن ثمة شيخ فان كان حكم في ذلك بما يرى فللشيخ اجتهاد
ولا اعتراض عليه فان قصد ايها تفعل الحاضرين او بعض المحبين ورضى القوال
والقوم فلا باس بذلك ومع كل الخرقة فان اصر واحد على الايثار بما خرج
عنه لنيته له في ذلك يوثر بخرقته الحادي واما تمزيق الخرقة المخرجة
انا مزقوها واحدا صار ادق عن غلبة فيه في تفريقها التبرك بالخرقة لان
الوجد اثر من اثار فضل الحق وتمزيق الخرقة اثر من اثار الوجد فصارت الخرقة
مما شرع باثر بالحق فحقها ان تفدى بالنفوس وتجعل على الرؤس اكراما
واجلالا لاثار فضله

تضوع ارواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث
عهد بربه وحكم ما يقع الخرقة هذه من خرق الحاضرين يحكم فيها الشيخ
ان خص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرجها كلها ذلك ولا يقال ان هذا

ويتبرك الحال

شرف وتعزيز فان الخرقة الصغيرة ينتفع بها في موضعها كالكيس وفيما منه
في ذلك حديث علي رضي الله عنه في الحلة الحرير التي ارسل بها اليه النبي صلى الله
عليه وسلم فشققها خمرا بين نسائه وحكي ان الفقهاء والصوفية اجتمعوا في
دعوة بنيسابور فوقعت الخرقة ففتشت على عادة الصوفية فالتفت
شيخ الفقهاء وكان ابا محمد الجويني الى بعض الفقهاء وقال هذا اسراف واضاعة
مال فسمع شيخ الصوفية وكان ابا القاسم القشيري فلم يقل شيئا حتى فرغ
الفقيه ثم اشار الى الخادم وقال اطلب في الجمع من معه سجادة خرق فاتني
بها فجاء بسجادة ثم احضر رجلا من اهل الخبرة فقال بهذه السجادة كم تشتري
فقال دينار فقال لو كانت قطعة واحدة كم تشتري قال نصف دينار ثم
التفت الى الشيخ ابي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة مال والخرقة الممزقة
تفتش على جميع الحاضرين ممن كان من الجنس ومن غير الجنس اذا كان
حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة ولو دخل على الجمع وقت التفتيش
من لم يكن حاضرا اعطيه له وذهب بعضهم الى ان المجروح من الخرق تفتيشه على
الجميع وما كان من ذلك صحيحا تعطى القوال وسيتبا نسر ححبه بقول النبي
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ويكره للقوم حضور غير الجنس
عندهم في السماع يحضرهم لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر او صاحب
دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجد فيشوش الوقت على
الحاضرين فيتواجد عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك

يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وهو نصف يوم ففرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم من ينشدنا فقال بدوي نعم يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم هات فانشأ البدوي يقول

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط
رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوى كل واحد الى مكانه قال معوية رضي الله عنه
ما احسن لعبكم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم مه يا معوية ليس بكريم
من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب ثم قسم رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من حضرهم باربعمائة قطعة وهذا الحديث حجة للصوفية في سماعهم
واجتماعهم وتمزيقهم الخرق الا ان هذا الحديث تكلموا في صحته قال
الشيخ ويخالج سري انه غير صحيح ولم اجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم
مع اصحابه على هذه الهيئة وما يتابع الغالب كقوله قال الطبري مختصر الكتاب
تلك وانا والله عز كذلك فان ذلك بعيد من وضعهم وما كانوا عليه وان
جاز عقلا لكنه الى الاحالة اقرب والله اعلم

لعله ويخالج سري

الباب السادس والعشرون في خاصية الاربعينية التي يتعاهدها الصوفية

باب خاصية الاربعينية

ليس يخصون القوم من الاربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن
لما طرقتهم مخالفات حكم الاوقات احبوا تقييد الوقت بالاربعين رجاء ان
يستجب حكم الاربعين على بقية زمانهم فيكونون فيها كهيئتهم في الاربعين

وانما خصت الاربعون بالذكر لقوله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين
صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خصها الله تعالى بالذكر
في التنزيل في قصة موسى عليه السلام قال تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة
وزيادة العشر انما كان على ما روي انما كانت الثلاثين من شهر ذي القعدة
ثم انكر خلوف فمه فتسوك فعوتب بذلك فقالت الملائكة كنا نشم منك
رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يصوم عشرة ايام
من ذي الحجة وقال اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك
وما كان صوم موسى ترك الطعام نهارا واكله ليلا بل طوى الاربعين من
غير اكل يدل على ان خلو المعدة من الطعام اصل كبير في الباب فمن انقطع
الى الله تعالى اربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة يفتح عليه
العلوم اللدنية كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري
رضي الله عنه ما اخلص عبد لله اربعين صباحا الا انبت الله الحكمة في
قلبه وزهده في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره داء الدنيا ودواءها والحكمة
في التقييد بالاربعين لا يطلع على حقيقتها الا الانبياء بتعريف الله تعالى
او من خصه الله تعالى بتعريف ذلك ويمكن ان يكون من ان داود عليه
السلام لما ابتلي بالخطيئة خر لله ساجدا اربعين يوما وليلة حتى اتاه الغفران
من ربه وان ادم عليه السلام خمر الله طينته التي خلقه منها اربعين صباحا
فصلح بذلك لنفخ الروح فيه والله اعلم بحقيقة ذلك كله وقوله صلى الله
عليه وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وذلك ان للقلب وجها

الى النفس

الى النفس باعتبار توجهه الى عالم الشهادة وله وجه الى الروح باعتبار توجهه
الى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المكنونة الى النفس ويخرجها الى اللسان
الذي هو ترجمانه فتظهر العلوم من القلب لانها متاصلة فيه وانه صحبها
للعبد وثمرة بالاربعين ويشترط الاخلاص ان يزهد بعد الاربعين في الدنيا
ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود لان الزهد في الدنيا من ضرورة
ظهور الحكمة فمن لم يزهد في الدنيا لم يظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين
فيعلم انه اخل بالشرط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص ما عبد لان الله تعالى امر
بالاخلاص كما امر بالعمل فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين عن صفوان بن عسال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان يوم القيامة يجيء الاخلاص والشرك يجثوان بين يدي الله تعالى فيقول
الرب للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق انت
واهلك الى النار وعن حذيفة رضي الله عنه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سالت
رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري اودعته قلب من احببت من
عبادي ومن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس اذ النفس بطبعها
كارهة للخلوة مائلة الى مخالطة الخلق فاذا زجرها عن مقاصدها واعادها وحبسها
على عبادة الله وطاعته تعتب كل مرة يدخل عليها حلاوة القلب قال
ذو النون رضي الله عنه لم ار ابعث على الاخلاص من الخلوة ومن احب الخلوة
فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من اركان الصدق ومن الناس

من ينبعث من باطنه داعية الخلوه ويجاب تعشو الي ذلك وهذا الكمل
وقد روي عن حال النبي صلي الله عليه وسلم ما يدل علي ذلك قالت عايشه
رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصالحه فكان صلي الله عليه وسلم لا يري رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب
اليه الخلا فكان صلي الله عليه وسلم ياتي غار حرا فيتحنث فيه الليالي ذوات
العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الي خديجه رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتي فجاه
الحق وهو بغار حرا الحديث فهذا الاصل في ايثار الخلوه للمريدين فانهم
اذا اخلصوا لله تعالي في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يونسهم في خلواتهم ويعوضهم
عما تركوه لاجله ثم خلوة القوم مستمره واما الاربعون فاتسكوا بها لانه اثر
في ظهور مبادي بشاير الحق سبحانه وتسنوح مواهبه.

الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الاربعينيه

مطلب فتوح الاربعينيه ٢٧

وقد غلط في طريق الخلوه والاربعينيه قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل
عليهم الشيطان وفتح لهم باب الغرور ودخلوا الخلوه علي غير اصل مستقيم من
بادية حق الخلوه بالاخلاص وسمعوا ان المشايخ والصوفيه كانت لهم خلوه
وظهرت لهم وقايع وكرشفوا بغرايب وعجايب فدخلوا الخلوه لطلب ذلك وهذا
عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلوه والوحده لسلامة
الدين وتفقد احوال النفس واخلاص العمل لله تعالي قال بعض الصوفيه المغربي من
اختار الخلوه علي الصحبه ينبغي ان يكون خاليا عن الاذكار الا ذكر ربه عز وجل
وخاليا عن جميع المرادات الا مراد الله تعالي وخاليا عن مطالبة النفس من جميع

الاستباب

٦١

الاستباب فان لم يكن بهذه الصفه فان خلوته توقعه في فتنه او بليه وجاء
رجل الي زيارة ابي بكر الوراق فقال له اوصني فقال وجدت خير الدنيا والاخره
في الخلوه والقله ووجدت شرهما في الكثره والاختلاط وقد دخلت الفتنه
علي قوم دخلوا الخلوه بغير شروطها واقبلوا علي ذكر من الاذكار واستجموا
نفوسهم بالعزله عن الخلق ومنعوا النفوس اشغال الحواس كفعل الرهبان
والبراهمه والفلاسفه وللوحده وجمع الهم تاثير في صفا الباطن مطلقا فما
كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق متابعة الرسول انتج تنوير
القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعامله لله بالاخلاص من الصلاه
والتلاوه وغير ذلك وما كان من ذلك علي خلاف ما ذكرناه انتج صفاء في
النفس يستعان علي اكتساب علوم رياضيه مما تعتني به الفلاسفه والدهريه
خذلهم الله تعالي وكلما اكثر من ذلك كثر البعد من الله تعالي والازدياد في الفشل
علي ذلك فيتسخر به الشيطان فيما يكتسب من العلوم الرياضيه او بما قد
يتراي له من صدق الخاطر وغير ذلك حتي يركن اليه كل الركون ويظن انه
قد ظفر بالمقصود ولا يعلم ان هذا الفن من الفايده غير ممنوع من النصاري
والبراهمه وليس هو المقصود من الخلوه قال بعضهم الحق يريد منك الاستقامه
وانت تريد الكرامه وقد يفتح علي الصادقين بشي من خوارق العادات
وصدق الفراسه وقد لا يفتح لهم بذلك وذلك لا يقدح في حالهم وانما يقدح
الانحراف عن حد الاستقامه فما يفتح من ذلك علي الصادقين يصير
مزيدا لايقانهم وداعيا لهم في صدق المعامله والمعامله والزهد في الدنيا

والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع
يصير سببا لمزيد بعد عن الله تعالى واستيطالته على الناس وازرايه بالخلق
ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاستسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال
والحرام ويظن ان المقصود بالعبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك الى التزندق نعوذ بالله من الضلال
وقد يلوح لاقوام خيالات ويظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ
من غير علم بحقيقة ذلك واعلم ان العبد اذا اخلص لله تعالى واحسن
النية وقعد في الخلوة اربعين يوما او اكثر ثم يباشر باطنه صفو اليقين
ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كانما يشاهد ما رأى عالمي ربي وقد يصل الى هذا
المقام باحياء الاوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الاوراد على
الاوقات بالصلاة والتلاوة والذكر وتارة يسابقه الحق لموضع صدقه
وقوة استعداده مبادأة من غير عمل يوجب منه وتارة يحصل ذلك بملازمة ذكر
خاص لا يزال يردده حتى في طريق الوضوء وساعة الاكل لا يفتر عنه ويكون
عبادته الصلوات الخمس يشفعها الراتبة فحسب وسائر اوقاته مشغول له
بذلك الذكر واختار جمع من المشايخ من الذكر لا اله الا الله وهذه الكلمة
لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهي من
مواهب الحق لهذه الامة روي ان عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام
قال يا رب انبئني عن هذه الامة المرحومة قال امة محمد صلى الله عليه وسلم علماء حلماء
كانهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وارضى منهم باليسير من العمل ادخلهم الجنة

بلا اله الا الله هم اكثر سكان الجنة لانها ذلت السنتهم قوم قط بلا اله الا الله
كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم فلا يزال
العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى تصير
الكلمة متأصلة في القلب تزيل حديث النفس وتنوب معناها في القلب عن
كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة وتسهلت على اللسان تتشربها
القلب فلو سكت اللسان لا يسكت القلب ثم تنمحي في القلب وتمحوها
ويتمكن نور اليقين في القلب حتى اذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب
لا يزول نورها بمحوها ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى
ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة
والمعاينة وهذا هو المقصد الاقصى من الخلوة وقد لا يحصل هذا الا بتلاوة
الكلمة بل بتلاوة القرآن اذا اكثر منه مع مواطاة القلب اللسان حتى
تجري التلاوة على اللسان ومعنى الكلام يجري حديث النفس فيدخل على
العبد سهولة في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة
والصلاة وينمحي بنور الكلام في القلب ويكون فيه ايضا ذكر الذات ويخرج
نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه ودون هذه المواهب
ما يفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية الغيبية وقد يحتجب في الذكر
من كمال النشوة وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم وقد يتجلى
له الحقائق في لبسة الخيال والا كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال
كمن رأى في المنام انه تناجيه تبقوله العبر نظير بعلو وقطعه بالعدو

كشف كاشفه الحق به وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة
في المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد
لصاحب الخلوة الخيال المنبعث منه ذاته من غير أن يكون دعا الحقيقة
فلا ينبني على ذلك ولا يلتفت اليه ولا يلتبس بواقعة وانما هو خيال فاما اذا
غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه
داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد ينبعث في
الابتداء من نفسه مثال وخيال فينفتح فيه روح الكشف فاذا اعاد من
غيبته فاما ان يفسره من باطنه موهبة من الله تعالى واما ان يفسر له
شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لانه كشف حقيقة وشرط
صحة الواقعة الاخلاص في الذكر والاثر الاستغراق في الذكر ثانيا وعلامة
ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير
لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالى ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهوى
لا من باطنه كالهواتف ويكون ذلك مزيدا من الله تعالى لعبده او يرى في
المنام حقيقة الشيء نقل عن بعضهم انه اتي بشراب في قدح فوضعه
بين يديه ثم قال قد حدث في العالم حدث ولا اشرب حتى ادري ان اعلم ما
هو فما انكشف له ان قوما دخلوا مكة ويتكوا فيها وحكي عن ابي سليمن
الخواص انه قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطي
راسه وكنت اضرب راسه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار راسه الي

وقال الاضرب فانك على راسك تضرب قيل له يا ابا سليمن ووقع كذلك لك او
سمعته فقال سمعته يقول كما سمعتني وقد يكاشف الله تعالى عبده
بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية لنفسه وانما كان يعني جعفر
الخلدي فص له قيمة فذهب منه في دجلة وكان يحفظ دعاء للضالة وهو
يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي فدعا به فوجد الفص في
وسط اوراق كان يتصفحها وحكي عن شيخ كان بهمدان انه كوشف في
بعض خلواته بولد له في جيحون كاد يسقط في الماء من سفينة فال فزجره
فلم يسقط وقول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل على المنبر بالمدينة
وسارية بنهاوند فاخذ سارية نحو الجبل فظفر بالعدو فقيل لسارية كيف
علمت فقال سمعت صوت عمر رضي الله عنه وهو يقول يا سارية الجبل قال
الشيخ وذكر لي فقير انه كان بمكة فارجف على شخص ببغداد انه مات
فكاشفه الله تعالى بالرجل وهو راكب يمشي في سوق بغداد فاخبر
اخوانه ان الشخص لم يمت وكان كذلك وذكر هذا الشخص انه في
تلك الحال التي كوشف بالشخص راكبا قال رايته في السوق وانا اسمع
باذني صوت المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه مواهب من
الله تعالى يكاشف بها قوما وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء من
هذا لان هذه كلها تقوية لليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة به الى شيء
من هذا وكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر القلب بوجود ذكر
الذات وتلك المكاشفة قد تحصل للرهبان والبراهمة ممن هو على غير منهاج سبيل

مطلب دعاء الضالة

الهدى وراكب طريق الردى فيكون ذلك في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا
حالهم ويستعظموا ويتجاوز الطرد والبعد فمن تعلق بخيال او قنع بحال ولم
يحكم اساس خلوته بالاخلاص واداحق التقوى ويستغني بها الزهد في
الدنيا دخل الخلوة بالزور وخرج بالغرور فالعاقل العارف ان المقصود من
الخلوة التقرب الى الله تعالى وذلك بعمارة الاوقات وكف الجوارح من
المحرمات فيصلح لقوم ادامة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد ولقوم دوام المراقبة ولقوم الانتقال من الذكر الى
الاوراد وقوم عكس ذلك وتقدير ذلك كله الى الشيخ المطلع على اختلاف
الاوضاع وتنوعها مع نصيحته للامة وشفقته على الكافة مريد المريد لله
لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محب الاستتباع في نفسه ومثل هذا
اكثر ما يصلحه

مطلب كيفية الدخول في الاربعينية

الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الاربعينية

قد تقرر ان العزلة والوحدة ملاك الامر ويتمسك ارباب الصدق فمن
استمرت اوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الاصل لانه فان لم يتيسر
له ذلك وكان مبتلى بنفسه او كاثرا بالاهل والاولاد فليجعل لنفسه من
ذلك نصيبا يتعهد نفسه بالخلوة في كل سنة مرة اما الاربعينية الطالب
اذا اراد ان يدخل الخلوة فاكمل امره في ذلك ان يتجرد عن الدنيا ويخرج كلما
يملكه ويغتسل غسلا كاملا وينظف ويلبس ثوبا طاهرا نظيفا من بوصا
ويصلي ركعتين ويتوب الى الله تعالى من ذنوبه يتباكى وتضرع واستكانة

ويخشع

ويخشع ويستوي بين السريرة والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد
وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج الا لصلاة الجمعة والجماعة
وترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطا فان وجد بعرفه في خروجه يكون
له شخص يصلي بجماعة في خلوته ولا يرضى بترك الجماعة اصلا فان تركها
يخشى افات وقد رايتها من تشويش عقله في خلوته ولعل ذلك بشوم
اصراره على ترك الجماعة غير انه ينبغي ان يخرج لها وهو ذاكر لا يفتر ولا يرسل
طرفه الى ما لا يحتاج اليه ولا يسمعه الى ما يسمعه مما لا حاجة به اليه فان
ذلك ينقش في الذهن صورة المرئي والمسموع فيتكثر لذلك الوسواس
وحديث النفس والخيال ويجتهد ان يكون حضوره الجماعة بحيث يدرك مع
الامام تكبيرة الاحرام فاذا سلم الامام انصرف ويبقى في خروجه اشتغالا
نظر الخلق اليه وعلمهم بخلوته في خلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند
الله تعالى وانت تريد المنزلة عند الناس وهذا اصل اذا اهمل تعطل كثير
من الاعمال ولا يعتبر انه يصلح كثير من الاحوال ويكون في خلوته جاعلا همه
شيئا واحدا اما تلاوة او ذكرا او مراقبة او صلاة واي وقت يمتزج بهذه الاحكام
فيها فان اراد تعيين عدد من الركعات ومن التلاوة او الذكر وان اراد يكون
بحكم الوقت يتعهد اخف ما على قلبه من هذه الاقسام فاذا تخير عنها فان وان
اراد بقي على سجود واحد او ركوع او ركعة او ركعتين ساعة او ساعات
ويلازم البقاء على الوضوء ولا ينام الا عن غلبة بعد ان يدفع النوم عن نفسه
مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره واذا سئم من الذكر باللسان ذكر بقلبه

واما القوت فالاولى ان يقنع بالخبز والملح يتناول كل ليلة رطلا واحدا
بعد العشا الاخرة وان قسمه نصف رطل اول الليل ونصفه اخره كان ذلك
اخف على المعدة واعون على قيام الليل واحيايه وان اراد اخر فطوره الى
السحر وان لم يصبر على ترك الادام يتناوله لكن ان كان يقوم مقام الخبز
نقص من الخبز بقدر ذلك وان اراد التقلل من هذا نقص كل ليلة قدر
اللقمة بحيث ينتهي تقلله في العشر الاواخر من الاربعينية الى نصف رطل
وان قوي يقنع العشر بالنصف رطل يتناولها ونقص كل ليلة شيا حتى
يعود الى ربع رطل في العشر الاخير وقد اتفق مشايخ الصوفية على ان
مبنى الامر على اربعة اشيا قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال
عن الناس وقد جعل للجوع ثلاث احدها اربعة وعشرين ساعة
والاخر على راس اثنين وسبعين ساعة فيكون الفطر لليلتين والافطار
في الثالثة ويكون لكل يوم وليلة ثلث الرطل وبين هذين ثمان واربعين
وهو ان يفطر في كل ليلتين ليلة فيكون لكل يوم وليلة نصف رطل وهذا
ينبغي ان يفعله اذا لم يجد به شاءمة ولا امر يمنع استراحة في الذكر
والمعاملة فاذا وجد ذلك افطر كل ليلة على ما ذكرناه والتقشف اذا
اعتاد بالفطر بعد ليلتين ثم ردت الى الفطر كل ليلة تخففت وان شوقت
بافطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلعت للادام والشهوات فهو اذا طعمت
طعمت وان قنعت قنعت ومن الصالحين من كان يقصر قوته على نوى التمر
وينقص كل ليلة نواة ومنهم من يقصره على عود رطب وينقص كل ليلة بقدار جفافه

ومنهم

ومنهم من ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفني الرغيف في شهر
ومنهم من كان يوخر الفطر ولا يعمل في تقليل القوت لكن يعمل في تاخيره
بالتدريج حتى يتدرج ليلة في ليلة وقد يفعل ذلك طايفة حتى انتهى طيهم
الى سبعة ايام وعشرة ايام وخمسة عشر يوما الى الاربعين قيل لسهل
ابن عبد الله رضي الله عنه انت تاكل في كل اربعين اكثر ايش يذهب
الجوع قال يطفيه النور قال الشيخ سالت بعض الصالحين عن ذلك
فاخبرني بما دلني على انه تجربة يتفق معه ذهاب الجوع وهذا في الخلق
واقع ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جايعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في
طرق الخوف ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شي من هذه الاقسام التي ذكرناها
لا يوثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه اذا كان في حماية الصدق
والاخلاص وانما يخشى من ذلك ومن دوام الذكر على غير المخلص لله تعالى
وقد قيل حد الجوع ان لا يميز بين الخبز وغيره بما يوكل ومتى عينت النفس
الخبز فليس بجايع وهذا المعنى يوجد في اخر الحد بعد ثلاث وهذا جوع
الصديقين وطلب الغذا بعد ذلك يكون ضرورة لقوام الجسم والقيام
بوظايف العبودية ويكون هذا احد الضرورتين لمن لا يتدرج في التقليل اما
من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على اكثر من الاربعين على ما تقدم
وقال بعضهم حد الجوع ان يبزق فاذا لم يقع عليه ذباب دل على خلو
المعدة من الدسومة وصفا البزاق كالما الذي لا يقع عليه ذباب روي
ان سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم رحمة الله عليهما ورضوانه كانا يطويان ثلثا ثلثا

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستاً. وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
يطوي سبعاً. وكان محمد بن عبد الله المعروف بعمويه جد الشيخ المصنف يطوي
اربعين. وانتهى ما بلغ في الطي رجل ادركنا زمانه وما رايته كان في ابهر
يقال له الزاهد حليقة كان ياكل في كل شهر لوزة ولم نسمع انه بلغ احد من هذه
الامة في الطي والتدرج الى هذا الحد. وكان في ابي الامر على ما بلغني بعض الفقراء
مشايخ العودية يطوي حتى انتهى الى اللوزة في الاربعين. فقد سلك
هذا الطريق جمع من الصادقين. وقد سلك غير الصادق هذا الوجود وهو
مشتكي في باطنه يهون عليه ترك الاكل باستحلاء نظر الخلق وهذا عين
النفاق نعوذ بالله منه. والصادق ربما يضعف اداعله بطنه وتلك
علامة الصدق فمهما احس العبد من نفسه انه احيان يرى بحبس الطعام
قلبه نفسه فان فيه شائبة نفاق. ومن طوى لله عوضه الله في باطنه
ما ينسيه الطعام وقد لا ينسيه لكن لا يمتلئ قلبه بالانوار يقوى جاذب
الروح الروحاني فيجذبه الى مركزه ومستقره من العالم الروحاني فيتزكى
الاطعمة الدنياوية والشهوات الحيوانية ويتحقق بمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني. ولا يقدر على ما وصفناه الا عبد
مصبر لعماله واقواله وسائر احواله ضرورة فيتغذى [illegible] الطعام ايضاً
ضرورة ولو تكلم مثلاً اكله من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب
الحلفا بالنار لان النفس الراتعة تستنفظ فتسرع الى هواها فالعبد المراد
هذا اذا نظر لمتابعة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي ورزق المعونة

من الله تعالى

من الله تعالى لا سيما ان كوشف بشيء من المنح الالهية. قال سهل رضي الله عنه
من طوى اربعين يوماً ظهرت له القدرة من الملكوت. ويقال لا يزهد
العبد الذي لا مثنوية ابداً لا مشاهد قدره من الملكوت. قال الشيخ
ابو طالب المكي عرفنا من طوى اربعين يوماً برياضة النفس في تاخير القوت
كان يؤخر فطره كل ليلة الى نصف سبع من الليل حتى يطوي ليلة في نصف
شهر فيطوي الاربعين في سنة واربعة اشهر يتدرج الايام والليالي
حتى تكون الاربعين بمنزلة يوم واحد وذكر ان الذي يفعل ذلك ظهرت
له اثار من الملكوت وكوشف بمعاني قدره من الجبروت تجلى الله له بها كيف شاء
واعلم بان هذا المعنى من الطي والتقلل لو انه عين فيه الفضيلة ما فات
احدا من الصحابة ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ اقصى الغايات
ولا شك ان لذلك فضيلة لا تنكر ولكن لا تنحصر مواهب الحق في ذلك
فقد يكون من ياكل كل يوم افضل ممن يطوي اربعين يوماً وقد يكون
من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة افضل ممن يكاشف بها اذ كاشفه
الله عز وجل بصرف المعرفة فالقدرة اثر القادر ومن اهل القرب القادر
لا يستكثر شيئاً من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجف اجراء عالم
الحكمة. واذا اخلص العبد لله تعالى اربعين يوماً على ما تقدم ذكره عادت
بركة تلك الاربعين على جميع اوقاته وساعاته وهو طريق اعتاده طائفة
من الصالحين. وكان بعضهم يختار لها ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهي
اربعون موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام

ذكر اخلاق الصوفية

الباب التاسع والعشرون في ذكر اخلاق الصوفية

والصوفية اوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
روى انس بن مالك رضي الله عنه فيما اسنده الترمذي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد
فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احياني ومن احياني
كان معي في الجنة وهذا اداب الصوفية وقد وقفوا فيه بانهم على رعاية
اقواله وفي بسط حالهم اقتدوا بافعاله فاثمر لهم ذلك ان تخلقوا باخلاقه
وتحسين الخلق لا يتاتى الا بعد تطهير النفس وطريقة الاذعان لسياسة
الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق
لما كان اشرف الناس وازكاهم نفسا كان احسنهم خلقا قال مجاهد
خلق عظيم اي دين عظيم والدين مجموع الاعمال الصالحة والاخلاق السنية
سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت
خلقه القران قال قتادة هو ما كان ياتمر من امر الله تعالى وينتهي عما نهى
وهذا البعض قول مجاهد ويحتمل في قول عائشة رضي الله عنها ان المعنى
ان ايات القران لما توزعت على ظهور صفاته في اوقات مختلفة صفت
اخلاقه بالقران ليكون خلقه نحو قوله صلى الله عليه وسلم لما شج راسه
وكسرت رباعيته كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم الحديث فنزل
ليس لك من الامر شيء وهكذا كلما بدا منه وصف البشرية ثم نزل
تاديبه من الله تعالى حتى صار القران له خلقا ويكون اتقا الصفات .. البشرية

في نفسه

٦٧

في نفسه الكريمة من قوله صلى الله عليه وسلم انما انسى لاسن لنفاها
للتشريع فاذا ظهر منها شيء نزل من القران ما ينصت تنزيله كان فيه تاديب
لنفوس الامة وتزكية وتهذيب قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم ان لله مائة وسبعة عشر
خلقا من اتاه بواحد منها دخل الجنة وهذا التقدير العددي لا يكون الا
بوحي يتمادى امر الى الخلق ليدعوهم اليها ولولا ان الله تعالى اودع في القلوب
البشرية التخلق بها ما ابرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ويحتمل
ان يكون قول عائشة رضي الله عنها فيه رمز الى الاخلاق الربانية ولكنها
بسمع الحضرة الالهية ان يقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت
صلى الله عليه وسلم بقولها كان خلقه القران وهذا من وفور علمها المشار
بقوله صلى الله عليه وسلم خذوا شطر دينكم من عائشة رضي الله عنها
قال الجنيد انما وصف بالتعظيم لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى
قال الواسطي لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق فلما صغر ذلك في
عينه عظم خلقه وقيل لانه صلى الله عليه وسلم عاشر الخلق بخلقه وباينهم
بقلبه ومن هذا قول بعضهم الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل
جماع مكارم الاخلاق فيه وقيل فيه اقوال كثيرة وقد حث صلى الله عليه وسلم
على حسن الخلق فقال ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم
اخلاقا وسئل عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق

كان صاحب حسن الخلق يبلغ به صاحب الصوم والصلاة. وفسر عبد الله
ابن المبارك حسن الخلق تعالى هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم
الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا
تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده صدق الحديث وصدق
الناس وان لا يشبع وجاره وصاحبه جايعان واعطاء السائل والمكافاة
بالصنايع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب واقراء الضيف
وراسهن الحيا فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى
اجابت الى حسن الخلق وكم من نفس تجيب الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق
قال ابو بكر الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
فالعباد اجابت نفوسهم الى الاعمال لانهم سلكوا بنور الاسلام والزهاد
اجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية
اجابت الى الاخلاق الكريمة كلها لانهم اهل قرب سلكوا بنور الاحسان
لما باشر بواطنهم نور اليقين انصلحت قلوبهم لان القلب يبيض بعضه بنور
الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا
ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس
ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة والقلب
اذا لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون ذا وجهين وجه اليها ووجه
الى النفس فاذا ابيض كله توجه الى الروح بكله فيتدارك مدد الروح

مكارم الاخلاق عشرة

ويزداد

ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى
القلب وتنورت لتوجهها اليه توجهها الذي يليه وعلامة تنورها
تنقيتها قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فنور وجهها الذي يليه مقابلة نور ابنه احد وجهي الصدف الواحد اللولو
بحسب منه وبقايا شيء من الظلمة على النفس من وجهها المقابل للغريزة
الطبع كغطاء الصدف على ضرب من الكدر واذا تنور احد وجهي
النفس اجابت الى حسن الخلق وتبدل النعوت ولذلك سموا الابدال ابدالا
حكي عن ابي القاسم الكركاني انه قال ان الاسما التسعة والتسعين تصير
اوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل واراد الشيخ
والله اعلم ان العبد ياخذ من كل اسم وصفا بلائق ضعف البشر وقصوره
مثل ان ياخذ من اسم الله تعالى الرحيم وصف الرحمة وكل اشارات المشايخ
الى الاسما والصفات التي هي اعز علومهم على هذا التفسير وكل من توهم
بذلك شيا من الحلول يزندق والحد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاذا رضي الله عنه بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال يا معاذ اوصيك
بتقوى الله وصدق الحديث والوفا بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة
وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر
الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة والجزع من الحساب
وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع اثما او
تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقا الله عند كل حجر وشجر ومدر

وان يحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك ادب الله
عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب • وقد كان من خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اسخى الناس لا يبيت عنده لا
دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم ياوي الى منزله
حتى يتبرا منه ولا ياخذ مما اتاه الله من الدنيا اكثر مما يكون قوت عامه من ايسر
ما يجد من التمر والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله تعالى لا يسال
شيئا الا اعطاه ثم يعود الى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل
انقضاء العام • وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم
في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن • وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم تواضعا صلى الله عليه وسلم •

الباب الثلاثون في تفاصيل اخلاق الصوفية

مطلب في تفاصيل اخلاق الصوفية

من احسن اخلاقهم التواضع ولا يلبس العبد لبسة احلى واجمل من التواضع
ومن ظفر بحقيقة التواضع والحكمة فقد فهم نفسه عند كل احد مقدارا يعلم انه
فقيه ويفهم كل احد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح
واراح وما يعقلها الا العالمون • وعن انس رضي الله عنه قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا ولا يبغي بعضكم
على بعض • وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني قال صلى الله عليه وسلم على البر والتقوى والهيبة وذلة
النفس • وكان من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم انه يجيب دعوة الحر والعبد

ويقبل

ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا يستنكف
عن اجابة المسكين والامة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
راس التواضع ان تبدا بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان
ترضى بالدون من المجلس ولا تحب المدحة والتزكية والبر • وقال صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة •
وسئل الفضيل بن عياض رضي الله عنه عن التواضع فقال تخضع للحق
وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه • وقال صلى الله عليه وسلم ايضا
من راى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب • وقال ابو حفص
من احب ان يتواضع فعليه بصحبة الصالحين ويقتدي بهم • وقال الغنى
لكل شي مطية ومطية العمل التواضع • وسئل ابو يوسف بن اسباط عن
غاية التواضع فقال ان تخرج من بيتك فلا تلقى احدا الا رايته خيرا منك •
قال بعضهم صح عند اهل المعرفة ان للدين راس مال خمسة في الظاهر
وخمسة في الباطن فمن الظاهر صدق اللسان وسخاوة القلب في المال والتواضع
في البدن وكف الاذى واحتماله • وفي الباطن حب وجود سيده وخوف
الفراق من سيده ورجا الوصال من سيده والندم على فعله والحياء من ربه •
وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن وفي الاغنيا احسن والتكبر سمج وفي
الفقرا اسمج • وقال ذو النون رضي الله عنه ثلاثة من علامات التواضع
تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق
والنصيحة من كل احد • وقال بعض الحكما التواضع نعمة لا يحسد عليها

والكبر بلاء لا يرحم صاحبه، قال الشيخ والكشف عن حقيقة التواضع
ان التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه
فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به ويفضي الى
تضييع حقه، وقد اشتبه على كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع
اشياء انتهوا فيها الى حد ان فاموا التواضع مقام الضعة وقصدهم في ذلك
المبالغة في قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من الكبر والعجب فقال ان
ينبغي ان يكون المريد في مبادئ ظهور سلطان الحال من العجب ولكلما نقل من ذلك
الغثيل عن المشايخ تلقفا بالشكر عندهم والخضارهم في تضييق سكر
الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو في ابتداء امرهم واذا اخذ صاحب
البصيرة نظره علم ان ذلك من استتار النفس الشح عند نزول الوارد
على القلب فتطهر بصفتها فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب
كقول بعضهم ملكت حضرة الشاسلي، وقال بعضهم قدمي على رقبة
جميع الاولياء، وقول بعضهم استرحت الجنة وطفت في اقطار الارض
وقلت ها اين مبارز فلم يخرج الي احد اشارة منه الى تفرده في رتبته ومن
استكل عليه ذلك وكبر اليه من استتار النفس الشح فليزن ذلك
بميزان احوال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم وجفيهم
امثال هذه الكلمات ولكن يحمل الكلام الصادر من رجالهم في الصحة وتعالى
ان ذلك طغى عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحتمل فالمشايخ ارباب
التمكين لما علموا الى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع

حتى الجفوة

حتى الجفوة بالضعة مداراة للمريدين والاعتدال في التواضع ان يرضى
الانسان بمنزلة دون ما يستحقه ولو امن الشخص جموح النفس بحسرها
لاوقعها على حد يستحقه من غير زيادة ونقصان، والكبر ظن الانسان
انه اكبر من غيره والتكبر اظهار ذلك، وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى
ومن ادعاها من المخلوقين كان كاذبا والكبر ينولد من الاعجاب والاعجاب
من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد
عظم الله شان الكبر بقوله تعالى انه لا يحب المستكبرين اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين، وقد ورد انه تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته، وفي رواية قذفته في نار جهنم،
وقال تعالى ولا تمش في الارض مرحا الاية، وقال عز وجل فلينظر
الانسان مم خلق الاية قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه الاية،
وقال بعضهم لبعض المتكبرين اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة
وانت فيما بينهما تحمل العذرة، وقال ناظم لهذا المعنى،
كيف يزهو من رجيعه ⁂ ابد الدهر ضجيعه،
واذا ارتحل التواضع عن القلب وسكن الكبر انتشر اثره في بعض الجوارح
ونضح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد
بالتصعير قال تعالى ولا تصعر خدك للناس، وتارة في الراس عند
استعظام النفس قال تعالى لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم
مستكبرون، وتتشعب من الكبر شعب بعضها اخفى من بعض

كالتيه والزهو والعجب والعزة وغير ذلك الا ان العزة يشتبه بالكبر من
حيث الصورة ويختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة
والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة
قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة غير الكبر
ولا يحل للمؤمن ان يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان واكرامها ان لا يضعها
لاغراض عاجلة دنيوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها
فوق منزلتها قال بعضهم للحسن البصري ما اعظمك في نفسك قال
لست بعظيم ولكني عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة
الكبر قال تعالى يستكبرون في الارض بغير الحق فيه اشارة خفية
لاثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع من غير انحراف الى الضعة
وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يثبت على ذلك
اقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين واعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب
النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ومتى لم يحصل للصوفي
حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق
والتواضع من اشرف اخلاق الصوفية ومن اخلاق الصوفية المداراة واحتمال
الاذى من الخلق ويبلغ من مداراة النبي صلى الله عليه وسلم انه وجد قتيلا من
اصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان
باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان صلى الله عليه وسلم من

حسن

حسن مداراته ان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما فالمداراة مع كل احد من
الاهل والولد والجار والصاحب والخلق كافة من اخلاق الصوفية وباحتمال
الاذى يظهر جوهر النفس قال صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي
يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على
اذاهم واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس
ابن العشيرة او اخو العشيرة ثم اذن له فالان له القول فلما خرج قيل
يا رسول الله قلت له ما قلت ثم النت له القول فقال صلى الله عليه وسلم
ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه فاي شيء يستدل به على قوة
عقل الشخص ووفور علمه مثل المداراة والنفس لا تزال تشمئز من عكس
مرادها وتستفزها الغيظ والادب وبالمداراة تقطع جماحها ورد طيشها
وقد ورد من كظم غيظه وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى
يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وقال
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب
وروي انه صلى الله عليه وسلم اتى برجل فكلمه فارعد فقال صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل
القديد وقال صلى الله عليه وسلم من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي
حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير وعن عبد الله
رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي
نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني

كذا هنا بياض

فنفحه بسوط في يده فبت لنفسي لاهيا اقول اوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبت بليلة كما يعلم الله فلما اصبحنا اذا رجل يقول ابن فلان فقلت هذا
والله الذي كان مني بالامس قال فانطلقت وانا متخوف فقال لي
انك وطئت بنعلك على رجلي بالامس فاوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط
فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ومن اخلاق الصوفية الايثار والمواساة
ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا
يوثرون بالموجود ويصبرون عن المفقود قال ابو يزيد ما غلبني احد
ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد
عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا
كلاب بلخ قلت وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيئا
من هذه الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونوثرهم
بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله
عليه وسلم الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي بعثك بالحق
نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك

هذه الليلة

هذه الليلة ثم قال صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا رحمه الله فقام رجل
من الانصار فقال انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ما
عندنا الا قوت الصبية قال فقومي عليهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئا ثم
اسرجي فاذا اخذ الضيف ياكل فقومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه
وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع
فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ثم قامت واسرجت
فلما اخذ الضيف لياكل قامت كانها تصلح السراج فاطفاته وجعلا يمضغان
السنتهما وظن الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع الضيف وباتا
طاويين فلما اصبحوا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما
تبسم ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة
وانزل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية وقال ابن عمر
رضي الله عنه اهدي لبعض الصحابة راس شاة مشوي كان مجهودا احوج
به الى جاره فتداوله سبعة انفس ثم عاد الى الاول فانزلت الاية
وعن حذيفة العدوي رضي الله عنه قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم
لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا
انا به فقلت اسقيك فاشار الي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي
انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع هشام آخر
يقول آه فقال انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام

فاذا هو قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا به قد مات رحمهم الله تعالى ورضي عنهم
وقال ابو حفص الايثار هو ان تقدم حظوظ الاخوان على حظك في الدنيا
والاخرة وقال بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار انما الايثار ان
تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين اخ وصاحب
وذي معرفة وقال ابو شفر الحسين من راى لنفسه ملكا لا يصح منه
الايثار لانه يرى نفسه احق بالشي برؤية الملك انما الايثار ممن يرى
الاشيا للحق فمن وصل اليه فهو احق به واذا وصل اليه شي من ذلك يرى
نفسه يدا امانة يوصلها الى صاحبها وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
الصوفي من يرى نفسه هدرا وملكه مباحا ونقل لما سعي بالصوفية
وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب اعناقهم تقدم
النوري فقيل له الى ماذا تبادر فقال اوثر اخواني بفضل حياة ساعة
ونقل دخل الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وباب بيته
مغلق فقال صوفي وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وامر بجميع
ما في البيت ان يباع وتتخذ به رفق ونقعد في الدار فدخل صاحب المنزل
ولم يقل شيئا ودخلت امراته الدار وعليها كسا فدخلت بيتا ورمت الكسا
وقالت هذا من بقية المتاع فبيعوه فقال لها زوجها لم تكلفت هذا باختيارك
قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه
ونقل ان رجلا صديقا له ودق عليه فلما خرج قال لماذا جئتني فقال
لاربعمايه درهم علي فدخل الداره ووزن اربعمايه درهم واخرجها اليه ودخل

دار باكيا

داره باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حين شق عليك فقال انما ابكي
لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج ان يفاتحني به وعن ابي موسى رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو
جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا في اناء واحد بالسوية فهم
مني وانا منهم وهذا الخلق روي في الصحابة كثيرا فالصوفي يحمله
على الايثار الطهارة نفسه وشرف غريزته فمن كانت هذه غريزته السخا
يوشك ان يكون صوفيا لان في مقابلته الشح وهو من لوازم صفة النفس
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ومما رزقناهم
ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون حكم بالفلاح
لمن توقى الشح ولمن انفق والفلاح اسم جامع لسعادة الدارين والنبي
صلى الله عليه وسلم ذكر بالاثام مهلكات من جملتها شح مطاع فجعله
احدى المهلكات وقيده بالمطاع ولم يقل مجرد الشح فادام موجودا في
النفس غير مطاع لا يكون مهلكا فانه غير منكر فيها لانه من لوازمها مستمد
من اصل جبلتها التراب وفي التراب قبض وامساك فليس ذلك بعجب
منها وانما العجب وجود السخا في الغريزة وهو اتم للحال من الجود ففي
مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما
الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذ هما من الغريزة فكل
سخي جواد ولا عكس والحق تعالى لا يوصف بالسخا لان السخا من نتيجة
الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الريا لان الانسان

يأتي به متطلعا الى العوض من الخلق او الحق بخلاف السخا لانه ينبع من النفس
الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا واخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل
لكونه معلولا بالعوض فما محض سخا فالسخا لاهل الصفا والايثار لاهل
الانوار ومن اخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئ بالحسنة
قال سفيان رضي الله عنه الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان
الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا وهات شيئا
وروى انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه فقال للكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في ابي بكر
رضي الله عنه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد ابو بكر
رضي الله عنه عليه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام
فلحقه ابو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله شتمني وانت تبتسم ثم
رددت عليه بعض الذي قال فغضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم
انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع
الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر انه ليس
عبد يظلم مظلمة فيعفو عنها الا اعز الله نصره ولا يفتح عبد باب مسألة يريد
بها كثرة الا زاده الله قلة ولا يفتح عبد باب عطية او صلة الا زاده
الله بها كثرة وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاتكونوا

لا تكونوا امعة تقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن
وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا ان لا تظلموا اخرجه
الترمذي وقال بعض الصحابة يا رسول الله الرجل امر به فلا يقريني ولا
يضيفني فيمر بي افاجزيه قال صلى الله عليه وسلم لا اقره وقال صلى الله
عليه وسلم ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من مكارم الاخلاق ان تعفو عمن
ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ومن اخلاق الصوفية البشر
وطلاقة الوجه الصوفي بكاؤه في خلوته والبشر وطلاقة الوجه مع الناس
فالبشر على وجهه من اثار انوار قلبه وقد نازلت المواهب الالهية بواطن
منها القلب فيمتلي فرحا وسرورا والسرور اذا تمكن من القلب فاض على
الوجه اثاره قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة مشرقة مستبشرة
اي فرحة ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج
على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا
تنعم القلب بلذاذة المسامرة ظهر البشر على الوجه قال تعالى تعرف في
وجوههم نضرة النعيم فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور
المشاهدة وانصقلت مرائي قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلي واذا
اشرقت الشمس على الماء الصافي استنارت الجدران وقال صلى الله
عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان
تفرغ من دلوك في اناء اخيك قال شعبة بن عبد الرحمن الزهري يعجبني

من القراء كل مستهل طلق مضحاك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس
كانه يمن عليك فلا اكثر الله في القراء مثله ومن اخلاق الصوفية السهولة
ولين الجانب والنزول مع الناس الى اخلاقهم وطباعهم وترك التعسف
والتكلف وقد روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
صلى الله عليه وسلم اني امزح ولا اقول الا حقا وكان رجل يقال له زاهر بن
حرام بدوي لا ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جاء بطرفة
يهديها اليه فجاء يوما فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق
المدينة يبيع سلعة له فاحتضنه النبي صلى الله عليه وسلم من وراءه
بكمه فالتفت فابصر النبي صلى الله عليه وسلم فقبل كفه فقال صلى الله
عليه وسلم من يشتري العبد فقال اذا تجدني كاسدا يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم ولكن عند الله ربيح ان لكل اهل حضر بادية وبادية
ال محمد زاهر بن حرام وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله احملني على جمل فقال صلى الله عليه وسلم احملك على ابن الناقة
قال اقول لك احملني على جمل تقول احملك على ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم
فالجمل ابن الناقة وعن صهيب رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر ياكل فقال اصب من هذا الطعام فجعلت اكل من التمر
فقال تاكل من التمر وانت رمد فقلت انما امضغ من الجانب الاخر فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال له يوما يا ذا الاذنين وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف

كان رسول الله

اللين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في البيت قالت الين الناس
بساما ضحاكا وروي انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته
ثم سابقها فسبقها فقال صلى الله عليه وسلم هذه بتلك وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لاخ لانس صغير يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير عصفور صغير
وروي ان عمر رضي الله عنه سابق الزبير فسبقه الزبير رضي الله عنه فقال
سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر رضي الله عنه
فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال
قال لي عمر رضي الله عنه تعال انافسك في الماء اينا اطول نفسا ونحن محرمون
وعن بكر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال اي
يترامون يقال بدح يبدح اذا رمى وعن عائشة رضي الله عنها قالت اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله
عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لتاكلين او
لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها
فلطخت بها وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فمر عمر رضي الله عنه
على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة رضي الله عنها فما زلت
اهاب عمر رضي الله عنه لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وحدث

الاخبار والآثار الدالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن
اخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة في الرهط وينزلون مع الناس على
حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله تعالى فاذا خلوا وقفوا موقف
الرجال والتبسوا ملابس الاعمال والاحوال ولا يقف على حد هذا المعنى
الا صوفي تام لعلمه عالم باخلاق النفس وطباعها سائس لها بوفور العلم
حتى يقف على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح الاكثار
من ذلك للمريد المبتدي لقلة معرفتهم بالنفس اذ لها في هذه المواطن
نهضات ووثبات تجر الى الفساد وللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح
يعلمون حاجة القلب اليه والشيء اذا وضع للحاجة يقدر بقدر الحاجة
ومقدار الحاجة في ذلك علم غامض لا يستقل به كل احد قال سعيد
ابن العاص لابنه رضي الله عنهما اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب
البهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين
وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك تصعب معرفته في الضحك
والضحك من خصائص الانسان دون غيره من الحيوان ولا يكون الضحك
الا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر من خصائص
الانسان وشرفه ومعرفة الاعتدال فيه تحتاج الى علم ولهذا قيل
كثرة الضحك تميت القلب وقيل كثرته من الرعونة وعن عيسى عليه
الصلاة والسلام قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء
من غير ارب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة ما لا يغضب جده

والمزاح

والمزاح ما يغضب جده وجعل ابو حنيفة رضي الله عنه القهقهة من الذنب
وابطل الوضوء بها اقامة للاثم مقام الخارج ومن اخلاق الصوفية ترك
التكلف وذلك لان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل
الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة للاقدار
وعدم الرضا بما قسم الجبار وقال التصوف ترك التكلف وقال التكلف
تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين وعن انس رضي الله عنه قال
شهدت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم وروي
شقيق بن سلمة رضي الله عنه قال دخلت على سلمان الفارسي رضي الله عنه
فاخرج الي خبزا وملحا وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا
عن التكلف ان يتكلف احد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في
جميع الاشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية والتكلف
في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب اهل الزمان لا يكاد يسلم من
ذلك الا آحاد وافراد وكم من متملق لا تعرف انه متملق ولا يفطن له فقد يتملق
الشخص الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفي وعن
ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء والعي
شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والبذاء الفحش
واراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم
واظهار الفصاحة وذلك ليس من اهل الصدق وحكي عن ابي وائل رضي الله عنه
قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا

فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر لكان اطيب فخرج سلمان رضي الله عنه
ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا
بما رزقنا فقال سلمان رضي الله عنه لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي
مرهونة وفي هذا اثر تكلف من سلمان رضي الله عنه قولا وفعلا وفي
حديث يونس النبي على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام انه زاره اخوانه فقدم
اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله تعالى
لعن المتكلفين لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدك الزائر فقدم
ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه
قال نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اللهم اغفر للذين
يدعون لاموات امتي ولا يتكلفون الا اني بريء من التكلف وصالحو امتي
وروي ان عمر رضي الله عنه قرأ فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا وفاكهة وابا فقال هذا كله قد عرفناه فما الاب قال ثم رمى
عمر رضي الله عنه عصى يضرب بها الارض وقال هذا لعمر الله هو التكلف
فخذوا ايها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به وما لم تعرفوا فكلوا
علمه الى الله تعالى ومن اخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك
الادخار وذلك ان الصوفي يرى خزائن فضل الله تعالى فهو بمثابة من
هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء وقال صلى الله
عليه وسلم ما من يوم الا وملكان يناديان يقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر

شيا لغد

شيئا لغد وكان صلى الله عليه وسلم يقول لبلال انفق يا بلال ولا تخش من ذي
العرش اقلالا وروي ان عيسى بن مريم عليه السلام كان ياكل الشجر ويلبس
الشعر ويبيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبا
شيئا لغد فالصوفي كل ما خباه في خزائن ربه لصدق توكله ويقينه بربه
والدنيا لديه كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار وقال
صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا ومن اخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قل وكفى خير مما كثر والهى
وقال صلى الله عليه وسلم افلح من اسلم وكان رزقه كفافا فانه صبر
عليه وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال صلى الله عليه وسلم القناعة
مال لا ينفد وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه
عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل في تفسير قوله
تعالى فلنحيينه حياة طيبة انها القناعة قال بشر بن الحارث رضي الله عنه
لو لم يكن في القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال ذو النون
رضي الله عنه من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه وقال
بنان الحمال رضي الله عنه الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع وقال ابو بكر
المراغي العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر امر الاخرة
بالحرص والتعجيل فالصوفي قابض على نفسه بالقسط وقادر على استخراج
ذلك منها لعلمه بدائها ودوائها قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه

القناعة من الرضا كالورع من الزهد ومن اخلاق الصوفية ترك المراء
والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والحلم النفوس تظهر المراء
فالصوفي اذا راى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب والنفس اذا قوبلت
بالقلب ذهبت الوحشة وانطفت الفتنة قال تعالى تعليما للعباد
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ولا يسرع
الى المراء الا نفوس زكية انتزع منها الغل ومن استقصى في تذويب
النفس بنار الزهادة انمحى الغل منه من باطنه ولا يبقى عنده منافسة في
حظ عاجل من جاه او مال قال تعالى في وصف اهل الجنة ونزعنا ما في
صدورهم من غل وكذا اهل التصوف والناس رجلان طالب ما عند الله تعالى
يدعوا الى الله تعالى بنفسه وغيره فالصوفي المحق مع هذا لا منافسة ولا
مراء ولا غل فان هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه
والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا ورجل نفسه لمحبة الجاه والمال
والرياسة ونظر الخلق فالصوفي مع هذا لا منافسة لانه زهد فيما يرغب
هذا ومن شان الصوفي ان ينظر الى مثل هذا بالرحمة والشفقة حيث يراه
محجوبا بنفسه فلا ينطوي له على غل ولا يماريه في الظاهر على شي لعلمه
بظهور نفسه الامارة بالسوء في المراء والمجادلة قال صلى الله عليه وسلم
لا تمار اخاك ولا تعده موعدا فتخلفه خرجه الترمذي وفي الخبر من
ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن تركه وهو محق
بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في اعلاها وقال صلى الله عليه وسلم

من طلب العلم

من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء او يريد ان يقبل بوجوه الناس
اليه ادخله الله تعالى جهنم انظر كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المماراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك لظهور نفوسهم في طلب
القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الادمي والصوفي
تبدلت صفاته الشيطانية والسبعية باللين والرفق والسهولة
والطمانينة وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم وهم يجدون حجرا فقال
ما هذا فقالوا هذا حجر الاشداء فقال الا اخبركم باشد من هذا رجل كان
بينه وبين اخيه غضب فاتاه فغلب شيطانه وشيطان اخيه فكلمه
وقال صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قالوا الذي لا يصرعه
الرجال قال لا بل الذي يملك نفسه عند الغضب وروي ان غلاما لابي ذر
رضي الله عنه كسر رجل شاة له فقال ابو ذر رضي الله عنه من كسر
رجل هذه الشاة فقال انا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم
قال اغيظك فتضربني فقال ابو ذر رضي الله عنه لاغيظن من
حضك على غيظي فاعتقه وروى الاصمعي عن اعرابي قال اذا اشكل
عليك امران لا تدري ايهما ارشد فخالف اقربهما الى هواك فان اكثر
ما يكون الخطا مع متابعة الهوى وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات اما
المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب
والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى واما المهلكات فشح مطاع

وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه. فالحلم بالحق عند الغضب لا يصح إلا
ممن يأمر على نفسه يصرفها بقلب حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله تعالى
بعين الاحتساب. إذا الغضب يتحرك دم القلب ثم إن كان الغضب على
من فوقه ممن يعجز عن إنفاذ الغضب فيه ذهب الدم طالب الجلد واجتمع في
القلب ويصير منه الحزن والهم والكمد ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث من الله تعالى فلا يحقد ولا يغتم لأنه ذو رضا واستراحة
والنبي صلى الله عليه وسلم اجعل الحزن في السخط والشك. سئل
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن الغم والغضب فقال مخرجهما واحد
واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهر غضبا ومن نازع من لا
يقوى عليه كمنه حزنا والحزن غضب أيضا ولكن يستعمل إذا حصل
المغضوب عليه وإن كان الغضب على من يشاكله ومماثله ممن يتردد في
الانتقام منه يتردد دم القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل
والحقد ولا يأوي مثل هذا إلى قلب الصوفي قال تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل وإن كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام
منه ثار دم القلب والقلب إذا ثار دمه تعبثوا وينصلب ويذهب منه
الرقة ومنه تحمر الوجنات فيتعدى الحد حينئذ بالضرب والشتم ولا
يكون هذا في الصوفي إلا عند الغضب لله تعالى بهتك حرماته فأما في
غير ذلك ينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى بحله بقواه فتنكسر حركته
ويقوله ميزان الشرع فيهم النفس بعلم الرضا فالقضا فقيل لبعضهم

من أظهر

من أظهر الناس لنفسه فقال أرضاهم بالمقدور فإذا أنهم بنفسه تداركه العلم
فيقوى القلب وتسكن النفس ويرجع القلب إلى مقاره ويعتدل الحال
ويحبط جمرة الغضب فيتبين فضيلة العلم. قال صلى الله عليه وسلم السمت
الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزءا من النبوة.
قال جارية بن قدامة رضي الله عنه قلت يا رسول الله أوصني فقلل لعلي
أعيه قال صلى الله عليه وسلم لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب
وقال صلى الله عليه وسلم إن الغضب جمرة من النار ألم تر إلى حمرة عينيه
وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجلس وإن كان
جالسا فليضطجع. وقال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس إن فيك
لخصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة. ومن أخلاق الصوفية التودد
والتآلف والموافقة للإخوان قال تعالى في وصف الصحابة رضي الله عنهم
أشداء على الكفار رحماء بينهم. وقال عز وجل لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما
ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم الآية. والتودد والتآلف من
ائتلاف الأرواح. قال صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وقال تعالى فأصبحتم بنعمته إخوانا
وقال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الآية. وقال صلى الله
عليه وسلم المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. وقال
صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين يغسل أحدهما
الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا.

وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ بن جبل رضي الله عنه اني احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا رسول الله قال المتحابون في الله وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا صحبة الصوفية موثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تعالى وقع القبول لوجود المحبة وانتفع المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى شرع الله تعالى اجتماع الناس كل يوم خمس مرات في المساجد اهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلاد في الاعياد في السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكمة بالغة منها تاكيد الالفة والمودة بين المومنين قال صلى الله عليه وسلم الا ان مثل المومنين في توادهم وتحاببهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى بالسهر والحمى وقال صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا والتالف والتودد يوكد اسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار موثرة جدا وقد قيل لقاء الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يوثر صلاحا والنظر في الصور يوثر

اخلاقا

اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الذلول فالمقارنة لها تاثير في الحيوان والنبات الى الماء والهوى يفسدان بمقارنة الجيف والزرع ينقى من انواع العروق في الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة فاذا كانت المقارنة موثرة في مثل هذه الاشيا ففي النفوس الشريفة البشرية اكثر تاثيرا والتودد والتالف مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة الى اراذل الناس واهل الشر فاما اهل العلم والصفا والاخلاق الحميدة فتغتنم مقارنتهم فالاستيناس بهم استيناس بالله تعالى كما محبتهم من محبة الله تعالى ومن اخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال تركهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر الى الاغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى الله عليه وسلم قال ما من الناس احد امن علينا في صحبته وذات يده من ابن ابي قحافة رضي الله عنه ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال كمال ابي بكر رضي الله عنه فالصوفي ابتداء يرى الاشيا من الله تعالى ولا يثبت للخلق منعا ولا عطاء فاذا ارتقى في التوحيد شكر الخلق بعد شكر الله تعالى واثبت لهم وجودا في المنع والعطا بعد ان برئ

المتسبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته ولا يحجبه الخلق عن الحق
كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين
فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطي والمسبب ويشكر الخلق لانهم
واسطة وسبب قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد انعم عليه نعمة فحمد
الله تعالى الا كان الحمد افضل منها فتكون نعمة الحمد افضل من النعمة التي حمد
عليها فاذا شكر المنعم لا يترك شكر الواسطة ويدعو له كان صلى الله عليه وسلم
اذا افطر عند قوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار ونزلت
عليكم السكينة وقال صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه جزاك الله خيرا
فقد ابلغ في الثناء ومن اخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين
كافة فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها ويتهيأ له ان
يتوصل الى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين
ويحتاج في ذلك الى مزيد علم لاحتياجه الى مخالطة الخلق ومعاشرتهم ولا
يصلح لذلك الا صوفي تام الحال عالم رباني عن زيد بن اسلم رضي الله عنه قال
كان نبي من الانبياء ياخذ بركاب الملك يتالفه بذلك لقضاء حوائج الناس •
وقال عطا لان يرى الرجل بشيء فيكتسب بذلك جاها يعيش فيه مؤمن
اخير له من ان يخلص العمل للجاه نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن ان يفتتن به
قوم من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه
انه لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو ان ملوك الارض وقفوا في خدمته ما
طغا ولا استطال ولو دخل الحانوت يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا

الحال

٨١

الحال وهذا لا يصلح الا لاحاد من الصادقين يتشككون من ارادتهم واختبارهم
ويكاشفهم الله تعالى بمراده فيهم فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل
الجاه دخلوا في ذلك بغيبة صفات النفس وهؤلاء الاقوام كانوا قد حشروا
واحكموا مقام الفنا ثم رقوا الى مقام البقا فيكون لهم في كل مدخل ومخرج
برهان واذن من الله تعالى على بصيرة من ربهم لئلا يدخل فيه ارتياب •
قال ابو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة اشيا المنع
والعطا والعز والذل ومثل هذا الرجل يصلح لبذل الجاه والدخول كما ذكرناه
وهذه الرتبة غير الرهبانية التي زهدنا فيها وانما هذه رهبانية اقامها الحق تعالى
لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها ويشكر نعمتها الله عز وجل •

الباب الحادي والثلاثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف

ذكر الادب

قال صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي فالادب تهذيب الباطن
والظاهر فاذا تهذبا صار صوفيا اديبا وانما يكمل الادب في العبد بتكامل
مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق
صورة الادمي والخلق معناه والانسان خلقه الله تعالى وهياه لقبول
الصلاح والفساد ووجود الاهلية كوجود النار في الزند والنخل في النوى
ثم ان الله تعالى الهم الانسان استخراج ذلك منها بالاصلاح والتربية والعلاج
كذلك الانسان في نفسه صلاحية الخير والشر احال الله تعالى الاصلاح
والافساد عليه فقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها فالادب استخراج ما في الهيئة والخلق الى الفعل وهذا

يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للمخلوق في
تكوينها كتكوين النار في الزناد وهو فعل الله تعالى المحض استخراجه
بكسب الادمي فهكذا الاداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية
ولما هيا الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا الصالحة تهذبوا بحسن
الممارسة والرياضة الى استخراج ما فيها مركوز بخلق الله تعالى الى الفعل
فصاروا مؤدبين مهذبين والادب يقع في اشخاص كثيرة من غير ممارسة
رياضة لقوة ما اودع الله تعالى في غرائزهم كما قال صلى الله عليه وسلم ادبني
ربي فاحسن ادبي وفي رواية تاديبي وزاد في رواية ثم امرني بمكارم الاخلاق
فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفي بعضهم يحتاج الى
طول الممارسة لنقصان قوة اصلها في الغريزة ولهذا احتاج المريدون الى
صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعليم عونا على استخراج ما في الطبيعة
الى الفعل قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا قال ابن عباس رضي الله عنهما
فقهوهم وادبوهم قال يوسف بن الحسين بالادب تفهم العلم وبالعلم
يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة تفهم الزهد وبالزهد تترك الدنيا
وبترك الدنيا يرغب في الاخرة وبالرغبة في الاخرة تنال رتبة عند الله تعالى
قال ابو الحسين النوري ليس لله تعالى في عبده مقام ولا حال ولا معرفة
تسقط معها اداب الشريعة واداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا
يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الاداب وقال عبد الله بن مبارك
ادب الخدمة اعز من الخدمة وحكي عن ابي القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت

ربما انعقد بحذاء الكعبة وربما كنت استلقي وامد رجلي فجاءتني عائشة المكية
وكانت من العارفات فقالت لي يا ابا عبيد يقال انك من اهل العلم اقبل مني كلمة
لا تجالسه الا بادب والا محي اسمك من ديوان القرب قال ابن عطاء
النفس مجبولة على سوء الادب وهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد مامور
بردها بجهده فمن اطلق عنانها فقد اعانها وهو شريكها قال صلى الله عليه وسلم
لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع اخرجه الترمذي
وقال صلى الله عليه وسلم ما نحل والد ولدا من نحل افضل من ادب حسن
وقال صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن موضعه
ويحسن ادبه وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فمن اساء الادب ظاهرا
عوقب ظاهرا او باطنا عوقب باطنا قال بشر رضي الله عنه صليت وردي
ليلة من الليالي ثم مددت رجلي في المحراب فنوديت يا بشر هكذا تجالس
الملوك فضممت رجلي وقلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد
رضي الله عنه بقي ستين سنة ما مد رجليه بليل ولا نهار قال عبد الله بن من تهاون
المبارك رضي الله عنه بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن
عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة وقال
انس بن مالك رضي الله عنه الادب في العمل علامة قبول العمل قال الحلاجي
البصري التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له والايمان يوجب
الشريعة فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب
فمن لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان ولا توحيد

في اداب الحضرة الالهية

الباب الثاني والثلاثون في اداب الحضرة الالهية لاهل القرب

قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من غوامض الادب
اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه في
الاعراض والاقبال فما زاغ حاله في طرف الاعراض لما اعرض عن ما سوى الله
تعالى وتوجه اليه ترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات
والدار الاخرة بحظوظها فما التفت الى ما اعرض عنه ولا لحقه اسف على فائت
وما طغى حاله في طرف الاقبال فانه تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين
بالروح والقلب ثم فر الى الله تعالى حياء وهيبة واجلالا انطوى بنفسه في
مطاوي انكساره واحتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى لان الطغيان
عند الاستغنا وصف النفس قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى والنفس عند المواهب الواردة على القلب والروح تسترق السمع
فمتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان ان يظهر منه البسط
تدارك بفتح باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن تلك المواهب
فموسى عليه السلام حصل له في الحضرة احد الطرفين ما زاغ بصره امتلاء من المنح
واسترقت النفس السمع وتطلعت الى البسط والحظ فقال ارني انظر اليك
فمنع ولم يطلق في فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما افضل الصلاة
والسلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال السنية ووجه اخر
الطف من الاول ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة وما طغى لم يسبقها
ويتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام سعيها واستقام الظاهر مع الباطن

والقلب

والقلب مع القالب والنظر مع القدم وفي تقدم النظر على القدم طغيان والعمى
بالنظر عليه وما الغد بحال غائب بتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا او بتخلف
القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الاحوال صار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وبالعكس وبصره كبصيرته وبالعكس
فحيث انتهى علمه ونظره قارنه حاله وقدمه ولهذا المعنى انعكس حظ معناه
على ظاهره فاتي بالبراق فينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره وكان البراق قالبه متشاكلا لمعناه ومنصبغا بصبغته لقوة
حاله ومعناه فحمل صلى الله عليه وسلم معترفا قدمه ونظره في محال الحياء
والتواضع ناظرا الى قدمه قادما على نظره ولو خرج من محال الحياء والتواضع
وتطاول بالنظر متعديا حد القدم فيعوق في الشهوات فتعوق بعض الانبياء
ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم مستحليا بحاله في خفارة ادب حاله حتى حجب
الشهوات فانصبت اليه اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحاب
الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط ما زاغ البصر وما طغى فمر كالبرق
الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الادب ونهاية في الادب
سئل ابو محمد رويم عن ادب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه وحيث وقف
قلبه كان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية رب ارني انظر اليك قال يا موسى انه لا يراني حي الا مات ولا
يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق انما يراني اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم
ولا تبلى اجسادهم قال الشبلي رضي الله عنه الانبساط بالقول مع الحق ترك

الادب وهذا اختص ببعض الاحوال والانشاء دون بعض ليس هو على الاطلاق
لان الله تعالى امر بالدعاء انما الامساك عن القول كما امسك موسى عن
الانبساط في طلب الارب والحاجات الدنياوية حتى رفعه الحق مقاما في القرب
واذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملح عجينك فلما انبسط انبسط فقال
رب اني لما انزلت الي من خير فقير لانه كان يسال حوائج الاخرة ويستعظم الحضرة
ان يسال حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سوال الحقيرات
كالملك المعظم يسال المعظمات ويحتشم عن سوال المحقرات فلما طوى بساط
الحشمة وصار في مقام خاص من القرب يسال الحقير كما يسال الخطير وقال
ابو علي الدقاق في قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين قال لم يقل ارحمني لانه حفظ ادب الخطاب وقال عيسى عليه السلام
ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم اقل رعاية لادب الحضرة قال ابو نصر
السراج ادب اهل الخصوص من اهل الدين في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار
والوفا بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض والبوادي
والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب في مواقف الطلب
ومقامات القرب واوقات الحضور والادب ادبان ادب قول وادب فعل
فمن تقرب الى الله تعالى بادب فعله منحه محبة القلوب قال ابن المبارك
نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقال ايضا الادب للعارف
بمنزلة التوبة للمستانف وقال ايضا تذاكر الناس في الادب ونحن نقول
هو معرفة النفس وهذا اشارة الى ما ورد من عرف نفسه عرف ربه فان

النفس

النفس منبع الجهالات وترك الادب من نتائج الجهل فاذا عرف نفسه صادف
نور العرفان فلا يطهر النفس لجهالة الا فيها بصريح العلم وحينئذ يتادب
قال النوري من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون اذا
خرج المريد من حد استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء ومن قام باداب الحضرة
فهو يعتبرها القوم وعليها المدار

اداب الطهارة

الباب الثالث والثلاثون في اداب الطهارة ومقدماتها

قال تعالى في وصف اهل الصفه فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية جاء
في التفسير يحبون ان يتطهروا من النجاسات والاحداث قال الكلبي هو
غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا يبيتون على جنابة
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا لما نزلت الاية ان الله تعالى اثنى عليكم
في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء وكان غيرهم يجتزي بثلاثة احجار كما امر
صلى الله عليه وسلم وفي رواية انهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد
اعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا
يستطب بيمينه وكان صلى الله عليه وسلم يامر بثلاثة احجار وينهى عن الروث
والرمة والغرض في الاستنجاء شيان ازالة الخبث واستيفاء العدد لمن
فان كان المستنجى به جامدا فان يكون طاهرا غير محترم ولا ازمه والايتار
سنة وكيفية الاستنجاء بالحجر هي المعروفة واما الاستبرا من البول
فاذا انقطع مده ذكره من اصله الى الحشفة بالرفق ثم ينتر ذكره ثلاثا

اناء

ويتنحنح لان العروق ممتدة من الحلق الى الذكر فبالتنحنح تتحرك ويقطر ما
في مجرى البول فان مشى خطوات وزاد في التنحنح فلا باس لكن يراعي حد
العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة وتضييع الوقت ثم
يمسح الذكر ثلاثا وينتبه بعضهم الذكر بالفرج لان التطهر منه الرطوبة ما
دام به فيراعي الحد في ذلك ويحرك ما في البيت من الحجر او الذكر فان الاستنجا
بالتحرك ويتأدب بالاداب المعروفة عند الفقهاء وقد ذكرها الشيخ وانما تركتها
اختصارا قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك
تحسن الخراءة قال بلى وابيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال ابعد الاثر
واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبي واجفل
اجفال النعام يعني استقبل اصول النبات من الشيح وغيره والاقعاء
ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه فيدلح بقدمه التبرز
في الدخول بالعيدان وحكي عن ابن المبارك رحمه الله انه قال يوسع في
البول في المستحم اذا كان يجري فيه الما وذكر في الاداب انه لا يولع بيده
ولا يخط في الارض والحايط ونحو نحوه ولا يكثر النظر الى عورته الا
لحاجة ولا يدخل الكنيف حاسر الراس روت عايشة عن ابيها ابي بكر
رضي الله عنهما انه قال استحيوا من الله تعالى فاني لا ادخل الكنيف فالرف
ظهري واغطي راسي حياء من ربي

اداب الوضوء

الباب الرابع والثلاثون في اداب الوضوء وفريضه وسننه

اداب الوضوء السواك واستقبال القبلة والتعوذ والتشهد والادعية

المشهورة

المشهورة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مع كل دعوة وفرايضه وسننه مشهورة

اداب اهل الخصوص

الباب الخامس والثلاثون في اداب اهل الخصوص والصوفية في الوضوء

ادبهم في الوضو احضار القلب عند غسل الاعضاء سمعت بعض
الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء حضر في الصلاة واذا دخل السهو فيه
دخل الوسوسة في الصلاة واستدامة الوضوء فان طروق الشيطان على
الجوارح يقل ما دامت في حماية الوضوء قال عدي بن حاتم رضي الله عنه
ما اقيمت صلاة منذ اسلمت الا وانا على وضوء وقال انس رضي الله عنه
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان استطعت ان لا تزال على
الطهارة فافعل فانه من اتاه الموت وهو على الوضوء اعطي الشهادة وشان
العاقل ان يكون ابدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة
وقيل ان ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه كان به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا
وسبعين كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين وترك الاسراف في الما
قال صلى الله عليه وسلم للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما
قال ابو عبد الله الروذباري الشيطان يجتهد ان ياخذ نصيبه من جميع
اعمال بني ادم فلا يبالي ان ياخذ نصيبه بان يزيدوا فيما امروا به او ينقصوا
منه والاحتياط في حفظ الما لاجل الوضو وقيل كان ابرهيم الخواص اذا
دخل البادية لا يحمل معه الا ركوة الا لاجل الوضوء وربما كان لا يشرب منها
الا القليل يحفظه للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج
الى التيمم يحفظ الما للوضوء ويقنع بقليله للشرب وينبغي اذا رايت

الصوفي ليس معه ركوة ولا كوز فقد عزم على ترك الصلاة شتاء او ابا
والمنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان ماء الوضوء يوزن واجازه اخرون
روت عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له خرقة
يتنشف بها بعد الوضوء وروي معاذ رضي الله عنه قال رايت النبي صلى الله
عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصى الصوفية في تطهير
الباطن من الصفات والاخلاق المذمومة لا في طهارة الظاهر الى حد يخرج
عن حد العلم وتوضا عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع كونهم لا يحترزون
من الخمر واجرا الامر على الظاهر واصالة الطهارة وكان الصحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق
ولا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حايلا وكانوا يقتصرون على الحجر
في الاستنجا وكل ذلك بنا على التساهل في الطهارات الظاهرة وكانوا
يستقصون في طهارة الباطن وهكذا اشتغل الصوفية وقد يكون
في بعض الناس تشدد في الطهارة ويكون مستنده رعونة النفس
فلو انتضح ثوبه تحرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب
والريا والنفاق ولعله ينكر على من يراه يمشي حافيا مع رخصة الشرع
ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم
وترك الادب بصحبة الصادقين من العلما الراسخين ويجري كثير الدلك
في الاستبرا لا يدري انه يسترخي العروق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر
المفرط وقيل كان في وجه بعضهم رجع لم يندمل اثنا عشر سنة لان الما

كان بعض

٨٦

فضيلة الصلاة

كان بعضهم وصاحبه لا يدع تجديد الوضوء عند كل صلاة وبعضهم نزل في
عينه الما فحملوا اليه الدوا فقال يحتاج ان لا يمس الما اياما ويكون
مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وعظم شانها

قيل اشتقاق الصلاة من الصلي وهي النار والخشبة العوجا اذا ارادوا
تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة
بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها احرقت من ادركته
يصيب بها المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به
اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار ومن اصطلى بنار
الصلاة وزال اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم والصلاة صلة
بين العبد وربه قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي الحديث المشهور وما كان صلة بين العبد وبين
مولاه يحق عليه ان يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد
ورد ان الله تعالى اذا تجلى لشي خضع له ومن تحقق بالصلة في الصلاة لمعت
له طوالع التجلي فيخشع والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون قال تعالى
قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وقيل كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السما في الصلاة وينظرون
يمينا وشمالا فلما نزلت الذين هم في صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث
يسجدون وما روي احد منهم بعد ذلك ينظر الا الى الارض وروي

ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
اذا قام الى الصلاة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب تعالى
الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن ادم اقبل علي فانا خير لك ممن تلتفت
اليه وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة
فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقال صلى الله عليه وسلم
اذا صليت صلاة فصل صلاة مودع فالمصلي سائر الى الله تعالى بقلبه مودع
هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعا فكان المصلي
يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت اعضاؤه كلها السنة يدعو بها
ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتملق لمولاه تملق محتاج
فاذا عاد بكليته اجابه مولاه كما وعد بقوله ادعوني استجب لكم
فالداعي العارف العالم من يدعو بنور يقينه فتخرق دعوته الحجب فتقف
بين يدي الله تعالى متقاضية الاجابة الموعود بها وحض الله تعالى اهل
الامة بانزال فاتحة الكتاب وكونها تقدم الثنا على الدعا ليكون اسرع
الى الاجابة وهي تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعا وروت ام رومان
رضي الله عنها قالت رآني ابو بكر رضي الله عنه وانا اتميل في الصلاة فزجرني
زجرا كدت ان انصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا قام احدكم الى الصلاة فليسكن اطرافه ولا يتميل تميل اليهود فان
سكون الاطراف من تمام الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله
من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب

فاما تميل

فاما تميل اليهود فقيل كان موسى عليه السلام يعامل بني اسرائيل على ظاهر الامور
لقلة ما في بواطنهم فكان يهيب الامور ويعظمها ولهذا المعنى امر الله تعالى
البدان تحلى التوراة بالذهب قال الشيخ ويحتمل والله اعلم ان موسى
عليه السلام كان يرد عليه الوارد في خلوته وفي حال مناجاته فيموج به باطنه
كموج ساكن يهب عليه ريح فتتلاطم امواجه فكان يتمايل موسى عليه السلام
لتلاطم امواج بحر القلب اذا هبت نسمات الفضل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا
من غير حظ لبواطنهم من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد
الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فالصلاة تحقيق العبودية واداء حق
الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة قال سهل
ابن عبد الله يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج الى
النوافل لتكميل السنن ويحتاج الى الادب لتكميل النوافل ومن الادب ترك
الدنيا وهذا معنى قول عمر رضي الله عنه على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه
في الاسلام وما اكمل لله صلاة قيل كيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها
واقباله على الله فيها وقد ورد ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله تعالى
الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن
منكبيه الى الهوا يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر
عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه ويناديه مناد لو علم المصلي
من يناجي ما التفت وما انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما
فرق على اهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون

من الركوع الى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد
المستيقظ يتصف في كل هيئة بصفة اهلها متطلعا الى دون الخشوع اللائق
بتلك الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيئات متلذذا بما لكل
فيها فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها بعد ذلك يتوفر حظه من
بركة كل هيئة فان الشريعة التي يقاصيها الطبع تسند باب الفتوح
وتحصل في الصلاة اربع هيئات وستة اذكار فالهيئات القيام والقعود
والركوع والسجود والاذكار والتلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار
والدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت عشرة فكأنه يفرق
هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف
فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة الف من الملائكة

الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة اهل القرب

صلاة اهل القرب

ينبغي للعبد ان يستعد للصلاة قبل وقتها بالوضوء فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج الى معرفة الاوقات والمنازل التي يعرف بها اوقات الصلاة واوقات
الليل وذلك يوجد من موضع آخر فاذا دخل وقت الصلاة تقدم السنة
الراتبة والحكمة في تقديمها اجتذاب باطن العبد الى الصلاة وتهيئته للمناجاة
وذهاب اثر الغفلة الكائنة بملابسة الناس ومخالطتهم فيستصلح الباطن
ويستعد للفريضة ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة من كل ذنب
عاما وخاصا فالعام الكبائر والصغائر والخاص ذنوب حال الشخص فكل
عبد على قدر صفاء حاله كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم لا يصلي

الفريضة

الفريضة الا جماعة لما في ذلك من الفضل المشهور ثم يستقبل القبلة بظاهره
والحضرة الالهية بباطنه ويقرأ قل اعوذ برب الناس ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا الاستفتاح قبل الصلاة ليتوجه الظاهر بانصرافه الى
القبلة ويدخل في الصلاة بالتكبير رافعا يديه على ما روي واذا ارسل يديه
يرسلهما بسكينة ووقار من غير نفض فالوقار اذا تمكن القلب يستكن
به الجوارح وتكون نيته مقارنة للتكبير ومعنى ذلك انه لا يعزب عن
قلبه حالة التكبير انه يصلي تلك الصلاة بعينها حكي عن الجنيد رضي الله عنه
انه قال لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الاولى فاذا كان كذلك
كانها محل النية واول الصلاة قال ابو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول
النية بالله ولله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من
العدو وهي وان كثرت لا توزن بالنية التي هي لله بالله وان قلت وسئل
ابو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلاة فقال هو ان تقبل على الله تعالى كاقبالك
عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله تعالى ليس بينك وبينه ترجمان
وهو مقبل عليك وانت تناجيه وتعلم بين يدي من انت واقف فانه الملك
العظيم واعلم ان من الناس من اذا قال الله اكبر غاب في مطالعة العظمة
والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون باسره في فضاء شرح صدره كخردلة
بارض فلاة ثم يلقي الخردلة فيختفي هذا من الوسوسة وحديث النفس وكل
ما يتخايل في الباطن هو من الكون الذي صار بمثابة الخردلة وفي القنت واذا
ارسل يديه يضع اليمين على الشمال ويجعلهما تحت صدره على الهيئة المعروفة

والحكمة في ذلك والله اعلم ان نصف الادمي الاعلى من حد الفؤاد محل القلب
والروح الروحاني والنصف الاسفل محل النفس ومركزها فحوادث الروح مع
حوادث النفس متطاردات ومتغاربات باعتبار تطاردهما وتجاريهما جالة الملك
ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب من الايمان
والطبع فاذا وضع المصلي يمينه على شماله حصر النفس ومنع صعود حوادثها
واثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلاة ثم اذا
استوكفت حوادث الروح وتمكنت من القرب الى القدم عند استيلاء
سلطان المشاهدة صارت النفس مقهورة ذليلة وتستنير مركزها بنور
الروح وتنقطع حوادثها حينئذ وتستغني حينئذ عن حفظ وجه النفس ومنع
حوادثها بوضع اليمين على الشمال وتسبل حينئذ ولعل ذلك والله اعلم ما
روي انه صلى الله عليه وسلم صلى مسبلا وهو مذهب مالك ثم يقرا ايه التوجه
وهذا الاستفتاح لتوجه قالبه والذي قبل الصلاة لتوجه قلبه ثم يقول
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اللهم
انت الملك الى اخره ويطرق راسه ويكون نظره الى موضع سجوده ويقف
كانه ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع سائر الاجزاء ويكون الخشية
على وصف القلب في الخشوع ويراوح بين القدمين فاما نقض العقب الى العقب
فهو الصفد المنهي عنه ولا يرفع احد الرجلين فهو الصفن المنهي عنه ويفرق
من ذلك لثناه على احدى الرجلين دون الاخرى ثم يعود في كل ركعة ثم يقرا
الفاتحة بحضور قلب وجمع هم ومواطاة بين القلب واللسان بحظ وافر من

الهيبة

الهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمناجاة والمشاهدة واعلم
ان التلاوة نطق اللسان ومعناها نطق القلب فكل مخاطب لغيره يتكلم بلسانه
ولسانه يعبر عما في قلبه ولو امكن المتكلم افهام المخاطب من غير لسان
فعل لكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال اللسان
من غير مواطاة القلب فما اللسان ترجمان ولا القارئ متكلم قاصد استماع الله
حاجته وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فلا
يعد كلاما ولا مناجاة اذ شرطها القصد فاقل المراتب ان يجعله كخطاب
ادمي ومتى فات القصد الى ذلك الخطاب لا يعد خطابا فاقل مراتب اهل
الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك احوال
الخواص يطول شرحها قال بعضهم ما دخلت في الصلاة قط فاهمني فيها
غير ما اقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من امور الدنيا
فقال لان تختلف علي الاسنة احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون والنفس
المطمئنة متعوضة لمعاني القران الظاهرة عن حديثها ومعانيه الباطنة لكاشف
بها القلب وتتخلص الروح القدسية الى اوائل سرادقات الجبروت بمطالعة
عظمة المتكلم وقيل هذه المطالعة تكون كمال الاستغراق في
لجج الاشواق كما نقل عن مسلم بن يسار انه صلى ذات يوم في مسجد البصرة
فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها اهل السوق وهو واقف في الصلاة
لم يعلم بذلك ثم يركع منطويا القامة والنصف الاسفل بحاله من غير انطواء
الركبتين ويأتي بتعظيم الركوع المعروفة قولا وفعلا ويكون قلبه في



الركوع بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع راسه قايلا سمع الله
لمن حمده عالما بتعليمه ما يقول فاذا استوى قايما قال ربنا لك الحمد الى اخر
المتعارف منه فان اطال في الثنا لطول القيام بعد الرفع فليقل ربي الحمد
مكررا اذكرهما شاء واما في المفترض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد الاكمل
زيادة بينة ويقيم صلبه في اعتدال قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر
الله تعالى الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون
في هويه مكبرا متيقظا حاضرا مستشعرا لما يهوي فيه واليه ولمن
من الساجدين من يكاشف انه يهوي الى تخوم الارضين متغيبا في اجزا
الملك لامتلاء قلبه من الحيا واستشعار روحه عظمة الكبريا كما ورد
ان جبريل عليه السلام يتستر في افقه جناحه حيا من الله تعالى ومن
الساجدين من يكاشف انه يطوي بسجوده بساط الكون والمكان ويشرح
قلبه في فضا الكشف والعيان فيهوي في دون هويه اطباق السموات
ويمحي لقوة شهوده تماثيل الكاينات ويسجد على طرف رداء العظمة وذلك
انتهى ما ينتهي اليه طاير الهمة البشرية ويفي بالوصول اليه القوى الانسانية
ويتفاوت الانبيا والاوليا في مراتب استشعار العظمة لكل منهم على
قدر حظه من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يستشعر
وعاد ويستشعر صفاته فيحظى بالصفتين فيتواضع بقلبه اجلالا
ويرفع بروحه اكراما واجلالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور افضالا
والغيبة والفرار والقرار والاستتار والجهار فيكون في سجوده ساتحا

في ح

في حرم شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة قال سيد البشر وامام
الموحدين سجد لك سوادي وخيالي ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لانهما من الالهية والكره للنفس
لانه من الاجنبية ويأتي بسنن السجود المتعارفة قولا وفعلا وان
قال سبحان ربي الاعلى عشرا فهو الكمال ويكون في سجوده مفتوح العينين
لانهما يسجدان ويكون ناظرا الى راس انفه في السجود فهو ابلغ في
الخشوع للساجد وان قال بعد القول المتعارف في السجود سبوح قدوس
رب الملايكة والروح فحسن روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم في
السجود ثم يرفع راسه مكبرا ويجلس مفترشا على الوجه المتعارف
اتيا بسنة هذا الجلوس المتعارفة قولا وفعلا وهيئة ولا يطيل هذه
الجلسة في الفريضة اما النافلة فيطيل فيها مهما شا ثم يسجد الثانية نحو
الاولى ثم يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ثم ينهض للثانية ويفعل
في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج
القلوب والتشهد بعد الوصول بعد قطع مسافات الهيات على تدريج
طبقات السموات والتحيات سلام على رب الارباب فليذهن لما يقول
ومع من يقول وكيف يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويمثله
بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى في السما والارض
عبد الا يسلم عليه بالنسبة الروحانية والخاصة الفطرية ثم ياتي بسنة
هذا التشهد وسنة جلوسه قولا وفعلا وهيئة وضع اليدين فيه ويرفع

السبحة في الشهادة في الا الله لا في كلمة النفي ولا يرفعها منتصبة بل مايلة
الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل تعرابه خشوع القلب
انتهى وان كان اماما فينبغي ان لا ينفرد بنفسه بالدعا في هذا التشهد فان
الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراه اصحاب الحوايج
ينتظرهم ويعرض حاجاتهم والمومنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وبهذا
وصفهم الله تعالى فقال كانهم بنيان مرصوص وفي صفة هذه الامة في الكتب
السالفة صفهم في صلاتهم كصفهم في قتالهم تنبيه قال كعب الاحبار
كيف نجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال محمد بن عبد الله
يولد بمكة ويهاجر بطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب
في الاسواق ولا يكافي بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويصفح امته
الحامدون يحمدون الله تعالى في كل سرا ويكبرون الله تعالى على كل نجد
يوضون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في
جو السما خرجه الدارمي عن مجاهد بن موسى عن معن هو ابن عيسى
انه سال كعبا الحديث قال الامام في الصلاة يتقدم الصف في محاربة
الشيطان فيتولى المصلين بالخشوع والاثبات في وظايف الادب
ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم اجتمعت
بواطنهم وتناصروا وتعاضدوا وسرى من البعض الى البعض انوار وبركات
بل جميع المومنين في اقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلب

النسبة

ونسبة الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله تعالى بالملايكة الكرام كما
امد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملايكة المسومين فحاجاتهم الى
محاربة الشيطان امس من حاجاتهم الى محاربة الكفار ولهذا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر فيتداركهم الاملاك بانفاسهم الصادقة فتاسيك الاملاك واذا
اراد الخروج من الصلاة يسلم عن يمينه ناويا الخروج من الصلاة والسلام على
الملايكة والحاضرين من المومنين ومومني الجن ويجعل حد جبينه الى عن
يمينه بالوا عنقه ويفصل بين هذا السلام وبين الثاني بقدر ورد النهي
عن المواصلة والمواصلة خمس مواصلة القراة بالتكبير والركوع بالقراة
ومواصلة تكبيرة الاحرام للماموم بتكبير الامام وتسليمه بتسليمه
والتسليم بالتسليم ويحذم التسليم ولا يمده مدا ويدعو لاجل التسليم فانه
يستجاب ويعطى ما احب من امر دينه ودنياه ومن اتم الصلاة الخمس
في جماعة فقد ملا البر والبحر عبادة وكل المقامات والاحوال تزيدها
الصلوات الخمس وهي ستر الدين وكفارة المومن وتمحيص الخطايا
قال صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات للخطايا اقرا وان شئتم
ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

الباب الثامن والثلاثون في ذكر اداب الصلاة واسرارها

اداب الصلاة مهم

فمن ادابها ان لا يكون مشتغل القلب بشي فاجل من تشوف الى امر يهوى
او طعام او تدافع الاخبثين وهو مغرظا او غضبا او صنو نوب فقد جا اذا

جاء العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وجاء لا يدخل احدكم في الصلاة
وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقيل من فقه الرجل ان يبدأ
بحاجته قبل الصلاة وعلى الجملة لا يدخل في الصلاة وبالهمة متشوش يعني
كان الاكياس لم يقضوا الدنيا الا ليقضوا الصلاة كما امروا وقضوا عنهم
منهم على محل المناجاة لما كانت اشغالها شاغلة له وحضور الصلاة
بالظاهر من تسكين الاطراف ووضع اليمين على الشمال ونحو ذلك ادعان
بالظاهر وفراغ القلب فيها عن ما سوى الله تعالى ادعان بالباطن فاولى
بالعبد ان يجمع بينهما فان اختشها من هيبة عبد ذليل وانف بين يدي ملك عزيز
وفي رخصة الشرع دون الثلاث الحركات المتواليات لا تبطل الصلاة
وارباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد جاء في الخبر ستة
اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب
والحكاك والالتفات والعبث بالناس وقيل السهو والشك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الخشوع في الصلاة ان لا يعرف المصلي
من على يمينه وشماله ونقل عن سفين انه قال من لم يخشع بطلت صلاته
وهو وجه عند ما حكاه الغزالي وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه اشد
من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له
وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط او بساط في صلاته
فصلاته باطلة وقال بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعلم ان الله
تعالى ناظر الى قصدك عالم بما في ضميرك مثل في صلاتك الجنة عن يمينك

والنار عن يسارك

والنار عن يسارك والسر في ذلك ان القلب اذا اشتغل بذكر الآخرة انقطعت
عنه الوسوسة وقد يتكرر هذا التمثيل لرفع الوسوسة ومنه قول سهل من
خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوسوسة الشيطان اما من باشر باطنه
صفو اليقين ونور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل ذلك وقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا قام العبد الى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله تعالى
بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان
الله تعالى ليغفر بغسل الوجه كل خطيئة اصابها وبغسل رجليه كل خطيئة
اصابتها وبغسل يديه كل خطيئة اصابتها حتى يدخل في صلاته وليس عليه
وزر وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي السرقة
اقبح فقالوا الله ورسوله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم ان اقبح السرقة ان يسرق
الرجل صلاته قالوا وكيف يسرق الرجل صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا
خشوعها ولا القراءة فيها وروي عن بعض العلماء انه تقدم للامامة فقال لا ابو حمد
اصلح لذلك فالحوا عليه فكبر فغشي عليه فقدموا اماما آخر فلما افاق سئل فقال
لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت انت مع الله قط وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا احسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم
صعدت ولها نور حتى ينتهي الى السماء حتى تصل الى الله تعالى فتشفع لصاحبها
واذا ضيعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت ولها ظلمة حتى ينتهي
الى ابواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها

وقال ابو سليمان الداراني اذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله تعالى ارخوها فيما بيني وبينه
وخلوا عبدي وما اختار لنفسه وقال ابو بكر الوراق ربما اصلي ركعتين فانصرف
منهما وانا استحيي من الله تعالى حياء رجل انصرف من الزنا تفكره هذا العظيم
الادب عنده ومعرفته كل انسان باري الصلاة على قدر حظه من القرب
وقيل كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا خرج الى الصلاة
لا يعرف من تغير لونه فقال له في ذلك فيقول اتدرون بين يدي من اريد
اقف وروى عمار بن ياسر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وفي لفظ اخر منكم من يصلي
الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى
بلغ العشر وقال الخواص بلغنا ان الله تعالى لا يقبل نافلة حتى
تؤدى الفريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدا بالهدية
قبل قضاء الدين وقال ايضا انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين
احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثاني انهم عملوا
اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابا الله تعالى
ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق وفتح العينين في
الصلاة اولى من التغميض لان تشتت همه بتفريق النظر فتغميض
العين للاستعانة على الخشوع اولى وان اخذه التثاؤب كظم شفتيه
بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم في الصلاة غيره وقد

فينال من ترك

فينال من ترك الصف الاول مخافة ان يضيق على اهله فقام في الثاني اعطاه
الله تعالى مثل ثواب الصف الاول من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وقيل
ان ابرهيم الخليل عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة يسمع خفقان قلبه
من ميل وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع
من صدره ازيز كازيز المرجل حتى يسمع في بعض سكك المدينة وقال
الحسن ما ان يعز عليك من امر دينك اذا هانت عليك صلاتك وقيل
اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء اذا دخلت في الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع
ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع فاني قريب وقال ابو الخير
الاقطع رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله
اوصني فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت
ربي عز وجل فاوصاني بالصلاة وقال اني اقرب ما اكون منك وانت تصلي
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقال ايضا انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع
وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل ذلك فهي خداج اي
ناقصة وورد ان المومن اذا توضا للصلاة تباعدت منه الشياطين
في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه
ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه ويواجه الجبار بوجهه فاذا
قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا راه ليس في قلبه اكبر من الله عز وجل

فيقول صدقت الله في قلبك كما تقول ويتشعشع من قلبه نور الحق لملكوت
العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له
حشو ذلك النور حسنات وان الغافل الجاهل اذا قام الى الصلاة احتوشته
الشياطين كما تحتوش الذباب على قطعة العسل فاذا كبر اطلع الملك
على قلبه فاذا كان شي في قلبه اكبر من الله عنده فيقول له كذبت ليس الله
تعالى اكبر في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السما فيكون
حجابا لقلبه عن الملكوت ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه ويوسوس
اليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه وفي الخبر لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما وقيل
ان محمد بن يوسف الفرغاني راى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقلت له
اراك تعظ الناس فقال نعم فقال كيف تصلي فقال اقوم بالامر وامشي بالخشية
وادخل بالهيبة واكبر بالعظمة واقرا بالترتيل واركع بالخشوع واسجد
بالتواضع واجلس للتشهد بالتمام واسلم على السنة واسلمها الى ربي
واحفظها ايام حياتي وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني وارجو
ان تقبل فانا بين الخوف والرجا واشكر لمن علمني واعلمها من سالني واحمد
ربي اذ هداني فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح ان تعظ الناس وقيل
في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من
الاهتمام فيها وما ذكرناه من اداب الصلاة يسير من كثير وشان
الصلاة اكبر من وصفنا واكمل مما ذكرنا وقد غلط اقوام ظنوا ان

المقصود

المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى فاذا حصل الذكر فاي حاجة الى الصلاة
وسلكوا طريقا من الضلال الى اباطيل الخيال وقوم اخرون اعترفوا بالفرايض
وانكروا فضل النوافل وهولاء اغتروا بشي يسير من روح الحال واهملوا فضل
الاعمال ولم يعلموا ان لله تعالى في كل هيئة وحركة اسرارا وحكما لا توجد في شي من
الاذكار والاحوال فالاعمال تزكوا بالاحوال والاحوال تسموا بالاعمال

الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن اثره

فضل الصوم

روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به قيل في تفسيره لانه
لا يتطرق اليه الريا لانه ترك وقيل لان فيه تخلقا من اخلاق الصمدية وقيل لانه
لم ينقل ان امة من الامم ممن اتخذ الها غير الله تعبدت بالصوم لذلك الاله
وقد قيل ما في عمل ابن ادم شي الا ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص
ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا ينقص منه احد شيئا وقال يحيى
ابن معاذ اذا ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة له وفي
نفس ابن ادم الف عضو من الشر كلها في كف الشيطان فيبس كل عضو واحترق
بنار الجوع وفر الشيطان من ظله واذا شبع ترطبت الاعضا وتمكن الشيطان
منه والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده
الملائكة وينهزم الشياطين من جايع نايم فكيف بقايم ويعانق الشيطان
شبعانا نايما فكيف بقايم فتغلب المريد الصادق يخرج الى الله تعالى من طلب
النفس للطعام والشراب دخل رجل على الطيالسي وهو ياكل خبزا يابسا

قد بلد بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال ادعه حتى اشتهيه
وقال بعضهم الباب الاعظم الذي يدخل منه الى الله تعالى الجوع. وقال
بشر الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق. وقال ذو
النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله تعالى او
هممت بمعصية. وعن القاسم بن محمد عن خالته عائشة رضي الله عنها قالت كان
ياتي علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال قلت
سبحان الله فباي شي كنتم تعيشون قالت التمر والماء وكان لنا جيران من
الانصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح فربما ارسلوا الينا بالشي. وروي ان حفصة
رضي الله عنها قالت لابيها عمر رضي الله عنه ان الله تعالى قد اوسع الرزق
فلو اكلت طعاما اكثر من طعامك ولبست ثيابا الين من ثيابك فقال
رضي الله عنه انا اخاصمك الى نفسك الم يكن من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذا يقول مرارا فابكتها فقال قد اخبرتك والله لاشاركنه في عيشه
الشديد لعلي اصيب عيشه الرخي. وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام من خبز بر حتى مضى لسبيله.
وقالت رضي الله عنها ايضا ادبموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف
ندبم قالت بالجوع والعطش. وقيل ظهر ابليس ليحيى بن زكريا عليهما
السلام وعليه معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها ابن ادم
قال فهل لي فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة
والذكر فقال لا جرم اني لا اشبع ابدا قال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا مثلها

بلاغ

وقال لقمن لابنه

وقال لقمن لابنه اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة. وقال الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه من طعام المنافقين
فيكره للمريد ان يوالي يفطر اكثر من اربعة ايام فان النفس تركن الى العادة
وتتسع بالشهوة. وقيل الدنيا بطنك على قدر زهدك في بطنك زهدك في
الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب
ابن ادم لقيمات يقمن بها صلبه فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس. وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا كلهم يوصيني عند
مفارقتي اياهم بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل.

الباب الاربعون في اختلاف حال الصوفية في الصوم والفطر

اختلاف حال الصوفية في الصوم

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر حتى لحقوا
بالله تعالى فاذا راى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دايما فهو عون
حسن. روي انه صلى الله عليه وسلم قال من صام الدهر ضيقت عليه جهنم
هكذا وعقد تسعين اي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وسئل
صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر فقال لا صام ولا افطر وله تاويل
على ان لا يفطر العيدين وايام التشريق فاذا افطر هذه الايام فليس هذا
الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من استحب
صوم يوم وفطر يوم. وقد ورد افضل الصوم صيام اخي داود كان يصوم
يوما ويفطر يوما. واستحسن ذلك جمع من الصالحين ليتردد بين حالي
الصبر والشكر ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما او يصوم يوما

ويفطر يومين، ومنهم من كان يصوم الاثنين والخميس والجمعة، وسهل كان
يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل أكلة واحدة وكان
يفطر بالماء القراح للسنة، وحكي عن الجنيد رضي الله عنه انه كان يصوم
على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه افطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع
الاخوان باقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج الى علم فقد يكون
الداعي اليه شهوة النفس لا نية الموافقة وتخليص النية للموافقة مع
وجود شره النفس صعب، وسمعت شيخنا يقول في شيئين ما اكلت
شيئا لشهوة نفسي ابتداء وانتظر امرا يتقدم في الشيء فاري فضل الله
ونعمته فاوافق الحق في فعله، ورايت الشيخ ابو السعود دنيا ولا الطعام
كلما حضر ولو مرات في اليوم ويرى ذلك موافقة للحق لان حاله مع الله تعالى
كان ترك الاختيار في الاكل وغيره وجميع تصاريفه والوقوف مع فعل الحق
له وفيه وكان له في ذلك بداية يعتبر مثلها حتى لعله كان يبقى اياما لا يعلم
وما اكل احد حاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا ينتسب الى شيء ولا شيء وينتظر
فعل الحق ينسوق الرزق اليه ولم يشعر بحاله احد مدة من الزمان ثم ان الله
تعالى اظهر حاله واقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الاطعمة
ويأتون بها اليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول
اصبح كل يوم واحب ان الصوم فيعطني الحق على محبتي للصوم بفعله فاوافق
الحق في فعله، وحكي عن بعض الصادقين من اهل واسط انه صام سنين
كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس لا في رمضان قال ابو نصر

السراج

السراج وانكر قوم هذا المبالغة في العلم وان كان تطوعا واستحسنه اخرون
لان صاحبه كان يريد بذلك تأديب نفسه بالجوع وان لا يتمتع برؤية الصوم،
قال الشيخ ووقع لي ان هذا ان قصد ان لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع
برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يستشكل الا انه موافقة العلم
وامضاء الصوم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم ولكن اهل الصدق لهم نيات
فيما يفعلون على الابتغاء يصونون والصادق في حقائق صدقه كيف تقلب اذ
الصدق محمود لعينه، وحكي عن ابي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر ولا
ياكل الخبز الا ليلة الجمعة وقوته في كل شهر اربعة دوانيق يعمل بيده حبال
الليف ويبيعها، وكان ابو الحسن بن سالم يقول لا اسلم عليه الا ان يفطر
وكانه انه يستهوي خفيه في ذلك لانه اشتهر بين الناس، وقال بعضهم
ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف ومن اكل قليلا من
الطعام اخرج قليلا من الكلام وكانوا يستحسنون صيام ايام البيض
ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، روي ان ادم لما هبط الى الارض
اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امره ان يصوم ايام
البيض فابيض جسده بكل يوم ثلث حتى ابيض جميع جسده فسميت ايام
البيض وقد امر صلى الله عليه وسلم بصومهن، اخرجه ابن حبان، وكانوا
يستحبون صوم النصف الاول من شعبان وفطر النصف الاخير فان
صامه جميعه فلا باس فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه الا
قليلا فان لم يصمه فيكره ان يستقبل رمضان بصوم يوم او يومين تحرزا

بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهية لمضاهاة رمضان ويستحب صوم
عشر ذي الحجة والعشر من المحرم والخميس والجمعة والسبت من الأشهر
الحرم لآثار وردت في ذلك

اداب الصوم

الباب الحادي والاربعون في اداب الصوم ومهامه

ادب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام
فليس من المباح للمريد ان يمسك عن مباح الطعام ويفطر بحرام الآثام وينبغي
له ان يقل من الاهتمام بالافطار سمعت ان بعض الصلحا بالعراق
كان طريقه وطريق اصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم بشي قبل
الافطار يخرجونه ولا يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار ومن فضيلة
صومه زهده ان يقلل الطعام عن الحد الذي كان ياكله وهو مفطر اذ
مقصود الصوم قهر النفس واخراجها عن مالوفها وعادتها واحدهم في
الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان ذلك يحدث النفس في سائر الافعال
والاقوال الى الضرورة لانها من طبعها اذا قهرت لله تعالى في شي واحد على
الضرورة تاتي ذلك في كل احوالها فيصير الاكل ضرورة والنوم ضرورة
والقول والفعل ضرورة وهذا باب من ابواب الخير لاهل الله تعالى يحب
رعايته وافتقاده ولا يحصل ذلك الا لمن يريد الله تعالى تقريبه واصطفاه
ويمتنع في صومه من ملاعبة الاهل وملامستهم لانه انزه للصوم ويتسحر
اتباعا للسنة وتقوية على الصوم وقد قال صلى الله عليه وسلم تسحروا
فان في السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة قال صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى

قال الله تعالى احب عبادي الي اعجلهم فطرا وفيه آثار كثيرة وهو قبل الصلاة
سنة فان اراد احياء ما بين العشاءين وتاخير فطره الى العشاء افطر على ماء
او قليل من تمر او زبيب ولقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفوا وقته
في احياء ذلك الوقت فضل كبير وقد كان صلى الله عليه وسلم يفطر على
جرعة من ماء او مذقة من لبن او تمرات وفي الخبر كم من صائم حظه من
صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل الاكل لحوم الناس
بالغيبة قال سفيان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان يفسدان
الصوم الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم
احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وفي الخبر ان
الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته وفي الخبر ان امراتين صامتا فاجهدهما
الصوم حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاذنانه
في الفطر فارسل اليهما قدحا وامرهما ان تقيئا فيه ما اكلتا فقاءت احداهما
نصفه دما غبيطا ولحما غريضا والاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس
من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله
لهما وافطرتا على ما حرم عليهما وحكي عن بعضهم قال اجتزت في الهاجرة ببعض
سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار واستسقيت ماء
فاخرجت الي جارية كوز ماء مبرد فلما اردت ان اشرب قالت
صوفي يشرب بالنهار فضربت بالكوز على الارض وانصرفت ونذرت ان
لا افطر ابدا والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لان النفس

اذا تعودته اشتد عليها الافطار وهكذا اذا الفت الفطر اشتد عليها الصوم
فرأوا ان الفضل ان لا تركن النفس الى عادة ورأوا ان تفطر يوما وتصوم يوما
اشق عليها، ومن الادب انه اذا كان في جمع او في صحبة جماعة لا يصوم
الا باذنهم لان قلوبهم تتعلق بفطره وهم على غير معلوم فان صام باذنهم
وفتح لهم برفق لا يلزمهم ادخاره للصائم مع حاجة المفطرين اليه فان الله
تعالى ياتي للصائم برزقه الا ان يكون الصائم ضعيف الحال او ضعيف النية
لكبر سنه او غير ذلك فيدخر له وهكذا الصائم لا يليق به ان ياخذ نصيبه
فيدخره لان ذلك من ضعف الحال الا ان يكون ضعيفا نحو ما تقدم وهذا
لاقوام على غير معلوم، اما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فالاليق
بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الفطر وامر القوم مبناه على
الصدق ومن الصدق اعتقاد النية واحوال النفس فكلما صحت النية فيه
من صوم او فطر او موافقة او ترك موافقة فهو له افضل ومن صام ثم افطر
للموافقة فله وجه من السنة، قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال
رجل من القوم اني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم اخوكم
وتكلف لكم ثم يقول اني صائم افطر واقض يوما مكانه، ومن لا يوافق له
ايضا وجه فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكلوا
وبلال رضي الله عنه صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناكل رزقنا ورزق
بلال في الجنة، فاذا علم ان هناك قلبا يتاذى او تفصيلا يرجى بموافقه

من تطييب

وظايف

من تطييب موافقته افطر بحكم النية لا بحكم الطبع ومقاصده فان لم يجد لهذا المعنى
فلا ينبغي ان يلتبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد يكون
الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق اخيه، ومن احسن ادب الفقير انه
اذا افطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته في وقته متثبطة
عن اداء العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب
الطعام بركعات يصليها او ايات يتلوها او باذكار واستغفار فقد ورد
في الخبر اذيبوا طعامكم بالذكر، ومن مهام ادب الصوم كتمانه مهما امكن
الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر او بطن،

ذكر الطعام

الباب الثاني والاربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي يحسن نيته وصحة مقصده وحضور عقله وادبه يصير عادته عبادة
فان وفقه الله تعالى كما قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ومحياه وقته، ولهذا قيل نوم
العالم عبادة ونفسه تسبيح والنوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان
به على العبادة فهو عبادة فالطعام به قوام البدن باجراء سنته تعالى بذلك
والقالب مركب للقلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة، وقد ورد ارض الجنة
قيعان نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمنزلة على طبيعة الحيوانات
يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان
بهما على عمارة الاخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين، روي عن وهب قال
وجدت في التوراة صفة ادم عليه السلام اني خلقت ادم وركبت جسده

من اربعة اشيا من رطب ويابس وبارد وحار ولانه لما في خلقته من التراب
فهو يابس ورطوبته من الما وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح
وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الاول اربعة انواع من الخلق هن ملاك
الجسد باذن ربهن قوامه فلا يقوم الجسد الا بهن ولا يقوم منهن واحده
الا باخرى المرة السودا والمرة الصفرا والدم والبلغم ثم اسكنت بعض
هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السودا ومسكن
الرطوبة في المرة الصفرا ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم
فايما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التي جعلتها ملاكه وقوامه
فكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته
فان زادت منهن واحدة عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم بقدر
غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن والطعام يدخل المعدة
وفي المعدة الطبايع الاربع وفي الطعام ايضا الطبايع الاربع لانه من
النبات والحيوان وكلاهما يكونا منهما لاجل الادمي قال الله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فاذا اراد الله تعالى اعتدال المزاج بان
اخذ كل طبع من طبايع المعدة صلاحه من الطعام واذا اراد الله ابتلا قالب
وتخريب بنيته اخذت كل طبيعة جنسها من الماكول فيضطرب المزاج
ويسقم البدن وذلك تقدير العزيز العليم واهم الامور في الطعام ان يكون
حلالا وكل ما اباحه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله تعالى لعباده
ولولا رخصة الشرع كثر الامر واتعب طلب الحلال ومن ادب الصوفية

رؤية المنعم على النعمة ويبتدي بغسل اليد قبل الطعام فقد جاء في الخبر انه
ينفي الفقر والفكرة فيه ان غسلها قبل استقبال الطعام استقبال للنعمة
بالادب وذلك شكر للنعمة والشكر يوجب المزيد وفي خبر اخر قال صلى الله
عليه وسلم من احب ان يكثر خير بيته فليتوضا اذا حضر غداه ثم يسمي الله تعالى
قال صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي
فليقل بسم الله اوله واخره واذا شرب يتنفس ثلاثا ويحمد الله تعالى بعد كل نفس
وكما ان للمعدة طبايع تتدبر كما تقدم بموافقة طبايع الطعام فللقلب ايضا مزاج
وطبايع يدركها ارباب المعرفة والرعاية واليقظة يعرفون انحراف مزاج القلب
من اللقمة المتناولة فتارة بحرارة الطبيعة بالنهوض الى الفضول وتارة يحدث
في القلب برودة الكسل عن وظيفة الوقت وتارة رطوبة السهو والغفلة
وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ الفاضلة فهذه كلها عوارض
يتفطن لها المتيقظ والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فالقلب اولى والهم
وتطرق الانحراف الى القلب اسرع الى القالب ومن الانحراف ما يبعث القلب
فيموت كما يموت القالب واعلم الله تعالى دواء نافع مجرب يذهب الاذى ويجلب
الشفا حكي ان الغزالي قصد زيارة شيخ فوجده في ارض له يبذر الحنطة
فسأله الغزالي عن ذلك فقال الى ابنه رحمه الله انه يغلب حاضر ذاكرا رجوا
البركة فيه لكل من يتناول منه شيا فلا احب ان اسلمه الى من يبذر بقلب
غير حاضر ولسان غير ذاكر وكان بعض الفقرا يشرع في قرأة سورة من
القران عند الاكل ومن الذكر عند الفكر فهاء الله تعالى من الاستنات

المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى
من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كانت شحما
حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من ارجاء اللثات والفم ليعين
ذلك على المضغ والاساغة وكيف جعل القوة الهاضمة متسلطة على
الطعام تفصله وتجريه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة
بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد يقل الهضم ويفسد الطعام ولا يستعمل
ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذا سائر الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين
ويطول شرح ذلك ومن اراد الاعتبار يطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب
من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض
في اصلاح الغذاء واستجلاب القوة منه للاعضاء وانقسامه الى اللحم والعظم
واللبن ليتغذى به المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين
فتبارك الله احسن الخالقين . ومما يذهب داء الطعام الخير ليراح القلب
ان يدعو في اول الطعام ويسال الله تعالى ان يجعله عونا على الطاعة ويكون
من دعائهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا
على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب .

الباب الثالث والاربعون في ادب الاكل

فمن ذلك ان يبتدي بالملح ويختم به . روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه
يا علي ابدا بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون
والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس . وعن عائشة رضي الله عنها

ادب الاكل

قالت لدغ

قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من رجله اليسرى فقال
علي بذلك الابيض الذي يكون في العجين فجئنا بالملح فوضعه في كفه ثم
لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغ فسكنت عنه . ويستحب
الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . وروى جابر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احب الطعام الى الله
تعالى ما كثرت عليه الايدي . وقيل له يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع
قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا
اسم الله يبارك لكم فيه . ومن عادة الصوفية الاكل على السفرة وهو سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما كانوا ياكلون
قال على السفر . ويصغر اللقمة ويجيد المضغ ولا ينظر الى ما بين يديه ولا ينظر
الى وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس
جلسة المتواضع غير متكئ ولا متعزز ونهي ان ياكل الرجل متكئا .
وروي انه صلى الله عليه وسلم اهدي له شاة فجثى على ركبتيه فقال اعرابي
ما هذه الجلسة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلقني عبدا ولم يجعلني
جبارا عنيدا . ولا يبتدي في الطعام حتى يبتدئ الشيخ والمقدم . قال حذيفة
رضي الله عنه كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع
احدنا يده حتى يبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين قال صلى الله
عليه وسلم لياكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه

فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله وياخذ بشماله وان
كان الماكول تمرا او ماله عجم وضع العجم من ذلك على ظهر كفه او برمية ولا
ياكل من ذروة الثريد نهى عنه صلى الله عليه وسلم وقال ان البركة تنزل في
وسطه ولا يعيب الطعام قال ابو هريرة رضي الله عنه ما عاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه واذا سقطت اللقمة
اماط عنها الاذى واكلها هكذا امر صلى الله عليه وسلم وقال ولا يدعها للشيطان
وامر صلى الله عليه وسلم بلعق الاصابع وقال صلى الله عليه وسلم فانه لا يدري
في اي طعامه تكون البركة وامر صلى الله عليه وسلم باسلات القصعة
وهو مسحها ونهى عن النفخ في الطعام وقال هو يذهب بالبركة والخل والبقل
من السنة قال صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك لنا في الخل
فانه كان ادام الانبيا عليهم السلام قبلي ولم يفقر بيت فيه خل وقال ان
الملايكة تحضر المايدة التي عليها بقل ولا يعيب على الطعام فهو من شيمة
الاعاجم ولا يقطع اللحم بالسكين فانه نهي ولا يكف يده عن الطعام
حتى يفرغ الجميع روى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا وضعت المايدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المايدة ولا يرفع يده وان شبع
حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى ان
يكون له في الطعام حاجة واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره قال صلى الله
عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السما والارض والحديد
والبقر وابن ادم ومن احسن الاداب واهمه ان لا ياكل الا بعد جوع

قال صلى الله

قال صلى الله عليه وسلم ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن ومن عادة
الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم
اذا جاء احدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله اكلة او اكلتين
فانه ولي حره ودخانه واذا فرغ من الطعام حمد الله تعالى كان صلى الله عليه وسلم
اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وقال
صلى الله عليه وسلم من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه
من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل قال صلى الله عليه وسلم
تخللوا فانه نظافة ويغسل يده قال صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده
غمر لم يغسله فاصابه شي فلا يلومن الا نفسه ومن السنة غسل الايدي
في طست واحد قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا الوضوء جمع الله شملكم وخالفوا
المجوس ويستحب مسح العنق ببلل اليد قال صلى الله عليه وسلم اذا
توضا ثم فاشربوا اعينكم الما ولا تنفضوا ايديكم فانها مراوح الشيطان
قيل لابي هريرة رضي الله عنه في الوضوء غيره قال نعم في الوضوء غيره وفي
غسل اليد اخذ الاسنان بالابهام واذا تخلل لا يزدرد ما يخرج بالخلال بين
الاسنان وما يلوكه باللسان فلا باس به ويتجنب التصنع في الطعام
ويكون اكله مع الجميع كاكله منفردا فان الريا يدخل على العبد في كل شي
وصف بعض العلما لبعض العباد فتنسك ولم يثن عليه فقيل له تعلم به
باسا قال نعم رايته يتصنع في الاكل ومن تصنع في الاكل لا يومن عليه التصنع

في العمل وان كان الطعام حلالا فقال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل
البركات اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا
وان كان شبهة فقال الحمد لله على كل حال اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال محمد
ولا تجعله عونا على معصيتك وحزن كثيرا لاجلها فليفتش من ياكل وهو يبكي
كمن ياكل وهو يضحك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش
ويتجنب الدخول على قوم في وقت اكلهم فقد ورد من مشى الى طعام لم يدع
اليه مشى فاسقا واكل حراما وفي لفظ اخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا
ان يعلم من القوم فرحهم بموافقته ويستحب ان يخرج الرجل مع ضيفه الى
باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار ويتجنب الضيف التكلف
الا ان يكون له نية فيه واذا اكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه افطر
عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ومن الاداب
ان لا يحتقر ما يقدم كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما ندري
ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه ويكره
اكل الطعام الحار جدا وما تكلف للاغراض شبه التغازي وما عمل للنوائح لا يوكل
وما عمل للعزاء لا باس به واذا علم الرجل من حال اخيه انه يفرح الانبساط اليه
في التصرف في شي من طعامه فلا حرج ان ياكل من طعامه بغير اذنه قال
تعالى او صديقكم فقد دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب
وانزلوا السفرة واكلوا فدخل سفيان وفرح وقال ذكرتموني اخلاق السلف

هكذا

١٠٢

هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة واكدها الوليمة وقد
يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك اعظم خطا وان عمل ذلك تصنعا
وربما فهو شر من التكبر روي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما مر بقوم من
المساكين الذين يسالون الناس على الطريق وقد نثروا كسرا على الارض
وهو على بغلته فسلم عليهم فردوا عليه وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله
فقال رضي الله عنه نعم ان الله لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه ونزل عن دابته
وقعد معهم على الارض واقبل ياكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل
مع الاخوان افضل من الاكل مع العيال روي ان الرشيد دعا ابا معوية الضرير
وامر ان يقدم له طعام فلما اكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال
يا ابا معوية تدري من يصب عليك قال لا قال امير المومنين فقال يا امير المومنين
انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اكرمته

الباب الرابع والاربعون في ذكر ادبهم في اللباس ومقاصدهم فيه

ادبهم في اللباس

اللباس من حاجة النفس وضرورتها اليه لدفع الحر والبرد كالطعام لدفع
الجوع وكما ان النفس غير تابعة بقدر الحاجة من الطعام كذلك في اللباس
فالصوفي يردها الى متابعة العلم وقيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق فقال
ولكنه من وجه حلال ولاخر وهو وسخ فقال لكنه طاهر فنظر العارف في ثوبه
ان يكون من وجه حلال قال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة
دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اي لا فريضة ولا
نافلة ثم بعد ذلك ينظر في طهارته اذ هي شرط صحة الصلاة ثم في كونه نافع

للحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس وما بعد ذلك فهو فضول وزيادة ونظر
الى الخلق والصادق لا ينبغي ان يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة او
لنفسه وهو ما يدفع الحر والبرد حكي ان سفين خرج يوما وقد لبس
ثوبه مقلوبا فقيل له في ذلك فهم ان يغيره ثم قال اني لبسته لله فلا اغيره
لاجل نظر الخلق ولا انقض تلك النية بهذا والصوفية حضوا بطهارة الاخلاق
واحوالهم متناسبة فملابسهم مشاكل لطعامهم وطعامهم مشاكل لكلامهم
وكلامهم مشاكل لمنامهم قال ابو سليمن الداراني يلبس احدهم عباة
بثلثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم انكر ذلك لعدم التناسب لمن
حسن ثوبه ينبغي ان يكون ماكله من جنسه فاذا اختلف دل على وجود
هوى كامن في احد الطرفين اما لنظر الخلق واما للشره وقوة الشهوة وكلا
الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس ابو سليمن
الداراني ثوبا غسيلا فقال له تلميذه احمد بن ابي الحواري لو لبست يوما
اجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب وكان
الفقرا يلبسون المرقع وربما اخذوا الخرق من المزابل فرقعوا بها ثيابهم فعل
ذلك طايفة من اهل الصلاح وهولاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكلما
كانت رقاعهم من المزابل كانت لغنهم من الابواب حكي ان جماعة من اهل المرقعات
دخلوا على بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا
هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقام شاب من بينهم فقال
الحمد لله الذي جعلنا ممن نعرف به ونكرم له والله لنظهرن هذا الزي حتى يكون

الدين

الدين كله لله فقال له بشر احسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكان
احدهم يبقى زمانه لا يطوي له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه وروي ان
امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه لبس قميصا اشتراه بثلثة
دراهم ثم قطع كمه من رؤس اصابعه وروي انه رضي الله عنه قال لعمر الخطاب
رضي الله عنه ان اردت ان تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك
وقصر املك وكل دون الشبع وحكي عن الحريري قال كان في جامع بغداد رجل
لا تكاد تجده الا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال
قد كنت اولعت بكثرة لبس الثياب فرايت ليلة فيما يرى النايم كاني دخلت
الجنة فرايت جماعة من اصحابنا الفقرا على مايدة فاردت ان اجلس معهم فاخذ
بيدي جمع من الملايكة واقاموني وقالوا هولاء اصحاب ثوب واحد وانت
لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت ان لا البس الا ثوبا واحدا
الى ان القى الله عز وجل وحكي عن الشيخ حماد رحمه الله شيخ شيخنا انه بقي زمانا
لا يلبس ثوبا الا مستاجرا حتى لا يلبس على ملكه شيا وقيل مات ابو يزيد
ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فرد الى صاحبه فقد
يكون جمع من الصالحين على هذا الزي في التقشف وقد يكون جمع منهم ثم
يتكلفون لبس غير المرقع وزي الفقرا يشبههم في ذلك ستر الحال او خوف
عدم النهوض بواجب حق المرقعة وقد كان قوم من اهل الصفة يكرهون
ان يجعلوا بينهم وبين التراب حايلا فالصادقون ان لبسوا غير الخشن لبسه
لهم نية فلا يعترض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لشباب الفقرا

بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر
على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا
لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفي شهوات نفسه يلبس
لله تعالى بحسن النية في ذلك ولحسن النية في ذلك وجوه متعددة يطول
شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب لا الخشونة ولا النعومة بل
يلبس ما يدخل الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك
أن يتفقد نفسه فيه فإن رأى للنفس شوقا وشهوة خفية أدخلته في
الثوب الذي أدخله الله تعالى عليه يخرجه إلا أن يكون حاله مع الله تعالى
ترك الاختيار فعند ذلك لا يتبعه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله تعالى
إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل
كان يلبس ما يتفق من غير تعمل وتكلف فكان يلبس العمامة بعشرة دنانير
ويلبس العمامة بدانق وكان الشيخ عبد القادر قدس الله روحه يلبس هيئة
مخصوصة ويتطيلس وكان علي بن الهيتي يلبس لبس فقراء السواد وكان
أبو بكر الغزايري كان يلبس ثوبا خشنا كأنه عاد النعام ولكل في لبسه وهيئته
نية صالحة وكان الشيخ أبو السعود حاله مع الله تعالى ترك الاختيار وقد
يساق إليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى بعض الناس
الإنكار عليك في لبسك هذا فيقول لا يلقانا إلا أحد رجلين رجل يطالبنا
بحكم الشرع فيقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول
لا أو رجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فيقول له هل ترى لنا فيما

لبسناه اختيارا أو ترى لنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر
على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يختار أن يختار الله تعالى له هيئة مخصوصة
ليكثر اللجا إلى الله سبحانه والافتقار إليه ويشاء أن يريه أحب الزي إليه
وأصلح لدينه ودنياه لكنه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه ثم الله
تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا ويلتزم بذلك الزي ويكون لبسه
بالله ويكون هذا أتم وأكمل من لبسه فيه ومن الناس من يتوفر حظه من
العلم فيبسط ما يبسطه الله فيلبس الثوب عن علم وإيقان ولا يبالي بما
لبسه ناعما أو خشنا وربما لبس الثوب الناعم وللنفس فيه اختيار وحظ
وذلك الحظ هو بالله ولله تعالى وافقت إرادته إرادة نفسه ويكون
هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى إلى
مراده ومحابه غير أن هذا مزلة القدم لكثير من المدعين ولكل أحوال الصادقين
على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو
أهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد
والأبعد عن الآفات قال مسلمة بن عبد الملك بن مروان دخلت على عمر بن
عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا
ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل إن شاء الله قال ثم عدت أخرى فإذا القميص
على حاله فقلت يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوه قالت والله ما له قميص غيره
وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم عليه
بالخلافة فلما سلم عليه بالخلافة ضرب برأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطمار له فلبسها

وقيل لما مات ابو الدرداء رضي الله عنه وجد في ثوبه اربعون رقعة وكان عطاؤه
اربعة آلاف. وقال زيد بن وهب رأيت على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قميصا
رازيا وكان اذا مده بلغ اطراف اصابعه فعاتبه الخوارج بذلك فقال
اتعيبونني على لباس هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم. وقيل
كان عمر رضي الله عنه اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا
هذه البركانات للنساء. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نوروا
قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم ان
تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم. وروي انه صلى الله عليه وسلم احتذى
نعلين فلما نظر اليهما اعجبه حسنهما فقال خشيت ان يعرض عني ربي فتواضعت
له لا جرم لا تبيتان في منزلي لا مقوتنه من المقت من الله تعالى من اجلهما
فدفعهما الى اول مسكين لقيه ثم امر فاشتري له نعلان مخصوفتان.
ولبس صلى الله عليه وسلم الصوف واحتذى المخصوف واكل مع العبد واذا
كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفي شهواتها وكامن
هواها عسر جدا فالاحرى والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب لما لا يريب
والمحذور للعبد الدخول في السعة الا بعد اتقان علم السعة وكمال تزكية
النفس ورسوخ العزيمة احوط في تحصيل فضيلة الزهد في الدنيا ولبس الناعم
من الدنيا. وقد قيل من رق ثوبه رق دينه ومن ترخص في ذلك فمن لا
يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع. وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون

ثوبه حسنا

ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب
الجمال وتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه بهوى نفسه في ذلك غير مفتخر
به فاما من يلبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد.
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ازرة المؤمن
الى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من الكعبين
فهو في النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة بينما رجل ممن كان
قبلكم يتبختر في برديه اذ اعجبته برداه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيامة والاحوال تختلف فمن صح حاله لصحة علمه صحت نيته في
مأخوذه وملبوسه وسائر تصاريفه وباستقامة الباطن مع الله تعالى يستقيم كل حال.

الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل

ذكر قيام الليل

قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل في قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون انه كان عملهم قيام الليل وقيل
في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصابرة العدو. وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو
دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهبة كيد الشيطان ومطردة
للداء عن الجسد. قال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم اشد لذة من اهل
اللهو في لهوهم. وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم اهل الجنة الا ما
يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فهي ثواب عاجل لاهل الليل.
وقد ورد ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه ان لي عبادا يحبوني واحبهم ويشتاقون

الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوا
طريقهم احببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يا رب ما علامتهم قال
يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما
تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وخدودهم وناجوني بكلامي وتملقوا
لي بانعامي فبين صارخ وباك ومتاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي
وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت السموات السبع والارضون
وما فيها من موازينهم استقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من
اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه قال الصادق المريد اذا خلا
في ليلة بمناجاة ربه فتنتشر انوار ليلة على جميع نهاره ويصير نهاره في
حماية ليلة فتكون حركاته وتصاريفه في النهار يصدر عن منبع الانوار
المجتمعة في الليل وقد ورد من صلى في الليل حسن وجهه في النهار وهذا يحتمل
معنيين الاول ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين
في القلب يزهر بكثرة رتب العمل بالليل ازداد المصباح اشراقا واكتسبت
مشكاة القالب نورا وضياء وكان سهل رضي الله عنه يقول اليقين نار
والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر
السجود الثاني ان المعنى ان اموره التي يتوجه اليها في النهار تحسنت
وتتداركه المعونة من الله تعالى في تصاريفه ويكون موفقا في مصادره

وموارده فيحسن وجه مقاصده وافعاله قيل ينبغي ان يكون ثلث الليل والنهار
نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات بالليل ساعتان من
ذلك يجعلها المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في احدهما وينقص
من الاخرى على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون
بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك
اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر قلة النوم وجود الروح
والانس فان النوم طبيعته بارد فينفع الجسد والدماغ ويسكن من
الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص من الثلث يضر الدماغ
ويخشى منه اضطراب الجسد فاذا ناب عن النوم روح القلب والانس
لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس بارد رطب كطبيعة النوم
وقد يقصر الليل وجود الروح فيصير الطويل كالقصير كما يقال سنة الوصل
سنة وسنة الهجر سنة نقل عن علي بن بكار انه قال منذ اربعين سنة
ما احزنني الا طلوع الفجر وقال بعضهم كيف رايت الليل قال ما راعيته
يقابلني بوجهه ثم ينصرف وما تاملته

الباب السادس والاربعون في ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وادب النوم

الاسباب ٤٦ المعينة على قيام الليل

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل قبل غروب الشمس يتجدد الوضوء ويقعد
مستقبل القبلة ينتظر مجيء الليل وصلاة المغرب يشتغل في ذلك على انواع من
الاذكار واولاها التسبيح والاستغفار قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ومن ذلك ان تواصلها

بين العشائين بالصلاة او بالتلاوة او الذكر وافضل ذلك الصلاة فانه اذا وصل
بين العشائين انغسل باطنه من اثار الكدورة الحادثة في النهار من رؤية
الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك له اثر وخدوش في القلب حتى
النظر اليهم يعقب كدرا في القلب ثم يدرك من ذاق صفا الباطن فيكون
اثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر وبالمواصلة بين
العشائين يرجا ان يذهب ذلك ان شا الله تعالى ومن ذلك ترك الحديث
بعد العشا الاخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب حلاوة طراوة النور
الحادث في القلب من مواصلة بين العشائين ويقعد عن قيام الليل سيما اذا
كثر عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضو بعد العشا الاخرة معين على قيام
الليل واثر ظاهر في تيسير قيامه ومن ذلك القعود على الذكر والقيام
على الذكر والقيام بالصلاة حتى يغلب النوم يعين على سرعة الانتباه الا ان
يكون دائما من عادته فيتعهد النوم فتستجلبه كيف يقوم في وقته
المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين الطالبين ولهذا
الوصف المعهود قيل نومهم نوم الغرقا واكلهم اكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن
نام عن غلبة لم يجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيامه واذا وطن النفس
على النوم واطمعت استرسلت فيه واذا ازعجت بصدق العزيمة لا تسترسل
في الاستقرار والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك فيستعمل ما امر ومن
ذلك خفة المعدة من الطعام وما يتناوله من الطعام اذا كثر يثقل له تذكر
الله تعالى ويقظة الباطن اعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داوه فان

وجد للطعام

وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي ان يعلم ان ثقله على القلب اكثر فلا ينام حتى
يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار قال بعضهم لان ينقص
من عشائك لقمة احب الي من ان تقوم ليلة والاحوط ان يؤخر النوم فانه لا
يدري ما يحدث بعد طهوره وسواكه عنده وان لا يدخل النوم الا وهو على
طهارة قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد وهو على طهارة عرج بروحه
الى العرش فكانت رؤياه صادقة واذا لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن
البلوغ فكانت المنامات اضغاث احلام لا تصدق والمريد الناهل
اذا نام في الفراش مع الزوجة ينقض وضوه باللمس ولا يغتر بذلك فان له
النوم على طهارة ما لم يسترسل في النوم الا الغفلة باللمس ولم يعدم يقظة
القلب اما اذا استرسل وغفل فتجنب الزوج ايضا لمكان صلى فيه ومن
الطهارة التي تثمر صدق الرويا طهارة الباطن من خدوش الهوى وكدورة
محبة الدنيا واستغراق عن الحاش الغل والحقد والحسد وان يفارق درن من
اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم واذا
طهرت النفس انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقش
فيه عجايب الغيب وغرايب الانبا ومن الصديقين من يكون له في منامه
مكالمة ومحادثة ويامره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويكون يكون
ذلك في حقه كالامر والنهي الظاهر يعصي بالاخلال بهما بل يكون هذا اعظم
واكد لان المخالفات الظاهرة يمحوها التوبة والتايب من الذنب كمن لا ذنب له
وهذا امر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين مولاه فاذا اخل بها يخشى عليه

ان ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك استجاب مقت الله تعالى فان
ابتلي في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم
بعد الحدث فيمسح اعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بذلك عن حد الغفلة وهكذا
اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه فيجتهد ان يستاك ويمسح اعضاءه بالماء
مسحا ففيه فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه ويستقبل القبلة في نومه
اما على جنبه الايمن كالملحود او مستلقيا على قفاه كالمحتضر ويقول باسمك
اللهم وضعت جنبي وبك ارفعه اللهم ان امسكت نفسي فاغفر لها وارحمها
وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني وجهت وجهي
اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا
ملجأ ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي
ارسلت اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي علا فقهر والحمد
لله الذي بطن فخبر والحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير اللهم اني اعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر
عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس ايات من البقرة الاربع الاول
والخامسة ان في خلق السموات واية الكرسي وامن الرسول وان ربكم
الله وقل ادعوا الله واول الحديد واخر الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان
اضاف الى ذلك عشر ايات من اول الكهف وعشر ايات من اخرها فحسن
ويقول اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك

الذي

١٠٨

الذي تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك
فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وورد انه من قال
هذه الكلمات انه يبعث الله تعالى له ثلاثة املاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا
امنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك في الهوى وكتب له ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين واربعا وثلاثين ويتمم المائة بلا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥

٤٧ **الباب السابع والاربعون في العمل بالليل وادب الانتباه من النوم**

اذا فرغ المؤذن من اذان المغرب صلى ركعتين خفيفتين فقد ورد فيهما اثر
فاذا صلى المغرب سنتها بعدها يعجل بها فانها ترفع مع الفرض يقرأ فيهما بسورتي
الاخلاص ثم يقبل على ملائكة الليل فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين
الكريمين الكاتبين اكتبا في صحيفتي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واشهد ان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق
والصراط حق والميزان حق واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور اللهم اودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي اليها اللهم
احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني واوجب لي بها اماني
وتجاوز عني يا ارحم الراحمين فان واصل ما بين العشائين في المسجد ينوي
الاعتكاف وان رأى الانصراف الى منزله لانه اعلم واجمع لهمه فلينصرف
وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع



قال هي الصلاة بين العشائين وليجعل من صلاته بين العشائين ركعتين بسورتي
البروج والطارق ومن ركعتين يقرأ في الاولى عشر ايات من اول البقرة
والايتين والهكم اله الى اخرها وخمسة عشر مرة قل هو الله احد وفي الثانية
اية الكرسي والايتين بعدها وامن الرسول وخمسة عشر مرة قل هو الله احد
ويقرأ في ركعتين اخر الزمر والواقعة ويقرأ فيها سوى ذلك ما شاء
وان شا قرأ شيئا من حزبه وان شا صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة
الاخلاص والفاتحة ولو واصل ما بينها بركعتين يطيلها فحسن وان تلا
فيها الايات المضمنة الدعا كان جامعا بين الصلاة والتلاوة والدعا ثم
يصلي قبل العشا اربعا بعدها ركعتين ثم ينصرف الى منزله وموضع خلوته
فيصلي اربعا اخر كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته اول ما يدخل قبل ان
يجلس ويقرأ في هذه الاربع الم تنزيل السجدة ويس والدخان وتبارك
الملك وان اراد التخفيف قرأ اية الكرسي وامن الرسول واول الحديد
واخر الحشر ثم يصلي بعدهن احدى عشرة ركعة يقرأ فيهن ثلثماية اية
من الطارق الى اخر القران ولمثلها بداية هكذا ذكره ابو طالب وان قرأ من
الملك الى اخر القران فذلك الف اية وفيه خير كثير وان لم يحفظ القران
قرأ في كل ركعة قل هو الله احد خمس مرات الى عشر مرات الى اكثر ان شا
ولا يوخر الوتر الا ان يكون واثقا من نفسه في عادتها بالانتباه للتهجد
فيكون تاخيرها الى اخر التهجد اولى واذا اوتر من اول الليل صلى بعده ركعتين
جالسا يقرأ فيها اذا زلزلت والهاكم وان قرأ في كل ليلة المسبحات ففيها بركة

وكان العلما

وكان العلما يقرأون نهى فاذا استيقظ من نومه ثم احسن الادب عند الانتباه
ان يذهب بباطنه الى الله تعالى ويصرف فكره الى امر الله تعالى قبل ان يجول
الفكر في شي سوى الله عز وجل ويشتغل اللسان بالذكر فالعارف كالطفل
الكلف بالشي اذا نام على محبته فاذا انتبه طلبه ليكلفه به وعلى حسب
هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند
انتباهه ما همه فانه هكذا يكون عند الانتباه من القبر ان كان همه الله
فلا يهمه غير الله والعبد اذا انتبه من النوم بباطنه عايدا الى طهارة الفطرة
فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة
الذي انتبه عليه ويكون فارا بباطنه الى ربه خوفا من ذكر الاغيار ومهما
وفا الباطن بهذا انفتقت له طرق الانوار وطرق النفحات الالهية فيجب
ان ينصب اليه اقتسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موبلا وحنانا
ويقول بلسانه الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ويقرأ العشر
الاواخر من ال عمران ثم يقصد الطهور قال تعالى وينزل عليكم من السماء ما
ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ما فسالت اودية بقدرها قال
ابن عباس رضي الله عنهما الما القران والاودية القلوب فسالت بقدرها
واحتملت ما وسعت قال الما مطهر والقران مطهر والقران بالتطهير اجدر
لان الما يقوم غيره مقامه والقران والعلم لا يقوم غيرهما مقامهما والما يطهر
الظاهر والقران يطهر الباطن ويذهب عنكم رجس الشيطان فالنوم غفلة
وهو من اثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة

عن الله تعالى فاذا قرأ القرآن واستعمل الماء انما بالمطهر من جميعا وذهب عنه
رجز الشيطان فاستعمال الطهور امر شرعي له تأثير في تنوير القلب بازاء
النوم الذي هو حكم طبيعي وله تأثير في تكدير القلب فيتم هذا بهذا اطلبه
لهذا رأى بعضهم الوضوء مما مست النار وحكم ابو حنيفة الوضوء من
القهقهة حيث رآه حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز الشيطان حتى
كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس
وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولو ان المتحفظ المراقب الذي يتشبث بنفسه
كلما انطلقت النفس في مباح من الكلام او يسترسلون الى مخالطة الناس او غير
ذلك مما هو بعرض حل عقد عزيمته كالخوض فيما لا يعنيه قولا وفعلا عقيب
ذلك يتوضأ يثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء بمثابة الجفن الذي
لا يزال يجدد حركته يجلو البصر وما يعقلها الا العالمون ولو اغتسل عند هذه
المتجددات وعند الانتباه من النوم كان ابلغ في تنوير تكميده وكان الاحرى بالعبد
ان يغتسل لكل فريضة بأن لا يجهد في الاستعداد لمناجاة الله تعالى
وتجدد غسل الباطن بصدق الانابة قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا
الصلاة فقدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن رحمة الله تعالى وحكمه
الحنيفية السهلة السمحة رفع الحرج فعوض بالوضوء عن الغسل وجوز
اداء المفترضات بوضوء واحد نفيا للحرج عن عامة الامة وللخواص واهل
العزائم مطالبات من بواطنهم بحكم عليهم بالاولى ويلجئهم الى سلوك الطريق
الاعلى فاذا قام الى الصلاة واراد استفتاح التهجد قال الله اكبر كبيرا

والحمد لله كثيرا

والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر عشر مرات ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت
والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض
ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك
الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم
حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها
ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك
دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير
المسؤولين واكرم المعطين ثم يصلي ركعتين تحية الطهارة يقرأ في الاولى
بعد الفاتحة ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وفي الثانية ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ثم يستغفر بعد الركعتين
مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين ان اراد ان يقرأ فيهما باية
الكرسي وامن الرسول وان اراد قرأ فيهما غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين
هكذا روي في تهجده صلى الله عليه وسلم ثم يصلي ركعتين طويلتين اقصر
من الاوليين ويتدرج ابدا الى ان يصلي اثنتا عشرة ركعة او ثماني ركعات
او اكثر من ذلك ففي كل ذلك فضل

الباب الثامن والاربعون في تقسيم قيام الليل

تقسيم قيام الليل

كان جمع من الصالحين يقومون الليل نقل عن اربعين من التابعين انهم كانوا
يصلون الصبح بوضوء العشا منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض
ووهيب بن الورد وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار وحبيب العجمي وكهمس
ابن المنهال وابو حازم ومحمد بن المنكدر وغيرهم رضي الله عنهم عدهم وسماهم
باسمائهم ابو طالب المكي في كتابه القوت فمن عجز عن ذلك استحب له قيام
ثلثيه او ثلثه واقل الاستحباب سدسه فاما ان ينام ثلث الليل الاول ويقوم
ثلثه وينام ثلثه الاخير او ينام النصف ويقوم الثلث وينام السدس
وروي ان داود عليه السلام قال يا رب احب ان اتعبد لك فاي وقت اقوم فاوحى
الله تعالى اليه لا تقم اول الليل ولا اخره فانه من قام اوله نام اخره ومن قام
اخره نام اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك
فيكون القيام بين نومتين ولا يغالب النفس من اول الليل ويشغل فاذا
غلبه النوم نام فاذا انتبه توضا وقام فيكون له نومتان وقومتان وهو
من افضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة بحيث
لا يعقل ما يقول وقد ورد لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله ان فلانة
تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فلينم وقال صلى الله
عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض
الى نفسك عبادة الله تعالى ولا يليق بطالب ان يطلع عليه الفجر وهو نائم

الا ان كان

الا ان كان قد سبق له قيام طويل في الليل فتعذر واذا استيقظ قبل الفجر بساعة
مع قيام قليل سبق في الليل يكون افضل من قيام طويل واذا استيقظ قبل
الفجر اكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما صلى في الليل جلس
قليلا بعد كل ركعتين يسبح ويستغفر ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فانه
يجد بذلك ترويحا ومعونة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول في اول
نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى نومة اخرى فلا انام الله عيني وقد جاء في الخبر
قم من الليل ولو قدر حلب شاة فيحصل في ذلك قدر اربع ركعات وقدر ركعتين
وقيل في تفسير قوله تعالى تتجافى المضاجع نشا الاية انه قيام الليل ومن حرم
قيام الليل فقد قطع طريق كثير من الخير وقد يكون من ارباب الاحوال من يكون
له من الاحوال الغريبة ما يعسر عليه داعية الشوق ويرى ان القيام ونوع
في مقام الشوق وهذا ايغلط فيه ويهلك خلق من المدعين والانسان معرض
للقصور والشهوة واستقرار هذه الحالة متعذر والحالة اجل من حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل بل قام حتى تورمت قدماه
وقد يقول من يحتاج في ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان مشرعا فيقول وما لنا
لا نتبع شرعه وليعلم ان رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الاحوال الى
جناب القرب واستواء النوم واليقظة بعد الحال يحكم للحال ويحكم من الحال
في العبد والاقويا لا تحكم فيهم الحال يصرفون الحال في صور الاعمال فهم متصرفون
في الحال لا الحال متصرف فيهم قال رجل للحسن البصري يا ابا سعيد اني ابيت
معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك

فليحذر العبد في نهاره ذنوبا يمقته في ليله، وقال الثوري حرمت قيام الليل
خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا يبكي فقلت
في نفسي هذا مراء، وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نام العبد
عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة
فإن توضأ انحلت عقدة أخرى فإن صلى انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب
النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، وذكر رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم نام حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه، والذي يخل
بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغالها وإتعاب الجوارح
فيها والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللهو واللغط وإهمال القيلولة
والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يتهاون ويهمل.

الباب التاسع والأربعون في استقبال النهار والأدب فيه والعمل

استقبال النهار

قال الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار، وأجمع المفسرون على أن أحد الطرفين
صلاة الفجر واختلفوا في الآخر فقيل المغرب وقيل العشاء وقيل الصبح والظهر
طرف والعصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلاة العشاء إن الحسنات
يذهبن السيئات أي الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات فيستعد العبد لصلاة
الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويشتغل الفجر بتجديد الشهادة كما
تقدم في آخر الليل ثم يصلي ركعتي الفجر بسورتي الإخلاص بعد الفاتحة وإن
شاء قرأ في الأولى قولوا آمنا بالله إلى آخر الآية في سورة البقرة وفي الثانية ربنا آمنا
بما أنزلت الآية ثم يستغفر ويسبح ما تيسر من العدد وإن تقدر على كله

استغفر الله لذنبي

استغفر الله لذنبي سبحان الله والحمد لله إلى المقصود منها ثم يقول اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك رحمة من عندك إلى آخره ولهذا الدعاء أثر كثير
وما رأيت أحدا قط حافظ عليه إلا وعنده خير كثير وبركة وهو من وصية
الصادقين بعضهم بعضا بحفظه والمحافظة عليه والمنقول عنه صلى الله عليه وسلم
أنه كان يدعو به بين السنة والفريضة ثم يقصد الجماعة في المسجد والدعاء
اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي
وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها
عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم أعطني
إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا
والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء
والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيي
وضعف عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي
الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن فتنة القبور
ومن دعوة الثبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي
وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك
فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين
غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي
بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد

اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود
والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من يعطف بالعز
وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له
سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي الجود والكرم سبحان الذي احصى
كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا
في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا
من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي
ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا ويقول عند
خروجه من منزله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا ويقول في الطريق اللهم اني اسالك بحق
السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اليك بطرا ولا اشرا
ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك اسالك ان
تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت فقد ورد
فيه فضل كثير عنه صلى الله عليه وسلم فاذا دخل المسجد قال بسم الله
والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج من المسجد
والسنة ان يستحب الصوفي بمنزله البيت والمسجد ثم يصلي صلاة الصبح
في جماعة فاذا سلم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله

وصل

وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله اهل النعمة
والفضل والثناء الحسن الجميل لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون ويقرا قل هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم التسعة
والتسعون اسما الى اخرها فاذا فرغ قال اللهم صل على سيدنا محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى ال محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء
واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا افضل ما جزيت نبيا
عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
اللهم صل على محمد في الاولين وصل على محمد في الاخرين وصل على محمد الى
يوم الدين اللهم صل على روح محمد في الارواح وصل على جسد محمد في الاجساد
واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافتك ورحمتك وتحيتك
ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم انت السلام ومنك
السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم اصبحت لا استطيع دفع ما اكره
ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي
فلا فقير افقر مني ولا غني اغنى منك اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو
بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط
علي من لا يرحمني اللهم هذا خلق جديد فافتحه علينا بطاعتك واختمه
بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها
وما عملت فيه من سيئة فاغفر لي انك غفور رحيم ويقول رضيت بالله ربا

وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم اني اسالك خير هذا اليوم
وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه واعوذ بك من شر طوارق الليل
والنهار ومن بغتات الامور وفجات الاقدار ومن شر كل طارق يطرق الا
طارقا يطرق بخير يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمها واعوذ بك ان ازل او اضل او
اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك وتقدست اسماؤك
وعظمت نعماؤك اعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السما وما يعرج فيها اعوذ بك من حاله الحرص وشره الطبع وثوره الغضب
وسنه الغفله وتعاطي الكلفه اللهم اني اعوذ بك من مباهاة المكثرين
والازرا على المقلين وان انصر ظالما او اخذل مظلوما وان اقول في العلم بغير علم
او اعمل في الدين بغير يقين اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك
لما لا اعلم اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اللهم انت ربي لا
اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا
يغفر الذنوب الا انت اللهم اجعل يومنا هذا اوله صلاحا واخره نجاحا
واوسطه فلاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة
اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والكبريا لله والجبروت والسلطان لله
والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار اصبحنا على فطرة الاسلام
وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم

حنيفا

حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت
الحنان المنان بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام انت الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة
ملكه وبقايه يا حي محيي الموتى يا حي يميت الاحيا وارث الارض والسما اللهم
اني اسالك باسمك اللهم بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم اللهم اني اسالك باسمك الاعظم الاجل
الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سيلت به اعطيت يا نور النور
يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعا يا لطيفا لما
يشا يا روف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام
الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم الاهي واله كل شي
الها واحدا لا اله الا هو اللهم اني اسالك باسمك يا الله الله الله الله الذي
لا اله الا هو رب العرش العظيم تعالى الله لا اله الا هو رب العرش الكريم انت
الاول والاخر والظاهر والباطن وسعت كل شي رحمة وعلما كهيعص
حمعسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا واحد يا صمد يا ودود يا غفور
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني اعوذ باسمك المكنون المخزون الدال
الطهر الطاهر القدوس المقدس يا دهر يا دهور يا دهار يا ابد يا ازل يا من لم
يزل ولا يزال على ما لم يزل هو يا هو يا لا اله الا هو يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم
ما هو الا هو يا كاين فيما كان يا روح يا كاين قبل كل كون يا كاين بعد كل كون

يا مكونا لكل كون اهيا شراهيا ادوني اصباوت يا مجلي عظايم الامور فان تولوا
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شي
وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وال
ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم اني
اعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم
اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم وشر ما عملت وشر ما لم اعمل اعوذ
بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة
والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق
والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والريا اعوذ بك من
الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الاسقام اللهم اني اعوذ بك
من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم
اني اسالك بالصلاة على محمد وعلى اله واسالك من الخير كله عاجله واجله
ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم
اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل واسالك ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين
يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني
كله يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض

يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة
الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة
المضطرين وكاشف السوء وانت ارحم الراحمين اللهم استر عورتي وامن
روعاتي واقلني عثرتي اللهم واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم اني
ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام
منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني ذليل فاعزني اللهم اني فقير
فاغنني برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي ومنيتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن
يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام اللهم
يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك
ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحيا المرزوقين
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين امين امين
رب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقي الروح من امرك
على من تشا من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول
لا اله الا انت اليك المصير يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه
الاصوات ويا من لا تغلطه المسايل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا
يتبرم بالحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم اني اسالك

قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وعلما نافعا اسالك من خير ما تعلم واعوذ بك
من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اني
اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم واسالك حبك وحب من احبك وحب عمل يقرب الى حبك
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك احيني ما كانت الحياة خيرا لي
وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة
العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم اقسم لي
من خشيتك ما تحول به بيني وبين معاصيك ومن طاعتك ما تدخلني جنتك
ومن اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد
وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم
البس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من
عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك الينا احب مما سواك واجعلنا
اخشى لك مما سواك فنسالك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام
العصمة واداء الشكر بحسن العبادة اللهم اني اسالك بركة الحياة وخير
الحياة واعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة واسالك خير ما بينهما احيني
حياة السعداء وحياة من تحب بقاءه وتوفني وفاة الشهداء ووفاة من تحب
لقاءه يا خير الرازقين واحسن التوابين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين
ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلفت واغفر ما قدمت

وطيب

وطيبا ما رزقت وتمم ما انعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت
ولا تهتك ما سترت فانه لا اله الا انت استغفرك من كل لذة بغير ذكرك
ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير
مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم اني استغفرك من كل ذنب
تبت اليك منه ثم عدت اليه اللهم اني استغفرك من كل عقد عقدته لك
ثم لم اوف لك به اللهم اني استغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فتقويت
بها على معصيتك اللهم اني استغفرك من كل عمل عملته لك فخالطه ما
ليس لك اللهم اني اسالك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد واسالك جوامع
الخير وفواتحه وخواتمه واعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه
اللهم احفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا
يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين يا غياث
المستغيثين لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك
فاضيع اكلأني كلاءة الوليد ولا تخل عني وتولني بما توليت به عبادك
الصالحين عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك عدل في قضائك
نافذة في مشيئتك ان تعذب فاهل ذلك انا وان ترحم فاهل ذلك انت
افعل اللهم يا مولاي يا الله يا رب ما انت له اهل ولا تفعل اللهم يا رب يا الله
ما انا له اهل انك اهل التقوى واهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب ولا
تنقصه المغفرة هب لنا ما لا يضرك واعطنا ما لا ينقصك ربنا افرغ علينا
صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا

وارحمنا وانت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على سيدنا محمد وعلى
ال محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر في
الخدمة وافراغ الشكر في النعمة واسالك حسن الخاتمة واسالك النفس
وحسن المعرفة بك واسالك المحبة وحسن التوكل عليك واسالك
الرضا وحسن الثقة بك واسالك حسن المنقلب اليك اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد واصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد فرجا عاجلا ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا ربنا انك رءوف رحيم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب اللهم اغفر لي ولوالدي ولمن ولدا وارحمهما كما ربياني
صغيرا واغفر لاعمامنا وعماتنا واخوالنا وخالاتنا وازواجنا وذرياتنا ولجميع
المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحيا منهم والاموات برحمتك
يا ارحم الراحمين ويا خير الغافرين انتهى ولما كان الدعا مخ العبادة احببنا
ان نستوفي من ذلك قسما مما في جواهر كتبه وهذه الادعية استخرجها
الشيخ ابو طالب في كتاب القوت وعلى نقله كل الاعتماد فليدع بهذه الدعوات
منفردا او في جماعة اماما كان او ماموما ويختصر منها ما يشاء

الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الاوقات

العمل في جميع النهار

فمن ذلك

فمن ذلك ان يلازم موضعه الذي صلى فيه الصبح مستقبل القبلة الا ان يريد
انتقاله الى زاوية او بيته استر له بنية وترك الكلام مع الادميين في هذا
الوقت له اثر يجده اهل المعاملة وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ذلك ثم يقرا الفاتحة واول البقرة الى المفلحون والهكم اله واحد لا اله الا
هو الرحمن الرحيم واية الكرسي والايتان بعدها وامن الرسول الاية قبلها
وبعدها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وان ربكم الله الى المحسنين ولقد
جاءكم رسول وقل ادعوا الله واخر الكهف من ان الذين امنوا وذو النون
الى خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وسبحان ربك الى اخرها ولقد
صدق الله رسوله واول الحديد الى بذات الصدور واخر الحشر من لو انزلنا
ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد مثلها ويكبر كذلك ثم يختم بالهيللة ويشتغل
بتلاوة القران حفظا او في المصحف او يشتغل بانواع الاذكار ولا يزال كذلك
من غير فتور ولا قصور ولا نعاس فان النوم في هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه
النوم فليقم في مصلاه قائما مستقبل القبلة وان لم يذهب بالقيام فخطا خطوات
نحو القبلة ويتاخر بالخطوات كذلك فالمداومة للاستقبال وترك الكلام
والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت اثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك
بحمد الله ويوصي به الطالبين واثر ذلك في حق من يجمع في الاذكار بين القلب
واللسان اكثر واظهر وهذا الوقت اول النهار والنهار مظنة الافات فاذا
احكم اوله بهذه الرعاية فقد احكم بنيانه وبنى اوقات النهار عليه جمعا على
هذا البنا فاذا قارب طلوع الشمس ابتدا وقرا المسبعات وهي من

تعليم الخضر عليه السلام علمها ابرهيم التيمي وذكر انه تعلمها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينال بالمداومة عليها جميع المفرق في الاذكار والدعاء وهي عشرة
اشيا سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون
واية الكرسي وسبحان الله الى اخرها والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويستغفر
لنفسه ولوالديه وللمومنين والمومنات ويقول سبعا اللهم افعل بنا وبهم عاجلا
واجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له
اهلا انك غفور حليم جواد كريم روف رحيم روي ان ابرهيم التيمي لما تعلم ذلك
من الخضر عليه السلام وقراه راى في المنام كانه دخل الجنة وراى الملايكة والا
واكل من طعام الجنة وقيل انه مكث اربعة اشهر لم يطعم فقيل كان من قبل انه
اكل من طعام الجنة ثم يقبل بعدها على التسبيح والاستغفار والتلاوة الى ان
تطلع الشمس قيد رمح وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لان
اقعد في مجلس اذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب
الي من ان اعتق اربع رقاب ثم يصلي ركعتين قبل ان ينصرف من مجلسه
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصليهما ثم بهاتين الركعتين يتبين
فايدة رعاية هذا الوقت فاذا صلى الركعتين بجمع همه وحضور قلبه وحسن
تدبر بما يقرا يجد في باطنه اثرا وروحا وانتشاء اذا كان صادقا ويقرا في الاولى اية
الكرسي وفي الثانية امن الرسول والله نور السموات والارض ويجوز بينه فيها
الشكر لله على نعمه في يومه وليلته ثم يدعوا بالدعا المتقدم اللهم اني اصبحت
لا استطيع دفع ما اكره الي ولا نويه صديقي ثم يقول ولا تجعل الدنيا اكبر

همي

همي ولا مبلغ علمي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط علي بذنوبي من لا يرحمني
اللهم اني اعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم واعوذ بك من الذنوب التي توجب
النقم ثم يصلي ركعتين اخريين بالمعوذتين تتصل بها الاستعاذه من شر
يومه وليلته ويستعيذ بالعوذ الوارده اعوذ بكلمات الله التامات كلها
من شر ما خلق وذرا وبرا وغير من العوذ ثم يصلي ركعتين اخريين يقرا فيهما
سورتي الاخلاص بنية الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته ويكون
الدعا فيهما على الاطلاق ويدعوا بدعاء الاستخارة المتقدم في غير هذا الباب
ويقول فيه كل قول وعمل اريده في هذا اليوم ثم يصلي ركعتين اخريين بالواقعة
والاعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واجعل حبك احب الاشيا
الي وخشيتك اخوف الاشيا عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى
لقايك واذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني بعبادتك واجعل
طاعتك في كل شي مني يا ارحم الراحمين ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرا
فيهما شيا من حزبه من القران ثم بعد ذلك ان لم يكن له شغل يشغل بانواع
النوافل من صلاة او ذكر او تلاوة الى وقت الضحى وان كان له شغل اما
لنفسه او عياله فلينهض لحاجته ومن هاته بعد ان يصلي ركعتين لخروجه
من المنزل وهكذا ينبغي ان يفعل ابدا لا يخرج من البيت الى جهة الا بعد
ان يصلي ركعتين ليقيه الله تعالى مخرج السوء وكما يدخل البيت لا يصلي
ركعتين ليقيه الله تعالى مدخل السوء بعد ان يسلم على اهل المنزل من الزوجة
وغيرها فان لم يكن في البيت احد سلم ايضا ويقول السلام على عباد الله المومنين

وان كان متفرغا فاحسن اشغاله في ذلك الوقت الى الضحى الصلاة فان كان
عليه قضاء صلى صلاة يوم او يومين او اكثر والا صلى ركعات يطول فيها
القراءة او يكثر العدد ويتوخى من ليس له حزب يقوم به في ذلك الوقت
الآيات المتضمنة للدعاء يقرأ في كل ركعة آية مرة او يكررها ويقدر الطالب
ان يصلي في ذلك الوقت مائة ركعة خفيفة وقد كان من الصالحين من
ورده في اليوم والليلة مائة ركعة الى ما بين الى خمسمائة الى الف ركعة
ومن ليس له في الدنيا شغل في باله يشغل ولا استغل بخدمة المولى سبحانه
وتعالى فاذا ارتفعت الشمس وانتصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر
صلى الضحى فهذا الوقت افضل الاوقات لصلاة الضحى قال صلى الله عليه وسلم
صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال اي نام الفصيل في ظل امه من حر الشمس
واقلها ركعتان واكثرها اثنتا عشرة ركعة يجعل بين كل ركعتين دعاء
او تسبيح او استغفار ثم بعد ذلك ان كان هناك حق يقضي فيما يندب اليه
من زيارة او عيادة والا فيتم العمل لله من غير فتور اما ظاهرا او باطنا فيشتغل بالعبادة ظاهرا
او باطنا فيتفقد ذلك انه يصلي ما دام منشرحا ونفسه مجيبة فان سئم
تلا فان مجرد التلاوة اخف على النفس من الصلاة فان سئم ذكر بلسانه
وقلبه فهو اخف من القراءة فان سئم ترك ذكر اللسان ولازم المراقبة
وهي علم القلب بنظر الله تعالى الى العبد فما دام هذا العلم ملازم القلب فهو مراقب
والمراقبة عين الذكر وافضله فان عجز عن ذلك وتملكته الوساوس وتزاحم
في باطنه حديث النفس فليبتغ في النوم السلامة والا فكثرة حديث النفس

تفتيش القلب

تفتيش القلب فليحترز من ذلك قال سهل استواء المعاصي حديث النفس والطالب
يريد ان يحترز باطنه كما يحترز ظاهره ويتفقد الباطن عن حديث النفس بالمراقبة و
والمراعاة كما يتفقد الظاهر بالعمل ويمكن الطالب ان يصلي من الضحى الى الظهر مائة
ركعة اخرى واقل ذلك عشرون ركعة اما خفيفة او يقرأ في كل ركعتين
جزءا من القرآن او اقل او اكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى او بعد الفراغ
من اعداد الركعات حسن قال سفيان كان يعجبهم اذا فرغوا ان يناموا طلبا
للسلامة وفي هذا النوم فوائد منها الاعانة على قيام الليل ومنها
ان النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار العمل فيه والنفس اذا استراحت
عادت جديدة وتستجد بعد النوم بالنهار نشاطا وشغفا آخر وينبغي ان
يكون انتباهه قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء
بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة ذاكرا او مسبحا او تاليا فيصلي
في اول الزوال قبل السنة والفرض اربع ركعات بتسليمة واحدة فكان
يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه صلاة الزوال ويراعي فيها اول
الوقت حين يذهب وقت الكراهة ثم يستعد لصلاة الظهر فان وجد في باطنه
كدرا من مخالطة او مجالسة اتفقت استغفر الله تعالى وتضرع اليه ولا يشرع
في صلاة الظهر الا بعد ان يعود الباطن الى حالة من الصفاء ومن ذاق حلاوة
المناجاة وصفو الامن في الصلاة تكدر بيسير من الاسترسال في المباح
ويصير على باطنه من ذلك كدر وعقد وقد يكون ذلك لمجرد المجالسة
والمخالطة مع الاهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الابرار سيئات

القريبين فلا يدخل في الصلاة الا بعد حل العقد واذهاب الكدورة بالانابة
والاستغفار والتضرع الى الله تعالى ورد ما عليه من الكدر بمجالسة الاهل
والاولاد ان يكون في مجالستهم غير راكن اليهم بكل الركون بل يسترق القلب
في ذلك نظرات الى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة
الا ان يكون قوي الحال لا يحجبه احد عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقد فهو
اي حين دخل في الصلاة وجد باطنه وقلبه لان مجالسته لهذا ومخالطته عين
ظاهره فاطره الى الخلق وعين قلبه مطالعة الى الحضرة الالهية فلا ينعقد
على باطنه عقدة وصلاة الزوال التي ذكرناها تحل العقد وهي الباطن لصلاة
الظهر فيقرأ في صلاة الزوال بقدر سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير
ما يتيسر من ذلك وهذا هو الاظهار المشار اليه في قوله تعالى وعشيا وحين
تظهرون فان انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض فيكثر الدعاء الذي بين
الفريضة والسنة من صلاة الغداة فحسن وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
دعا به الا الصلاة الفجر فاذا فرغ من صلاة الظهر فيقرأ الفاتحة واية الكرسي
ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين ثلاثا وثلاثين وان اتى بالايات كلها التي
ذكرناها بعد الصبح وعلى الادعية كان خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له
نافلة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى فيحيي بين الظهر والعصر
كالحي بين العشائين على الترتيب الذي ذكرناه من الصلاة والتلاوة
والذكر والمراقبة ومن دام تهجده فليأخذ نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر
والعصر ولو احيا بين الظهر والعصر بركعتين طويلتين يقرأ فيهما ربع القرآن

او باربع

او باربع ركعات فهو خير كثير وان اراد احياءه بمائة ركعة في النهار الطويل
تمكن من ذلك او بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله احد القدس في كل
ركعة خمسين مرة وان اراد ان يقرأ فيها ايات فليقرأ الايات المتضمنة للدعاء
على الترتيب من ربنا اتنا في الدنيا حسنة الى اخر القرآن ففي المواظبة على ذلك
مع مواطاة القلب اللسان ترجى بركة لانه مناجاة ودعاء وانابة الى الله تعالى
ويستاك ان كان صائما قبل الزوال وان لم يكن فاي وقت تغير فيه الفم
وفي الخبر السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الى الصلاة المفروضة
يندب له السواك فقد قيل ان الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة من غير
سواك بسبعين ضعفا وقيل انه خير والدوب في العمل كما ذكرنا واستيعاب
النهار به بلذة وحلاوة من غير سامة لا يصح الا لعبد يرتب نفسه بكمال
التقوى ويستقصي في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى ومتى بقي على
الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه في العمل بل ينشط
وقتا ويسأم وقتا ويتناوب النشاط والكسل بحسب تبقى متابعة شيء من الهوى
نقصان تقوى او محبة دنيا واذا صح في الزهد والتقوى لو ترك العمل بالجوارح ما
قبل عن العمل بالقلب فهي دائم دوام الروح في العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى
روح النفس لا تزول وانما تزول متابعته ولهذا استعاذ صلى الله عليه وسلم
من شح مطاع وهوى متبع ولم يستعذ من اصل الشح ولا الهوى فانها طبيعة
النفس ودقائق متابعة الهوى يتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال وقد
يكون متبعا للهوى باشتغاله بمجالسة الخلق ومكالمتهم والنظر اليهم وقد

يقع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والاكل او غيره ذلك من اقسام الهوى وهذا
شغل من ليس له شغل في الدنيا ثم يصلي قبل العصر اربع ركعات وان امكنه
تجديد الوضوء فعل فيتوضأ كما ذكرنا ثم لو اغتسل كان اكمل فيحصل ذلك له
اثر ظاهر في تنوير الباطن كما قدمنا وتكميل الصلاة ويقرأ في الاربع قبل العصر
اذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم ثم يصلي العصر ويجعل في بعض الايام
في قراءته فيها والسما ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج في العصر
امان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ما ذكرناه من الايات والادعية والاذكار
بعد الصبح او ما تيسر منها وقد انقطع وقت الشغل وبقي وقت الذكر وافضل
من ذلك مجالسة من يزهده في الدنيا ويشد كلامه عرى التقوى من العلما
الزاهدين المتكلمين فيما يقوي عزايم المريدين فاذا صحت نية القايل والمستمع
فهذه المجالسة افضل من الانفراد والمداومة على الاذكار وان عدم هذه
المجالسة وتعذرت فليشرح بالشغل في انواع الاذكار وخروجه لشغله
من امر معاشه وغيره في هذا الوقت افضل من خروجه في اول النهار ولا
يخرج من منزله الا على الوضوء وكره جمع من العلما تجديد الوضوء بعد العصر لعادة
المشايخ والصالحين ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ما شا الله حسبي
الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وانت اخرجتني ويقرا الفاتحة والمعوذتين
ولا بد وان يتصدق كل يوم بما تيسر ولو بتمرة او لقمة فان القليل بحسن النية
كثير روي ان عايشة رضي الله عنها اعطت السايل عنبة واحدة وقالت
ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وفي الخبر كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته

ويكون

ويكون من ذكره بعد العصر الى الغروب مائة مرة لا اله الا الله وحده
لا شريك له الى اخرها وسبحان الله والحمد لله الكلمات مائة مرة وسبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة لا اله الا الله الملك
الحق المبين مائة مرة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد مائة مرة استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة مائة مرة ما شا الله
لا قوة الا بالله مائة مرة ففي ذلك فضل كبير رايت بعض فقرا المغاربة
معه سبحة فيها العجبة ذكر ان ورده ادارتها في كل يوم اثنا عشر مرة
بانواع الذكر وينقل عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده بين اليوم
والليلة وينقل عن بعض الناس انه كان ورده من التسبيح بين اليوم
والليلة ثلاثين الفا ويقول ما بين اليوم والليلة هذا التسبيح مائة مرة
سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب
بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان
المنان سبحان الله في كل مكان روي ان بعض الابدال بات على شاطي بحر
فسمع في هدو الليل هذا التسبيح فقال من الذي اسمع صوته ولا ارى شخصه
فقال انا ملك من الملايكة موكل بهذا البحر اسبح بهذا التسبيح منذ خلقت
فقال ما اسمك قال مهلهيائيل قال ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة
مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له وروي ان عثمان رضي الله عنه
سال النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض
فقال سالتني عن شي عظيم ما سالني عنه غيرك هو لا اله الا الله والله اكبر

وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل يا مستغفر الله الأول
الآخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير قالها
عشر مرات حين يصبح وحين يمسي أعطي ستة خصال أن يحرس من إبليس وجنوده
ويعطى قنطارا من الأجر ويرفع له درجة في الجنة ويزوجه الله من الحور العين
ويستغفر له اثنا عشر ملكا ويكون له من الأجر كمن حج واعتمر ويقول
في هذا الوقت وفي أول النهار اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني
وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني أنت ربي لا رب لي سواك لا
إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ويقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما
شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف
السوء إلا الله ويقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة ويقرأ
المسبعات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار حتى تغيب
الشمس ثم يقرأ عند الغروب والشمس والليل ثم المعوذتين
ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فكما أن الليل يعقب
النهار والنهار يعقب الليل كذلك ينبغي للعبد أن يعاقب بين الذكر
والشكر فيعقب أحدهما الآخر لا يتخللهما شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار
والذكر أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال تبارك وتعالى اعملوا
آل داود شكرا والله الموفق للخير

الباب الحادي والخمسون

آداب المريد مع الشيخ

الباب الحادي والخمسون في أدب المريد مع الشيخ

أدب المريد مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم في
ذلك ابتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال
ابن عباس رضي الله عنهما أي لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال أنس
رضي الله عنه كان أناس يتقدمون قبله فنهوا عن ذلك وقال الكلبي أي
لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به ولهذا أدب
المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في ماله ونفسه
إلا بمراجعة الشيخ ولا يتكلم بين يدي الشيخ إلا بأمره ومثله بين يديه كمثل
جالس على ساحل البحر ينتظر رزقا يساق إليه فتطلعه إلى الأشياء وما
يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق له مقام إرادته وطلبه واستزادته من
فضل الله تعالى وتطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى
مقام إثبات شيء لنفسه وذلك جناية المريد وينبغي أن يكون تطلعه إلى
مبهم حاله يكتشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج
إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يأتيه ما يريد لأنه يعلن تطلعه إلى
قوله والقول كالبذر يقع في الأرض فإذا كان البذر فاسدا لا يريع ويفسد
الكل بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقي بذر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه
إلى الله تعالى ويسأله المعونة والسداد فيكون كلامه بالحق من الحق للحق
والشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فكما أنه صلى الله عليه وسلم

لا ينطق عن الهوى فكذلك الشيخ لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس في
القول يتنوع احدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وربما
هذا شأن المشايخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب
وذلك جناية عند المحققين وكان الشيخ ابو السعود يتكلم مع الاصحاب
بما يلقى اليه ويقول انا في هذا الكلام مستمع كاحدكم فاستشكل ذلك
على بعض الحاضرين وقال اذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون
مستمع فرجع الى منزله فرأى في ليلته في المنام كأن قائلا يقول له
الشيخ الغواص يغوص في البحر لطلب الدر فيجمع الصدف في مخلاته
والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج من البحر وينظر في
رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام استماع الشيخ في ذلك
فاحسن ادب المريد مع الشيخ السكوت والجمود حتى يبادئه الشيخ
بما له كنه الصلاح قولا وفعلا ومن حاشيته ايضا ان لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى له
عزيز المنح وغرائب المواهب وهذا اعز شيء في المريد فارادته للشيخ
تعطيه فوق ما يتمناه لنفسه قال سري رضي الله عنه الادب
ترجمان العقل وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل
عملك ملحا وادبك دقيقا فمن لزم الادب بلغ به مبلغ الرجال ومن حرم
الادب رد من حيث يرجو القبول ومن ادب اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية فكانت

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد نزولها اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى يستفهمه وآلى ابو بكر رضي الله عنه على نفسه ان
لا يتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وهكذا ينبغي
ان يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك
وكثرة الكلام الا اذا بسطه الشيخ قال ابن عطاء في قوله تعالى لا
ترفعوا اصواتكم زجر عن الادنى لئلا يتخطى احد الى ما فوقه من ترك
الحرمة وقوله عز وجل ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي
لا تغلظوا له في الخطاب ولا تدعوه باسمه يا محمد يا احمد ولكن فخموه
وقولوا يا رسول الله يا نبي الله وكذلك المريد مع الشيخ واذا تمكن الوقار
القلب اعلم اللسان كيفية الخطاب ولما نزلت قعد ثابت بن قيس
ابن شماس رضي الله عنه في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك
يا ثابت قال هذه الاية اني اخاف ان يكون نزلت في ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون وانا رفيع الصوت فاخاف ان يحبط عملي واكون مع اهل
النار فمضى عاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكا فاتى امرأته
وقال اذا دخلت بيت فرشي فشدي على الضبة بمسمار ففعلت وقال
لا اخرج حتى يتوفاني الله تعالى او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال اذهب فادعه فجاء
عاصم رضي الله عنه الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء اهله فوجده في
بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر

الصفة فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا ثابت فقال
أنا صيت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة
قال قد رضيت ببشرى الله ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين يغضون أصواتهم الآية
قال أنس رضي الله عنه كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا
فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار
وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم
مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل هؤلاء ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا واستشهد ثابت
رضي الله عنه كما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه درع فرآه
رجل من الصحابة رضي الله عنهم بعد موته في المنام فقال له اعلم أن فلانا
رجلا من المسلمين نزع درعي أخذها وهو في ناحية من العسكر
وعنده فرس يستن في طوله وعلى درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره
حتى يسترد درعي وأت أبا بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقل له إن علي دينا حتى يقضي عني وفلان من عبيدي عتيق
فأخبر الرجل خالدا رضي الله عنه فوجد درعه والفرس على وصفه واسترد
الدرع وأخبر خالد أبا بكر رضي الله عنهما بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر رضي الله عنه
وصيته قال مالك بن أنس رضي الله عنه لا أعلم وصية أجيزت بعد موت

صاحبها

صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت لثابت رضي الله عنه بحسن تعظيمه وأدبه
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق وليعلم أن الشيخ
عنده بذكر من الله ورسوله وأن الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتماده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أبو عثمان الأدب يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الأولى
والعقبى ألا ترى إلى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم
رحمهم الله تعالى له بقوله عز وجل إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون نزلت في وفد بني تميم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنادوا يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين فخرج إليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنما ذلكم الله تعالى الذي مدحه زين وذمه
شين في قصة طويلة وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان
ابن ثابت رضي الله عنه وشبان الأنصار الأنصاري والمهاجرين بالخطبة
وفي هذا أدب للمريد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه وترك العجلة
وصبره حتى يخرج إليه الشيخ من موضع خلوته شعر إن الشيخ عبد القادر
رضي الله عنه كان إذا جاءه فقير زائر خرج إليه وفتح جانب الباب وسلم عليه
وصافحه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وإذا جاءه أحد ممن ليس من زمرة
الفقراء خرج إليه وجلس معه فأنكر ذلك بعض الفقراء فبلغ الشيخ
إنكاره فقال الفقير رابطتنا معه رابطة باطنة وهو أهل ولبس عنده
أحسبه فنكتفي معه بموافقة القلوب ونقنع من ملاقاة الظاهر بهذا القدر

وأما من هو من جنس الفقراء فهو وإن منع العادات الظاهرة فيبقى له
بقية من الظاهر استوحش، وينبغي للمريد كلما أشكل عليه شيء من حال
الشيخ تذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل
أشياء ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره فما
ينكره المريد إنما هو لقلة علمه وللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة
قال بعض أصحاب الجنيد سألت مسألة من الجنيد فأجابني الجنيد فعارضته في
ذلك فقال الجنيد فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون، وقيل من قال لأستاذه لا
لا يفلح أبدا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوني ما تركتكم وإذا
حدثتكم فخذوا عني فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم، وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله صحبت أبا علي السندي
وكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا، ومن
آدابهم الظاهرة أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا وقت الصلاة
فإن المريد شأنه التبتل للخدمة وفي بسط السجادة إيماء إلى الاستراحة
والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التمييز
واستغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنفع له من
الإصغاء إلى السماع وأن لا يكتم الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما
يظهر له من كرامة وإجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله من حاله وما
يستحيي من كشفه يذكره إشارة تعريضا فإن المريد متى انطوى ضميره على شيء
لا يكشفه للشيخ تصريحا أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق

وبالقول للشيخ تنحل العقدة ويزول، وإذا وقعت له واقعة أطلعه عليها فإن
كانت من الله تعالى وافقه الشيخ وأمضاها له وإن كان فيها شبهة زالت
الشبهة بطريق الطريق ويكتسب المريد بذلك علما بتمييز الوقائع والكشوف
فالمريد لعله بجامع كمون إرادة النفس تشتبه عليه الواقعة بكون
الإرادة مناما كان أو يقظة وهذا أمر عجيب ولا يقوم المريد باستئصال
شأفة الكامن في النفس فإذا ذكر للشيخ فإن كان من الحق يتبرهن
بطريق الشيخ وإن كان من نزع الكمون هوى النفس تبين شناعته منه
ويحله الشيخ لقوة حاله وسعة أبوابه إلى جناب الحق، ومن الأدب أن لا يدخل
في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب
من غيره ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينعقد
القول لديه ولا يستفيد باطنه لتسرب حال الشيخ إليه فإن المريد كالأنثى
ينفرد الشيخ في المشيخة تثبت محبته والمحبة والتآلف هو الواسطة بين
المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة يكون سراية الحال، قال صلى الله
عليه وسلم من علم عبدا آية من كتاب الله تعالى فهو مولاه وينبغي له أن لا يخذله
ولا يستأثر عليه فمن فعل فقد نقض عروة من عرى الإسلام، ومن الأدب أن
يراعي خطرات الشيخ في جزئيات الأمور وكلياتها ولا يستصغر كراهة الشيخ
لبعض حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته،
ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان معه كلام في شيء من أمر دينه أو
دنياه لا يتعجل بالإقدام عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له

خلوا وان راه في الخلوة جليس مع الاصحاب فيكون جلوته في حمايه خلوته
وخلوته مزيد لجلوته ومن ادب الشيخ وحسن خلقه النزول عن حقه مما
يجب من التعظيم للمشايخ واستعمال التواضع وبسط المريد والرفق به
قال بعضهم اذا رايت الفقير الفقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق
يونسه والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا يدرج المريد بتركيته الى
الانتفاع بالعلم فيتعامل جنيد بصريح العلم ومن اداب الشيخ التعطف
على الاصحاب وقضا حقوقهم في الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على
صدق ارادتهم حكى عن الجريري انه قال وافيت من الحج فابتدات بالجنيد
وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم اتيت منزلي فلما صليت الغداه التفت
واذا الجنيد خلفي فقلت يا سيدي انما ابتدات بالسلام عليك لكي لا
تتعنى الى هاهنا فقال لي يا محمد هذا حقك وذاك فضلك ومن اداب
الشيخ اذا علم من بعض المريدين ضعفا في مراغمة النفس فيهرها مع صدق
العزيمة ان يرفق به ويوقفه على حد الرخصة وفي ذلك خير كثير وما دام
العبد لا يتعدى حريم الرخصة فهو على خير واذا خالط الفقرا وشب ويدرب
في لزوم الرخصة يدرج بالرفق الى اوطان العزيمة حكى ابو سعيد بن
الاعرابي ان شابا انقطع الى الصوفية وصحب ابا احمد القلانسي وكان لا ينبه
نعمة فكان الشيخ اذا وقع بيده شي من الدراهم اشترى له الرقاق والشوا
والحلوى ويقول اللهم اخرج من الدنيا رفقا فيعود النعم فيحب ان يرفق به
ومن اداب الشيخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بكل وجه

من الوجوه

من الوجوه لانه جا لله تعالى يجعل نفعه وارشاده خالصا لوجهه الا ان يظهر
له في شي من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى في تناول الرفق منه وصلاح يراه
للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة
تعود على المريد ما مونة العايله من جانب الشيخ قال تعالى يوتكم اجوركم
ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم معنى
فيحفكم اي يجهدكم ويلح عليكم قال سفيان علم الله تعالى ان في مسلة المال
اخراج الاضغان وهذا تاديب من الله الكريم والادب ادب الله عز وجل
قال جعفر الخلدي جاء رجل الى الجنيد رضي الله عنه واراد ان يخرج من
ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد رضي الله عنه امسك منه بقدر
ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد في طلب الحلال
قال لست امن عليك ان تطالبك نفسك وقد يكون الشيخ يعلم
من حال المريد انه اذا خرج عن الشي اكتسبه من الحال ما لا يتطلع معه الى
المال فالجنيد يجوز له ان يفسح للمريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وقبل منه جميع ماله ومن ادب
الشيخ اذا راى من بعض المريدين مكروها او علم من حاله اعوجاجا او احس
منه بدعوى او راى ان العجب داخله ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على
الاصحاب ويشير الى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا
فيحصل بذلك الفايده للكل فهذا اقرب الى المداراة واكثر اثرا في تالف القلوب
واذا راى من المريد تقصيرا في خدمة ندب اليها حمل تقصيره وعفا عنه ورخصه

على الخدمة بالرفق واللين. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة. وأخلاق المشايخ
مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس بإحياء
سنته في كل أمر وأدب. ومن أهم الآداب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون
به ويمنحون من أنواع المنح وسر المريد أن لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحضر
الشيخ في تفتيش المريد ما يجده في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو رؤية شيء
من خوارق العادات ويعرفه أن الوقوف مع شيء من ذلك يشغل عن الله
تعالى ويسد باب المزيد بل يعرفه أن هذه نعمة تستشكر ومن ورائها نعم لا تحصى
ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه
وعند شيخه ولا يذيع سره فإذاعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر
الموجب لإذاعة السر وصف النساء وضعفاء العقول من الرجال بل يجتهد أن
يحفظ سره من زره فيبقى ذلك صحته وسلامته.

حقيقة الصحبة

الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المقتضي للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو إليها أعم الأوصاف تارة
وأخصها أخرى فالأول كتشاكل جنس البشر بعضهم إلى بعض والثاني كتشاكل
أهل كل ملة بعضهم إلى بعض وأخص من ذلك كتشاكل أهل الطاعة أو المعصية
بعضهم إلى بعض وإذا علم هذا الأصل فليتفقد الإنسان نفسه عند الميل
إلى صحبة شخص وينظر ما الذي جذبه إلى صحبته ويزن حال من يميل إليه
بميزان الشرع فإن رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال

تدعون

فقد جعله الله مرآته يلوح له في مرآة أخيه جمال حسن الحال وإن رأى أفعاله
غير مسددة فيرجع إلى نفسه بالملامة والاتهام فقد لاح له في مرآة أخيه
سوء حاله فيجبر أن يغير منه ما ارتسم من الاستعداد بالوصف إذ الاصطحاب
يزداد ظلمة واعوجاجا. واعلم أن الميل بالوصف الأعم مركوز في الجبلة
فيصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية
لا يفرق بينها وبين خلوص الصحبة لله تعالى إلا العلماء الزاهدون وقد يفتتن
المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما يفتتن بأهل الفساد ووجه ذلك
أن أهل الفساد على ينتاد طرائقهم فيأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم
فمال إليهم لجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية
حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله تعالى فاكتسب من طريقهم الفتور
في الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ولهذا
المعنى أنكر طائفة من المشايخ الصحبة ورأوا فضيلة العزلة والوحدة كإبراهيم
ابن أدهم وفضيل بن عياض وسليمان الخواص رضي الله عنهم وحكي عنه أنه
قيل له ألا تلقى إبراهيم بن أدهم فتلقاه قال لأن ألقى سبعا ضاريا أحب إلي من
أن ألقى إبراهيم بن أدهم قيل لم قال لأني إذا رأيته أحسنت له كلامي وتظهر نفسي
بإظهار الحسن من أحوالي فيدخل في ذلك الفتنة وهذا الكلام عالم بالنفس وأخلاقها
وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم
يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر
يفر بدينه عن الفتن. قال تعالى عن خليله عليه السلام وأعتزلكم وما

تدعون من دون الله وادعوا ربي استظهر بالعزلة على قومه. فضل العزلة
سرعان تربيضه وتحصيله فالفريضة العزلة عن الشر واهله والفضيلة
العزلة عن الفضول واهله. ويجوز ان يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من
الاغيار والعزلة من النفس وما تدعوا اليه ويشغل عن الله تعالى فالخلوة
كثير الوجود والعزلة قليلة الوجود. قال ابو بكر الوراق رحمه الله ما
ظهرت الفتنة الا بالخلطة من لدن ادم الى يومنا هذا وما سلم الا من جانب
الخلطة. وقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه السلامة عشرة اجزاء تسعة
في الصمت وواحد في ترك مجالسة السفهاء. وفضل الخلوة اصل والخلطة
عارض فليلزم الاصل ولا يخالط الا قدر الحاجة فاذا خالط لزم الصمت فانه
اصل والكلام عارض فليقل من الاصل ولا يتكلم الا لحاجة فخطر الصحبة كثير يحتاج
الى مزيد علم والاخبار والاثار في التحذير من الخلطة والصحبة كثيرة
واجمعها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه
من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي
يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم اذا لم تنل المعيشة
الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا كيف
ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال صلى الله عليه وسلم انه اذا كان
ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى
يدي زوجته وولده فان لم يكن له زوجة وولد فعلى يدي قرابته قالوا كيف

ذلك يا رسول الله

ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف
ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة. وقد رغب جمع من السلف في الصحبة
والاخوة في الله تعالى وراوا ان الله تعالى من على اهل الايمان حيث جعلهم
اخوانا فقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا. وقال عز وجل هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم. وممن اختار ذلك سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك
وغيرهما رضي الله عنهما. وفائدة الصحبة ان الانسان يستعين بها على الحوادث
والعوارض قيل اعلم الناس بالآفات اكثرهم آفاتا ويتصل الباطن بمزيد العلم
ويتمكن الصدق بطروق الآفات ثم التخلص منها بالايمان وينفع لطريق الصحبة
والاخوة التعاضد والتعاون على البر والتقوى ويتقوى جنود القلب ويتفق
في التوجه ويصير مثالها في التشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام
واذا افردت قصرت عن بلوغ المرام. قال صلى الله عليه وسلم المرء كثير
باخيه. وقال عمر رضي الله عنه اذا راى احدكم ودا من اخيه فليتمسك
به فقلما يصيب ذلك. وقال القائل شعر

واذا صفا لك من زمانك واحد . فهو المراد وابن ذاك الواحد .

واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا قال الهي
قليت الخلق من اجلك فاوحى الله تعالى اليه يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك
اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسي قلبك
ويباعدك مني. وفي الخبر ان احبكم الى الله تعالى الذين يالفون ويؤلفون

والمؤمنين بعض الفتن. وعن عمر رضي الله عنه قال لو ان رجلا صام النهار وقام الليل
وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض في الله ما نفعه ذلك. قال علي
ابن سهل رضي الله عنه الانس بالله ان تستوحش من الخلق الا من اهل ولاية
الله تعالى فان الانس باهل ولاية الله تعالى هو الانس بالله عز وجل وقد نبه
القايل نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة بقوله.

وحدة للانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في اداء حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى

في اداء حقوق الصحبة

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى. وقال عز وجل وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة. وقال جل وعلا في وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء
على الكفار رحماء بينهم كل هذا تنبيه من الله تعالى على اداء حق الصحبة فمن
اختار صحبة او اخوة فاديه في اول ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعالى
بالمسألة والدعاء والتضرع ويسال البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه
اما بابا من ابواب الجنة واما بابا من ابواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما
خيرا فهو باب من ابواب الجنة. قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين. وقيل ان احد الاخوين في الله عز وجل يقال له ادخل الجنة
فيسال عن منزل اخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى اخوه مثل منزله
فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي وله فيعطى
جميع ما يسال لاخيه ويرفع اخوه الى درجته وان فتح الله عليهما بالصحبة شرا

فهو باب

فهو باب من ابواب النار. قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وان كانت
الاية وردت في قصة مشهورة الا ان لله تعالى تنبيه في ذلك لعباده
على الحذر من كل خليل يقطع عن الله تعالى واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا
من غير نية في ذلك وتثبت في اوله شان اهل الغفلة الجاهلين بالنيات
والمقاصد والنتائج. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في كلام له وقل
يفسد الناس الا الناس فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح متوقع
وما هذا سبيله كيف لا يحذر في اوله ويحكم الرعاية بكثرة اللجا الى
الله تعالى وصدق الافتقار وسؤال البركة والخيرة في ذلك وتقديم
صلاة الاستخارة من اختيار الصحبة والاخوة وكل عمل يحتاج الى نية.
وقال صلى الله عليه وسلم في خبر طويل سبعة يظلهم الله تعالى في ظله
يوم لا ظل الا ظله ومنهم اثنان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وماتا عليه.
وفي هذا اشارة الى ان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى
يكتب لهما ثواب المواخاة ومتى افسد المواخاة بتضييع الحقوق فسد
العمل من اوله. قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده
متواخيين في الله تعالى متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث خيله على
افساد ما بينهما. كان الفضيل رضي الله عنه يقول اذا وقعت الفترة
ارتفعت الاخوة ومتى ظهر احدهما للاخر سوءا او كره منه شيئا لم ينبهه
عليه حتى يزيله او يتسبب الى ازالته فقد ضيع من حقه. قال ابو سعيد

الخراز رحمة الله عليه صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف
فقيل وكيف ذاك قال لاني كنت معهم على نفسي، وعن ابي عبد الله رحمه الله
وقد ساله رجل على اي شرط اصحب الخلق فقال ان لم تبرهم فلا تؤذهم
وان لم تسرهم فلا تسؤهم، ومن حق الصحبة انه اذا حصل فرقة ومباينة
فلا يذكر اخاه الا بخير واذا وجد من احدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه
ام لا اختلف في ذلك، كان ابو ذر رضي الله عنه يقول اذا انقلب عما كان
عليه ابغضه من حيث احببته، وقال غيره لا تبغض الاخ بعد الصحبة
ولكن يبغض عمله، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فان عصوك فقل
اني بري مما تعملون ولم يقل بري منكم، وقيل كان شاب يلازم مجلس
ابي الدرداء رضي الله عنه وكان ابو الدرداء يميزه على غيره فابتلي الشاب بكبيرة
وانتهى على ذلك الى ابي الدرداء رضي الله عنه فقيل له لو ابعدته وهجرته فقال
سبحان الله لا يترك الصاحب بشي كان منه، وقيل الصداقة لحمة كلحمة
النسب وهذا اذا كان تغيره بعثرة او هفوة فلا ينبغي ان يبغض
لكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظر اله الفرج
والعود الى اوطان الصلاح اما ان كان تغيره بالرجوع عن الله تعالى وظهور
حكم السابقة فيه فيجب بغضه وموافقة الحق فيه، وقال ابراهيم
النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه
غدا، وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته، وروي عن
عمر رضي الله عنه انه سال عن اخ كان اخاه وخرج الى الشام فسال عنه بعض

من قدم

من قدم عليه فقال له ما فعل اخي فقال له ذاك اخو الشيطان قال له مه قال
انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال فاذا اردت الخروج فاذني قال فكتب
اليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب، ثم عاتبه وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله عز وجل
ونصح عمر رضي الله عنه فتاب ورجع، وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى ان عمر رضي الله عنه يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يا رسول الله
احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال يا عبد الله اذا احببت احدا فسأله
عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا
اعنته، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا
من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافاته في الدنيا، وكان سعيد بن
العاص رضي الله عنه يقول لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث
اقبلت عليه واذا جلس وسعت له، ويجب خلوص المحبة لله تعالى
بان لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق واحسان فان ما كان معلولا
يزول بزوال علته، ومن شرط الحب في الله تعالى ايثار الاخ بكل ما يقدر عليه
من الدين والدنيا قال تعالى يحبون من هاجر اليهم الاية، وهذان الوصفان
بهما يكمل صفو الصحبة احدهما اسقاط الحشمة على شي من امر الدين والدنيا
والثاني الايثار بالقدرة، وفي الخبر المرء على دين خليله ولا خير لك في
صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه، وقال ابو معوية الاسود
اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذاك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن

اداب الصحبه

فضلني على نفسه فهو خير مني ولبعضهم
تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل على الاصدقاء يرى الفضل له

الباب الخامس والخمسون في اداب الصحبة والاخوة

سئل ابو حفص عن ادب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ
وحسن العشرة مع الاخوان والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس
في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في امر الدين والدنيا
ومن ادبهم التغافل عن زلل الاخوان والنصح فيما تجب النصيحة فيه وكتم
عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلمه منه قال عمر رضي الله عنه
رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي قال جعفر بن برقان قال لي ميمون
ابن مهران قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له
في وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح
قال تعالى ولكن لا تحبون الناصحين والنصيحة ما كانت في السر ومن
ادبهم القيام بخدمة الاخوان واحتمال الاذى منهم روي ان عمر رضي الله عنه
امر بقلع ميزاب كان في دار العباس رضي الله عنه الى الطريق بين الصفا
والمروة فقال له العباس رضي الله عنه قلعت ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضعه بيده فقال اذا لا يرده الى مكانه غير يدك ولا يكون
لك سلم الا عاتق عمر فاقامه على عاتقه ورده الى موضعه ومن ادبهم
ان لا يرى احدهم لنفسه ملكا يختص به وكان من اخلاق السلف رضي الله عنهم

ان من احتاج الى شيء من مال اخيه استعمله من غير مؤامرة قال تعالى وامرهم
شورى بينهم اي مشاع فهم فيه سواء قال ابو احمد القلانسي دخلت على
قوم من الفقراء يوما بالبصرة فبجلوني واكرموني فقلت يوما لبعضهم اين
ازاري فسقطت من اعينهم ومن ادبهم انهم اذا اشتبه لهم احوال اصحابهم يتهمون
انفسهم ويتسببون الى ازالة ذلك من بواطنهم قال ابو بكر الكتاني
صحبني رجل وكان مثقلا على قلبي فوهبت له شيئا بنية ان يزول ثقله عن قلبي
فلم يزل فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد
ان تفعل ففعل فزال ما كنت اجده في باطني ومن ادبهم تفقدهم من يرون
فضله والتوسعة له في المجالس روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا في صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا فاقام
صلى الله عليه وسلم من لم يكن من اهل بدر واجلسهم مكانهم فاشتد ذلك
عليهم فنزل واذا قيل انشزوا فانشزوا الاية وحكي ان علي بن بندار ورد
على ابي عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا فقال له ابو عبد الله تقدم قال
باي عذر قال لانك لقيت الجنيد وما لقيته ومن ادبهم ترك صحبة من
همه شيء من فضول الدنيا قال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ومن ادبهم بذل الانصاف للاخوان وترك المطالبة
بالانصاف قال ابو عثمان الحيري حق الصحبة ان توسع على اخيك
بمالك ولا تطمع في ماله وتنصفه من نفسك ولا تطالبه بالانصاف وتكون
تبعا له ولا تطمع ان يكون تبعا لك وتستكثر ما يصل اليك منه وتستقل

ما يصل اليه منك، ومن ادبهم لين الجانب وترك ظهور النفس بالصوله
قال ابو علي الروذباري الصوله علي من دونك تجبر وعلي مثلك سوء
ادب وعلي من فوقك عجز، ومن ادبهم ان لا يجري علي كلامهم لو كان كذا لم
يكن كذا وليت كان كذا او عسى ان يكون كذا، ومن ادبهم في الصحبه
حذر المفارقه والحرص علي الملازمه، ومن ادبهم التعطف علي الاصاغر
قيل كان ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه يعمل في الحصاد ويطعم الاصحاب
وكانوا يجتمعون لفطورهم ليلا فربما تاخر في بعض الايام في العمل فقالوا
ليلة تعالوا ناكل ونذهب لعله ان يعود يسرع فافطروا وناموا فرجع
ابرهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الي
شي من دقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ النار واضعا محاسنه علي التراب ٥٢
فقالوا له في ذلك فقال لعلكم لم تجدوا شيئا فنمتم فقالوا انظروا باي شي
عاملناه وباي شي يعاملنا، ومن ادبهم ان لا يقولوا عند الدعا الي اين ولم
وباي سبب، قال بعضهم اذا قال الرجل لصاحبه قم بنا فقال الي اين فلا تصحبه
ومن ادبهم ان لا يتكلفوا للاخوان فان من الفتوه ترك التكلف واحضار
ما حضر فان بالتكلف ربما يوثر مفارقة الضيف ويتبرم بمقامه
وذهابه، ومن ادبهم المداراه وترك المداهنه وتشتبه المداراة بالمداهنه
والفرق بينهما ما اردت به صلاح اخيك فداريته لرجا صلاحه واحتملت منه
ما يكره بنية ذلك والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ
واقتنا جاه، ومن ادبهم رعايه الاعتدال بين الانقباض والانبساط

اليهم

اليهم بحلمه لقرناء السوء ويكن بين المنقبض والمنبسط، ومن ادبهم ستر
عورات الاحوال، قال عيسى عليه السلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رايتم
اخاكم نايما فكشفت الريح ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون
عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال احدكم يسمع في اخيه بالكلمة
فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها، ومن ادبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب
والاهتمام بهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم حكي ان اخوين ابتلي احدهما
بهوى واظهر عليه اخاه فقال اني اعتللت بهوى فان شئت ان لا تعقد
علي محبتي لله تعالى فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخائك لاجل خطيئتك
وعقد بينه وبين الله عقدا ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من
هواه فيقول ما زال فبعد الاربعين اخبره ان الهوى قد زال فاكل وشرب،
ومن ادابهم ان لا يحوجوا اصحابهم الي المداراه ولا يلجيوه الي الاعتذار ولا
يكلفوا الصاحب ما يشق عليه بل يكونوا من حيث مراده ويوثروا علي مراد
انفسهم، قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه شر الاصدقا
من احوجك الي مداراة او الجاك الي اعتذار او تكلفت له، وقال جعفر
الصادق رضي الله عنه اثقل اخواني من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم علي قلبي
من اكون معه كما اكون وحدي، واداب الصحبة كثيرة والحكايات
في معناها كثيرة، وقد اورد الشيخ ابو طالب المكي في كتابه القوت منها
كل شي حسن وحاصلها ان العبد ينبغي ان يكون لمولاه ويريد كل ما يريد لمولاه
لا لنفسه فاذا صاحب فلا يصاحب الا الله ومن قام بحقوق الله تعالى رزقه

الله على عيوب النفس وعرفه محاسن الاداب ويوقفه من اداء الحقوق
على بصيرة ويفقهه في ذلك حتى لا يعزب عنه شي مما يحتاج اليه مما يرجع الى
حقوق الحق او حقوق الخلق

الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية

معرفة الانسان نفسه

٥٦

قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه
خلقا اخر قيل هو نفخ الروح فيه وقوله في قرار مكين اي حرز مكين لاستقرارها
فيه الى بلوغ امدها وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم يجمع خلقه في بطن
امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم
يبعث الله تعالى اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام
سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخل النار والكلام في الروح صعب المرام والامساك
عن ذلك سبيل ذوي الاحلام وقد عظم الله تعالى شان الروح على الخلق
بقلة العلم فقال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا والنبي صلى الله عليه وسلم
لما سالته اليهود عنها امسك عن الجواب وهو ينبوع الحكم حتى نزلت عليه
الاية فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة اليه والعقل رحمه الله تعالى
يهدي به قوما ويضل به اخرين وقوم متمسكون بالشرايع تكلموا في الروح
بطريق الاستدلال والنظر وبطريق الذوق والوجد لا الفكر حتى تكلم في ذلك

مشايخ

١٣٥

مشايخ الصوفية وكان الاولى الامساك عن ذلك والتادب بادب النبي صلى الله عليه وسلم
قال الجنيد رحمه الله الروح شي استاثر الله تعالى بعلمه فلا تجوز العبارة
عنه باكثر من موجود ولكن يجعل للصادقين مجالا لاقوالهم فيها ولعل كلامهم
جرى مجرى التاويل لكلام الله تعالى وهو ذكر ما تحتمل الاية من المعنى من
غير تقطع بذلك ولهذا كان التاويل مباحا والتفسير ممتنع الا النقل
قال ابو عبد الله النباجي الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس
ولا يعبر عنه باكثر من موجود فهو وان منع العبارة عنه فقد حكم بانه جسم
فكانه عبر عنه وقال ابن عطا خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد لقوله
تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقناكم ارواحا ثم صورناكم اي اجسادا
وقال بعضهم الروح لطيف قايم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قايم
في كثيف والالفاظ فيه كثيرة ومنها ما يدل على ان قايله يعتقد قدم
الروح ومنها ما يدل على ان قايله يعتقد حدوثه ثم ان الناس اختلفوا
في الروح الذي سيل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبريل ونقل
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هو ملك من الملايكة له سبعون
الف وجه ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون
الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك
يطير مع الملايكة الى يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنهما الروح
خلق من خلق الله تعالى صورهم على صور بني ادم وما نزل من السما ملك الا
ومعه واحد من الروح وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا

اعظم من الروح غير العرش ولو شا ان يبلع السموات والارضين في لقمه
لفعل صورة خلقه على صورة الملايكه وصورة وجهه على صورة الادميين
يقوم يوم القيامه عن يمين العرش والملايكه معه في صف واحد وهو
ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملايكة ستر من نور لاحترق
اهل السموات من نوره فهذه الاثار ولا تكون الا نقلا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى هذا القول يتنوع القول في الروح التي في الجسد
لانه غير المراد في الايه وقال بعضهم الروح لطيفه تسترى من الله تعالى
الى ما طمس معرفته لا يعبر عنه باكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم
الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن اي شي
خرج قال من بين جلاله وجماله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشاره حصها
بسلامه وحياها بكلامه فهي معتقه من ذل كن وسيل ابو سعيد
الخراز عن الروح المخلوقه هي قال نعم ولولا ذلك ما اقر بالربوبيه حيث
قالت بلى والروح هي التي قام بها البدن واستحق بها اسم الحياه وبالروح ثبت
العقل وبالروح قامت الحجة ولو لم تكن الروح كان العقل معطلا لا حجة
عليه ولا له وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها الطف المخلوقات واصفا
الجواهر وانورها وبها ترى الغيبات وبها يكون الكشف لاهل الحقايق
واذا حجبت الروح عن مراعاة السر اساءت الجوارح الادب وقال سلمان
ارواح المومنين تذهب في برزخ من الارض حيث شاءت بين السما والارض
حتى ترد الى جسدها وقيل اذا ورد على الارواح ميت من الاحيا التقوا

وتحدثوا

وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله تعالى بها ملايكة تعرض عليها اعمال الاحيا حتى
اذا عرض على الاموات ما يعاقب به الاحيا في الدنيا من اجل الذنوب كان
عذر الله ظاهرا عند الاموات فانه لا احد احب اليه العذر من الله عز وجل
وقد ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تعرض الاعمال يوم الخميس ويوم
الاثنين على الله عز وجل وتعرض على الانبيا والابا والامهات يوم الجمعه
فيفرحون بحسناتهم ويزداد وجوههم بياضا فاتقوا الله ولا تؤذوا امواتكم
وفي خبر اخر ان اعمالكم تعرض على عشايركم واقاربكم من الموتى فان كان
حسنا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم
كما هديتنا وهذه الاقوال والاخبار تدل على انها اعيان في الجسد وليست
بمعان واعراض وسيل الواسطي لاي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احكم الخلق قال لانه خلق روحه اولا فوقع له صحة التمكين والاستقرار
الا تراه صلى الله عليه وسلم يقول كنت نبيا وادم بين الروح والجسد اي لم
يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وابليس
خلق من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار ولم يدر ان النور خير من النار
وقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي بلطافتها تنموا بالعلم كما
ينموا البدن بالغذا وهذا في علم الله تعالى لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك
والمختار عند اكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية والحيوانية عرضان خلقا
في الانسان والموت يعدمهما وان الروح هي الحياة بعينها يصير البدن بوجودها
حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام الى انه جسم لطيف اشتبك بالاجسام

الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر واختار ابو المعالي الجويني وكثير
منهم مال الى انه عرض لا انه يرد عليهم الاخبار الدالة على انه جسم لما ورد فيه
من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف باوصاف دل على انه
جسم لان العرض لا يوصف اذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واشير
على انه عرض سئل ابن عباس رضي الله عنهما اين تذهب الارواح عند
مفارقة الابدان فقال اين يذهب ضوء المصباح عند فناء الدهن قيل له اين
تذهب الجسوم اذا بليت قال اين يذهب لحمها اذا مرضت وقال بعضهم
الروح اذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية فتكون مطالعة للمعاني
المحسوسات فهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متصورة جميع
ما كانت تعقل حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال
بعضهم اسلم المقالات ان يقال الروح شيء مخلوق اجرى الله العادة ان يحيي
البدن ما دام متصلا به وانه اشرف من الجسم يذوق الموت بمفارقة
الجسم كما ان الجسم يذوق الموت بمفارقته اما الكيفية والماهية
فالعقل تتعاشى فيهما كما يتعاشى البصر في شعاع الشمس وقال اكثر
المتكلمون ان الموجود ينحصر في ثلاثة جسم وجوهر وعرض فاختار قوم
انه عرض وقوم انه جسم وقوم انه جوهر لا يعدم وقوم انه قديم لانه امر
والامر كلام والكلام قديم فالاحسن الامساك عن القول في هذا وامثاله
وكلام الشيخ ابو طالب المكي في كتابه يدل على ميله الى ان الروح عين في الجسد
وهكذا النفس لانه يذكر انها تتحرك ومن حركتها يظهر نور في القلب يراه

الملك

الملك فيلهم الخير عند ذلك وان النفس تتحرك ومن حركتها يظهر ظلمة في القلب
فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء قال الشيخ وميلي في ذلك الى
السكوت لكني اقول شيئا ظهر لي على معنى ما ذكرت من الاثار ولا اقطع
الروح الانساني العلوي السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري
من عالم الخلق والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده والروح
الحيواني جسماني لطيف حامل لقوة الحس والحركة وينبعث من القلب
اعني بالقلب هنا المضغة المعروفة المودعة في الجانب الايسر من الجسد
وينتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه بما اجرى الله تعالى به عادته
من الغذاء غالبا ولورود الروح الانساني العلوي على هذا الروح تجنس
الروح الحيواني وباين ارواح الحيوانات واكتسب صفة اخرى فصار
نفسا محلا للنطق والالهام قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها من جنس
ارواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوي
في عالم الامر كتكوين حواء من ادم في عالم الخلق وصار بينهما من التالف
والتعاشق كما بين ادم وحواء وكان كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة
صاحبه قال تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن ادم الى حواء
وسكن الروح الانساني العلوي الى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون
من سكون الروح الى النفس القلب واعني بهذا القلب اللطيفة التي محلها



المضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة عالم الامر فكان تكون القلب
من الروح والنفس في عالم الامر كتكون الذرية من ادم وحوى في عالم
الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين احدهما النفس ما يكون
القلب في القلوب منطلع الى الاب الذي هو الروح العلوي ميال اليه
وهو القلب الوحيد الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى
حذيفة رضي الله عنه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على
غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان
فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها والقلب المنكوس
ميال الى الام التي هي النفس الامارة بالسوء ومن القلوب ما لانه مترددة
في ميله اليهما وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة
والعقل جوهر الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب
الوحيد والنفس الزكية المطمئنة تدبير الوالد للولد البار والزوجة المتبعة
منكر من وجه ومنجذب الى تدبيرهما من وجه اذ لا بد له منهما ويقول
القائلين واختلافهم في محل العقل فمن قائل ان محله الدماغ ومن قائل
محله القلب كلام قاصر عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم
استقرار العقل على نسق واحد واتخاذه الى البار تارة والى العاق اخرى
وللقلب والدماغ فنسبته الى البار والعاق فاذا روي في تدبير العاق قيل

مستكنه

مستكنه الدماغ واذا روى في تدبير البار قيل مستكنه القلب قال الروح
العلوي يهم بالارتقاء الى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الاكوان ومن الاكوان
القلب والنفس فاذا ارتقى الروح حن القلب اليه حنو الولد البار الى الوالد
ويحن النفس الى القلب الذي هو الولد حنين الوالدة الحنينة الى ولدها
فاذا احتنا ارتفعت من الارض وزهدت في الدنيا وتجافت عن دار الغرور
واناب الى دار الخلود وقد تخلد النفس التي هي الام الى الارض بموضعها الجبلي
لتكونها من الروح الحيواني المجنس قال تعالى ولكنه اخلد الى
الارض واتبع هواه فاذا استكنت النفس التي هي الام الى الارض انجذب
اليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميال الى الوالدة المعوجة الناقصة
دون الوالد الكامل المستقيم وينجذب الروح الى الولد الذي هو القلب
لما جبل عليه الوالد من الانجذاب الى ولده فعند ذلك يتخلف عن القيام
بحق مولاه وفي هذين الانجذابين تظهر حكم السعادة والشقاوة
ذلك تقدير العزيز العليم وقد ورد في اخبار داود عليه السلام انه قال
لابنه سليمان اين موضع العقل منك قال القلب لانه قالب الروح والروح
قالب الحياة وقال بعضهم الروح نسيم طيب تكون به الحياة والنفس
روح حار تكون منها الحركات والشهوات ويقال علما نحار الراسخين في
الفصل الذي ذكرناه يقع التنبيه على ماهية النفس واشارات المشايخ
الى ماهية النفس الى ما يظهر من اثارها من الافعال والاخلاق المذمومة
وهي التي تعالج بحسن الرياضة ازالتها وتبديلها فالافعال الرديه تزول

والاخلاق تبدل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قد افلح من زكاها وقف
ثم قال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها
وجميع اخلاق النفس وصفاتها من اصلين الطيش والشره فطيشها
من جهلها وشرهها من حرصها وشبهت النفس في طيشها بالكرة المستديرة
على مكان املس مصوب لا تزال متحركة بجبلتها ووضعها وشبهت في
حرصها بالفراش الذي يلقي نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء دون
الهجوم على جرم الضوء الذي فيه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة وقلة
الصبر والصبر جوهر العقل ولا يدفع هوى النفس غيره ومن الشره يظهر
الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا في ادم عليه السلام طمع في الخلود فحرص
على اكل الشجرة وصفات النفس لها اصول من اصل تكونها لانها مخلوقة
من تراب ولها بحسبه وصف يليق ووصف الضعف في الادمي من التراب
ووصف البخل من الطين ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون ووصف
الجهل فيه من الصلصال وقيل في قوله كالفخار هذا الوصف فيه شيء من
الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن
عرف اصل النفس وجبلاتها عرف انه لا قدرة له عليها الا بالاستعانة ببارئها
وفاطرها فلا يتحقق العصم الا بالاستعانة فيه لا يبعد ان يبرد دواعي الهوى فيه
بالعلم والعدل وهو رعاية الوسط في الافراط والتفريط ثم بذلك تقوى انسانيته
ومعناه وتدرك صفات الشيطنة فيه والاخلاق المذمومة وكان
انتهى نكتة مقتضاه ان لا يرضى لنفسه بذلك ثم تنكشف له الاخلاق

التي تنازع

التي تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وعند ذلك
فيرى ان العبودية في ترك منازعة الربوبية والله تعالى وصف النفس
في كتابه بالمطمئنة واللوامة والامارة بالسوء وهي نفس واحدة واثبت
تغاير صفاتها فاذا امتلأ القلب سكينة خلع على النفس خلع الطمأنينة لان
السكينة مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب الى مقام الروح لما منح من
مقام اليقين وعند توجه القلب الى محل الروح تتوجه النفس الى محل القلب
وفي ذلك طمأنينتها واذا انزعجت عن مقام جبلتها ودواعي طبيعتها متطلعة
الى مقام الطمأنينة فهي لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها الى
محل الطمأنينة ثم بانجذابها الى محلها التي كانت فيه تكون امارة بالسوء
واذا اقامت في محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهي على طلبها امارة
بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعي الروح
وتارة يملكه دواعي النفس واما السر فقد اشار القوم اليه ووجد
في كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله
بعد الروح واعلا منه والطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة
والقلب محل المعرفة والسر الذي وقع اشارة القوم اليه غير مذكور في
كلام الله تعالى انما المذكور الروح والنفس وصفاتها والقلب والفؤاد والعقل
وحيث لم يجده في كلام الله تعالى ووجد القوم ذكروه واختلفوا فيه فنقول
والله اعلم الذي تنوع بعد البشر هو شيء مستقل بنفسه كالروح والنفس
وانما لما صفت النفس وتزكت انطلقت الروح من وثاق ظلمة النفس

فاخذت في العروج الى اوطان القرب وانشرح القلب حينئذ من مستقره متطلعا
الى الروح فاكتسب وصفا زايدا على وصفه فاستنعم على الواحد من ذلك
الوصف حيث راه اصفا من القلب تسموه سرا والذي زعموا انه الطف
من الروح اي روح متصفة بوصف اخص مما عهدوه والذي سموه قبل الروح
سرا هو قلب اتصف بوصف زايد على ما عهدوه واما العقل فهو لسان
الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة
اللسان وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله تعالى
العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له
انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال له وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي
وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقا احب الي منك ولا اكرم علي منك بك
اعرف وبك احمد وبك اطاع وبك اخذ وبك اعطي واياك اعاتب
ولك الثواب وعليك العقاب وما اكرمتك بشي افضل من الصبر
وسالت عايشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم باي شي
يتفاضلون الناس قال صلى الله عليه وسلم بالعقل في الدنيا والاخرة
قالت رضي الله عنها قلت اليس يجزى الناس باعمالهم قال صلى الله عليه وسلم
يا عايشة وهل يعمل بطاعة الله تعالى الا من له عقل فبقدر عقولهم
يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون وقال صلى الله عليه وسلم ان
الرجل لينطلق الى المسجد فيصلي وصلاته لا تعدل جناح بعوضة وان
الرجل لياتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل احد اذا كان احسنهما عقلا

قيل وكيف

قيل وكيف يكون احسنهما قال اورعهما عن محارم الله تعالى واحرصهم على
اسباب الخير وان كان دونه في العمل والتطوع وروي عن وهب بن منبه انه قال
اجد في سبعين كتابا ان جميع ما اعطي الناس من بدو الدنيا الى انقطاعها
من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كحبة رملة تحت
من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام فيه
يكثر وليس يتعلق ذلك من غرضنا وقال قوم العقل من العلوم لانه لا يوصف
الخالي من جميع العلوم بالعقل وليس العقل جميع العلوم فان الخالي عن
معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس هو من العلوم النظرية فان من
شرط النظر تقدم العقل فهو اذا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب
الحواس المختلة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية ومنهم
من انكر ذلك ونقل عن المحاسبي وهو من اجل المشايخ انه قال العقل
غريزة يتهيا بها درك العلوم وعلى هذا استقر ما ذكرناه فتعلم انه لسان
الروح لان الروح من امر الله تعالى وهي المتحملة للامانة التي ابت
السموات والارض ان يحملنها فتفيض نور العلم وفي نور العقل تتشكل
العلوم فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس
متطلع الى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فحركات العقل فيه
منكوسا الى النفس تفرقه في اجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال
بل يكون اخطا طريق الاهتدا ومنتصب فيه واستقامة قائم العقل
بالبصيرة التي هي الروح بمثابة القلب والمهتدي الى الكون ثم عرف

الكون بالمكون مستوفيا اقسام المعرفة وهذا عقل الهداية فكلما احب
الله انباله على امر دله على استقباله وما كره الله دله على اجتنابه فهو
يتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه فيقال فاسمى العقل عقلا
لانه عقال للجهل فان الجهل ظلمة فاذا غلب النور زالت وابصر فصار عقلا لا
له وقال بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به امر دنياه وضرب يبصر به
امر اخرته وذكر ان الاول من نور الروح والثاني من نور الهداية فالاول
موجود في عامة بني ادم والثاني مفقود في المشركين والذي ذكرناه من
ان العقل شان الروح ليس على ضربين بل واحد ولكنه اذا انتصب واستعمل
نابه بالبصيرة واعتدل وضع الاشيا مواضعها وهذا العقل هو المستضي
بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداه الى الاستضا بنور الشرع لكونه
الشرع ورد على النبي المرسل وذلك لعزب روحه من الحضرة الالهيه ومكاشفة
بصيرته بقدرة الله تعالى واياته واستقامة عقله بنور البصيره
فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي يضيق بها نطاق
العقل لانها تستمد من كلمات الله تعالى التي ينفد البحر دون نفادها والعقل
ترجمان يؤدي البصيرة التي هي للروح كالقلب اليه من ذلك كما يؤدي القلب
الى اللسان بعض ما فيه ويستاثر بعضه عن اللسان وقال قوم ان
عقل الهداية مسكنه القلب ومعلمه الصدر من عين الفواد والعقل الاخر
مسكنه الدماغ ومعلمه الصدر من عين الفواد فبالاول يبصر امر الاخرة
وبالثاني امر الدنيا والذي ذكرناه عقل واحد اذا ايد بالبصيرة دبر الامرين

واذا انفرد

واذا انفرد دبر امرا واحدا وهو اوضح وابين وقد ذكرنا في اول الباب في تدبير
النفس المطمئنة والامارة ما يتنبه به الانسان على كونه عقلا واحدا
مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله اعلم

معرفة الخواطر

الباب التاسع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله تعالى ومن وجد الاخرى فليتعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ثم قرا صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشا وانما يتطلع الى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر
طالب مريد مراد بالخلوة واكثر التشوف الى ذلك للمقربين ومن اخذ
نحو طريقهم ومن اخذ في طريق الابرار قد يتشوف الى ذلك بعض التشوف
لان التشوف الى ذلك يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والخطاب من
الله الكريم ومن في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطلع الى معرفة
اللمتين وربما يهمه تمييز الخواطر ومن الخواطر ما يجيء يرسل الله تعالى الى العبد
كما قال بعضهم في قلبي ان عصيته عصيت الله وهذا حال عبد استقام
قلبه واستقام مع القلب طمانينة النفس وفي طمانينتها بيان الشيطان
لان النفس كلما خرجت كدرت صفو القلب واذا انكدر القلب طمع الشيطان
فيه وقرب منه لان صفا القلب محفوف بالذكر والذكر نور يتقيه الشيطان

كما يتقي أحدنا النار وقد ورد في الخبر إن للشيطان خاتم على قلب ابن آدم
فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه. وقال
تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين. وقال
عز وجل إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الآية.
فالتقوى يفتح باب الذكر ويوجد خالصه ولا يزال العبد يتقي حتى تحمي
الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه فتصير أقواله
وأفعاله ضرورة ثم ينتقل التقوى إلى باطنه فيتطهر باطنه ويتقدس عن
المكاره ثم عن الفضول حتى ينفي حديث النفس ويرى الإصغاء إلى حديثها
ذنبا وينعم القلب عند هذا الاتقاء بالذكر أنفا فالكوكب في كبد السماء
ويبعد الشيطان عنه ويندر في حقه الخواطر الشيطانية واللائق أن يكون
له خواطر النفس ويكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر
الأربعة في حقه ثلاثة ويسقط خاطر الشيطان إلا نادرا لضيق مكانه من
النفس لأن من صار يقينه في التمييز بين الحق والخطأ صافيا فقيه
ويسقط محل الشيطان منها إلا نادرا فيحتاج إلى أن ينفي خواطر النفس
ويميزها بالعلم كأن منها خواطر لا يتميز إمضاؤها كمطالبات النفس
حاجاتها وهي تنقسم إلى حقوق وحظوظ ويتعين التمييز عند ذلك
وإلحاقها بالحظوظ. قال الله تعالى إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وإن كان
سبب نزولها مشهورا إلا أن فيه التنبيه على التثبت إلى الأمور. قال
سهل في الآية الفاسق الكذاب والكذب صفة النفس فيتعين التثبت

عند خاطرها

عند خاطرها وإلقائها ومن الأدب عند الاشتباه إنزال الخاطر المحرك للنفس
وخاطر الغنا وبار بها ونحاطبها وإظهار الفقر والفاقة إليه والاعتراف بالجهل
وطلب المعرفة منه فعند ذلك يغاث ويتبين له الخاطر حق أو حظ فإن كان
حقا أمضاه وإن كان حظا نفاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر
العلم ثم من الناس من لا يسعه غير الوقوف على الحق وإذا مضى خاطر الحظ
كان ذنبا خالصا فيستغفر منه ومنهم من يمضي خاطر الحظ بمزيد علم له به من
عند الله تعالى وهو على السعة لقدر ما ذري له في السعة عالم بالأدب
فيمضيه على بصيرة من أمره عالم بزيادته ونقصانه وعالم بحاله يحكم بعلم
الحال ولا يقاس على حاله ولا يؤاخذ غيره بالتغليب لأنه خاص بعيد من المرادين
بمقام القرب ثم من إذا صار قلبه سماويا بمزيد كواكب الذكر يصير
قلبه سماويا فيعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات
وكلما ترقى فيصاعد النفس الطينية ويبعد عنه وينقطع خواطرها حتى يجاوز
السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بظاهره وقالبه فإذا استكمل العروج انقطعت عنه خواطر النفس ليستشرف
بأنواع القرب ويبعد النفس عنه وعند ذلك ينقطع خواطر الحق أيضا لأن
الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا القرب وهذا الذي وصفناه نازل
منزلته لا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطرها
ويعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن للخواطر مستندا في وجود
وما أشرنا إليه حال الفناء فلا خاطر فيه فخاطر الحق أيضا كان القرب

وخاطر النفس بعد البعد اما وخاطر الملك فخلف عنه كما تخلف جبريل عليه السلام
في ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد علي الترمذي
المحدث والمكلم اذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث النفس وكما ان
النبوة محفوظة من القاء الشيطان كذلك محل المحادثة والمكالمة
محفوظة من القاء النفس وتتبعها محروسة بالحق وسمعت
الشيخ ابا محمد بن عبد الله البصري يقول الخواطر اربعة خاطر النفس وخاطر
الحق وخاطر الشيطان وخاطر الملك اما الذي من النفس يحس به من
ارض القلب والذي من الحق من فوق القلب والذي من الملك عن يمينه
والذي من الشيطان عن يسار القلب وهذا يحق عند صفا قلبه كالمرآة
المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية الا ابصره اما من اسود قلبه
وعلاه الرين فلا يحس شيئا قال الله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد نكت في قلبه
نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقل وان عاد زيد فيه حتى يعلو
قلبه واذا كان الخاطر اول الفعل ففقهه فمعرفته من اهم شان العبد
لان الافعال من الخواطر تنشا حتى ذهب بعض العلماء الى ان العلم المشار
اليه في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة هو علم الخاطر قال لانها
اول الفعل وفسادها فساد الفعل ولا يتوجه هذا لانه صلى الله عليه وسلم
اوجبه على كل مسلم وليس كل مسلم من المعرفة بما يريد ذلك وسبب
اشتباه الخواطر اربعة اشيا لا خامس لها اما ضعف اليقين او قلة العلم

بمعرفة

بمعرفة صفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى او محبة الدنيا جاهها
ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم من هذه الاربع فرق
بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها لا يعلمها ولا يطلبها بانكشاف
بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الاربعة دون البعض
واقوى الناس معرفة الخواطر اقومهم بمعرفة النفس ومعرفتها عسير الحال
لا يكاد يتيسر الا بعد الاستقصا في الزهد والتقوى واتفق المشايخ
رضي الله عنهم ان من كان له اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة
وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان فقالوا ان النفس
تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى
زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغوا
كيفما امكن واختلفوا في الخاطرين اذا كانا من الحق ايهما يتبع قال
الجنيد رضي الله عنه الاول لانه اذا بقي رجع صاحبه الى التامل وهذا بشرط
العلم وقال ابن عطا الثاني اقوى لانه ازداد قوة بالاول وتوقف ابو
عبد الله بن خفيف هما سواء لانهما من الحق وقيل الواردات اعم من الخواطر
لان الخواطر تختص بنوع خطاب او مطالبة والواردات تكون مرة خواطر
وتارة تكون وارد سرور او حزن او قبض او بسط وقيل بنور التوحيد
يقبل الخواطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهى
النفس وبنور الاسلام يرد على العدو ومن قصر عن درك حقائق الزهد
ويطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر بميزان الشرع فما كان من ذلك

نفلا او فرضا بصنيعه وما كان من ذلك محرما او مكروها فنفيه فان استوى
الخاطران في نظر العلم ينفذ اقربهما الى مخالفة هوى النفس فان الغالب عليها
الاعوجاج والركون الى الدون وقد يلتبس الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن
انه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق فيشكونه الى النفس فيظهر
بسبب ذلك خواطر تشتبه بخواطر الحق على ضعيف العلم ولا يدرك معاني
القلب والخواطر المتولدة عنه الا العلماء الراسخون واكثر ما تدخل الآفات
على ارباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بشبههم من هذا القبيل
وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وربما تصيب الهوى فيهم ويسأل بغير اثر من
الهوى وان دق وقل ينبغي حشية نفيه من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في
تمييز الخواطر من حوم تحليل العلم فلا يوخذ بذلك ما لم يكن عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يتسامح بذلك بعض الغالطين لما كان علمه وقلة تنبيه وذكر
بعضهم ان لمة الشيطان تكون بسبب حركة النفس فاذا تحركت
انقدح من جوهرها ظلمة اثرت في القلب همة سوء فتنظر الشيطان الى
القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وحركتها اما بهوى هو عاجل حظ او امنيه
وهي عن الجهل الغريزي او دعوى حركة او سكون وهو آفة العقل ومحنة
القلب ثم يكون من هذه الثلاثة ما تحب نفسه لانها تدعو الى ما امرت او وقف
منه وقد يكون نفيه فضيلة اذا وردت بمباح وان لمة الملك تكون بحركة
الروح فاذا تحركت انقدح من جوهرها نور يظهر منه في القلب همة عاليه اما
بفرض امر به او فضل ندب اليه او مباح فيه صلاح له وهذا الكلام يدل

على ان

على ان الحركتين هما الموجبتان للمثبت وعندي والله اعلم ان للمثبت مقدمات
على الحركتين تحركة الروح من حركة لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح
وحركة النفس من شؤم لمة الشيطان والهمة السوء من حركتها فاذا
وردتا الهمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معطي كريم
ومبتلي حكيم وذكر خاطرا خامسا وهو خاطر العقل متوسطا بين الاربعة
يكون مع النفس والعدو لاثبات الحجة اذ لو فقد العقل سقط الثواب
والعقاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب
به الثواب وذكر خاطرا سادسا وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد
العلم ولا يبعد ان يقال خاطر اليقين حاصله راجع الى ما يرد من خاطر الحق
وخاطر العقل اصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من
العقل خاطر على الاستقلال لان العقل غريزة يتهيا بها ادراك العلوم يتهيا
بها الانجذاب الى دواعي النفس تارة والى دواعي الروح تارة والى دواعي
الملك تارة والى دواعي الشيطان تارة فعلى هذا الاربعة الخواطر على اربعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير المثبت وهما الاصل في الخاطران
الاخران فرع عليهما لان لمة الملك اذا حركت الروح والمنزل بالروح بالهمة الصالحة
ترت بالمنزل بالهمة الصالحة الى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر
من الحق ولمة الشيطان اذا حركت النفس هوت بجبلتها الى حبلتها من
الغريزة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها
فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان وخاطر النفس والعقل مندرج فيها ●

شرح الحال والمقام

الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت اشارة المشايخ في ذلك ولابد
من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ مشعر بالفرق فالحال سمي حالا
لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشي بعينه حالا ثم
يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول بغلبة صفة
النفس ثم يعود ثم يزول فلا يزال العبد يتعهد حال المحاسبة ثم تحول الحال
بظهور صفة النفس الى ان تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال
المحاسبة وتقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة
وطنه ومستقره ومقامه فيصير في مقام المحاسبة بعد ان كان له
حالا ثم ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه تصير له من
المراقبة حال ثم يزول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في باطن العبد
الى ان ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتداركه الله تعالى بالمعونة فتصير
المراقبة له مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة تمام حتى
ينازله حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة حتى ينازله حال المشاهدة فاذا
منح العبد منازلة حال المشاهدة استقر مقام المراقبة ونازل المشاهدة ايضا
يكون حال العبد بالاستتار ويظهر بالتجلي ثم يصير مقاما ويتخلص شمسه من
كسوف الاستتار ثم في مقام المشاهدة احوال وزيادات وترقيات من
حال الى حال اعلا منه كالتحقق بالفنا والتخلص الى البقا والترقي من عين
اليقين الى حق اليقين وحق اليقين نازل حرق شغاف القلب وذلك اعلى

فروع

١٥٨

فروع المشاهدة وقال صلى الله عليه وسلم اسالك ايمانا يباشر قلبي قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه للقلب مضغتان احدهما باطن وفيه السمع والبصر
وهو قلب القلب وسويداه والمضغة الثانية ظاهر القلب وفيه العقل ومثل
العقل في القلب مثل النظر في العين هو صفا الموضع مخصوص فيه بمنزلة
الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرئيات
فهكذا ينبعث من نظر العقل اشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهي
الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت الى سويدائه وهو حق اليقين
هي اسنى العطايا واعز الاحوال ونسبة هذا الحال من المشاهدة كنسبة الآجر
من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الاولى في الاصل
يكون منها العيان كالطين ثم البقا كاللبن ثم هذه الحالة وهي اخر الفروع ولما
كان الاصل في الاحوال هذه الحالة وهو اشرف الاحوال وهي محض موهبة لا
تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد احوالا لانها غير مقدور للعبد
بكسبه فاطلقوا القول وتداولت الالسن الشيوخ ان المقامات مكاسب
والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذي رجحناه كلها مواهب اذ المكاسب
محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد والمقامات
طرق المواجيد ولكن في المقام ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفي الحال
بطن الكسب وظهرت الموهبة والاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات
طرقها وقول علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه سلوني عن طرق
السماء فاني اعرف بها من طرق الارض اشار الى المقامات والاحوال فطرق

السنا التوبة والزهد وغيره لكن من المقامات فان السالك هذه الطريق يصير
قلبه سماويا في طرق للشهوات ومستنزلة للبركات وهذه الاحوال لا
تتحقق بها الا ذو قلب سماوي قال بعضهم الاحوال مواريث الاعمال وقال
بعضهم الاحوال كالبروق فان بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم
علي الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها
النفس فاما علي الاطلاق فلا وذهب بعضهم ان الاحوال لا تكون الا اذا
دامت فاما اذا لم تدم فهي لوايح وطوالع وبوادر وهي مقدمات الاحوال
ولم تثبت باحواله واختلف المشايخ رضي الله عنهم في ان العبد هل له ان
ينتقل الي مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل احكام حكم مقامه فمنعه بعضهم
وقال بعضهم لا يكمل له المقام الذي هو فيه الا بعد ترقيه الي مقام فوقه
والاولي ان يقال بان الله اعلم الشخص في مقامه يعطي حالا من المقام الاعلي
فيوجب ان ذلك الحال يستقيم امر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه بذلك
وكا يضاف الشي الي العبد انه يرتقي او لا يرتقي فان العبد بالاحوال يرتقي الي
المقامات والاحوال مواهب ترتقي الي المقامات التي تمتزج فيها الكسب
بالموهبة ولا يلوح للعبد حال اعلي مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه لا يزال
العبد يموت بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار لا
قال بعضهم الانزجار هيجان في القلب لا يسكنه الا الانتباه من
الغفلة فيبدره الي اليقظة فاذا انتقظ ابصر الصواب من الخطا والزجر في
مقدمة التوبة علي ثلاثة اوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر

من طريق الايمان فمتى زال النائب حال الزجر فهو موهبة من الله تعالي يقود الي
التوبة ولا يزال بالعبد ظهور هوي النفس فمحوا اثار حال التوبة والزجر حتى يستقر
التوبة ويصير مقاما ومكذا في الزهد لا يزال يستزله بارق حال التوبة لذة
ترك الاشتغال بالدنيا ويفتح له الاقبال عليها ثم تنمحي اثر حاله بشره النفس
وحرصها ورغبة العاجلة حتى يتداركه المعونة من الله الكريم فيهب له زهدا ويستقر
زهده ويصير الزهد مقامه ثم لا يزال ينازله حال التوكل يقرع باب قلبه حتى
يتوكل ومكذا حال الرضا حتى يطمئن علي الرضا ويصير ذلك مقامه وربما لمنا
لطيفه وهو ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم بقائه مع وجود اثر
الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة
نعم بها الراضي ولكن علمه بمكان الرضا يغمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع
في وجود الكراهة المغمورة بالعلم لا تخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال
الرضا لان الحال لما تجرد موهبة انحرفت داعية الطبع فيقال كيف يكون
صاحب مقام في الرضا ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام
اثبت فيقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله تعالي برئ من مزج الطبع فحال
الرضا اصدق ومقام الرضا امكن ولا تعود المقامات عن ساحة الاحوال
واما الاحوال فمنها ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما والسر فيه ما
ذكرناه ان الكسب في المقام ظاهر وتبطن الموهبة وفي الحال ظهرت الموهبة
وبطن الكسب فلما كان في الاحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الاحوال

الى ما لا نهاية له ولطف يتبين الحال عن ان يصير مقاما ومقدورات الحق غير
متناهية وكذلك مواهبه والاحوال مواهب وهي متصلة بكلام الله تعالى
التي ينفد البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم
والمعطي لا اله الا هو سبحانه ٥

الباب التاسع والخمسون في الاشارة الى المقامات على الاختصار والايجاز

٥٩ الاشارة الى المقامات

قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وقال عز وجل ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا قال انس رضي الله عنه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني رجل ذرب اللسان واكثر ذلك على اهلي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اين انت من الاستغفار فاني استغفر الله في اليوم والليلة
مائة مرة وفي لفظ اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه فاني استغفر الله واتوب
اليه في كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله في اليوم مائة مرة التوبة اصل كل مقام وقوامه ومفتاح
كل حال وهي اول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لا ارض له لا بناء
له ومن لا توبة له لا مقام له قال الشيخ وقد اعتبرت المقامات كلها
فيبلغ علمي وقدر سعي وجهدي فوجدتها يجمعها ثلاثة اشيا مع صحة
الايمان فصارت مع الايمان اربعة فمن تحقق بها ارتقى الى ملكوت السموات
وكوشف بالقدرة والايات ويصير له ذوقا في الكلمات الله المنزلات
ويحظى بجميع الاحوال والمقامات فكلها من هذه الاربع ظهرت احد الثلاث

بعد الايمان

بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقق مقام
العبودية بدوام العمل لله تعالى خالصا باطنا وظاهرا فقلبه وقالبه من غير
فتور وقصور ثم تتفرع على هذه الاربعة رابعة اخرى بها تمامها
وقوامها قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس ٥
واتفق المشايخ وعلما القوم على ان هذه الاربع بها تستقر المقامات ويستقيم
واجمعوا على ان بها صارت الابدال ابدالا بعد الانبيا بيد الله تعالى وحسن تحقيقه
فمن ظفر بها ظفر بالمقامات كلها اولها بعد الايمان التوبة وهي تفتقر الى الاحوال
واذا صحت تشتمل على مقامات واحوال لا بد لها في ابتدائها من وجود زاجر
ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالى على ما تقرر ان الاحوال مواهب
وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتداها قال رجل لبشر الحافي رضي الله عنه
مالي اراك مهموما قال لاني ضال ومطلوب ضللت الطريق والقصد وانا
مطلوب به فلو بينت كيف الطريق الى القصد لطلبت ولكن سنة
الغفلة ادركتني ولبثت منها خلاص الا ان زجرني الزاجر في
الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجودها للتايب ثم بعد الانزجار
بعد العلم حال الانتباه قال ابو يزيد علامة الانتباه حتى اذا ذكر
نفسه احتقر واذا ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا ذكر
الاخرة استبشر واذا ذكر قدرة مولاه افتقر وقال بعضهم الانتباه
اوايل الاثار اذا انتبه العبد من غفلته اداه ذلك الانتباه الى
التيقظ فاذا تيقظ اكرمه بيقظة الطلب لطريق الرشد فطلب واذا

طلب عرف انه على غير سبيل الحق فطلب الحق ورجع الى باب توبته فيعطي
بابتداه حال التيقظ فبل التيقظ فبان خطا المسلك بعد ما شاهد
سبيل النجاة وقيل اليقظة خرقة من جهة المولى لقلوب الخائفين
يدلهم على طلب التوبة فاذا تيقظ انتقل الى مقام التوبة فهذه احوال بلا انه
يتقدم التوبة ثم التوبة يحتاج في استقامتها الى المحاسبة لا تستقيم
الا بها قال صلى الله عليه وسلم حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
ومهدوا لها قبل ان تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان ترحلوا والمحاسبة
تحفظ الانفاس وضبط الحواس ورعاية الاوقات وايثار المهمات
وليعلم العبد ان الله تعالى اوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة
رحمة منه سبحانه وتعالى لعلمه باستيلاء الغفلة على العبد فهي سلسلة
تجذب النفوس الى محل العبودية ومواطنها لاداء حق الربوبية فلا استبعد
الهوى وتستهزئه الدنيا وليراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل
صلاة الى صلاة اخرى ويتبع مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية
فلا يدخل في الصلاة الا بعد حل عقد القلب بحسن التوبة والاستغفار
لان كل كلمة وحركة على خلاف الشرع ينكت في القلب نكتة سوداء يعقد
عليه عقدة فالمعتقد نفسه المحاسب لها فهي الباطن للصلاة بضبط
الجوارح وتحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك للصلاة نور يشرق
على اجزاء وقته الى الصلاة الاخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته
ووقته منور محفوظ بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يجتنب الصلوات

في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من عينه او غيرها
خط خطا وكلما تكلم او تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر بذلك ليصير
بالمحاسبة مجاري الشيطان والنفس الامارة بالسوء فوضع صلاته في
حسن الافتقاد وهذا مقام المحاسبة والرعاية فمن ضرورة صحة التوبة
قال الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته وسئل الواسطي اي
الاعمال افضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن
والمراقبة والرعاية حالان شريفان وقصور مقامين شريفين يصحان
بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة
والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة قال المرتعش المراقبة مراعاة
السر بملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وهذا الموعد القيام ويذلك يعتبر على الحال ومعرفة الزيادة والنقصان
والهوان يعرف معيار حاله مع الله تعالى وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة
التوبة ملازمها لان الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الافعال
لان الخواطر تحقق ارادة القلب والقلب امير الجوارح لا يتحرك الا بحركة القلب
بالارادة والمراقبة حسم مواد الخواطر الردية فصار من تمام المراقبة تمام
التوبة لان من حفظ الخواطر حفظ سوية الجوارح فالمراقبة استئصال عروق
المكاره من القلب والمحاسبة استدراك ما يعلمه من المراقبة قال
ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة والمراقبة
وسياسة العمل بالعلم واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابرهيم ادهم

اذا صدق العبد في توبته صار منيبا لان الانابة ثاني درجة التوبة قال
بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شيء غيره فمن رجع من غيره اليه ضيع
احد طرفي الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه
من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحا لا وصف له قائما بين يدي
الحق مستغرقا في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال
والمجاهدة تتحقق بتحقق الرعاية والمراقبة قال ابو سليمان ما
استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته ورؤية عيوب الافعال من
ضرورة صحة الانابة وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة الا
بعد المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة الا بوجود الصبر قال
صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه ولابد من ذلك الا بالصبر وافضل
الصبر الصبر على الله تعالى بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة بالقلب
وحسم مواد الوسواس ثم الصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض الصبر على
اداء المفروضات وعلى ترك المحارم والفضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة
الاولى وكتمان المصائب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء
الفقر وكتمان المنح والكرامات ووجوه الصبر فضلا وفرضا كثيرة وكثير
من الناس من يتصور الاقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله تعالى
فلزوم المراقبة والرعاية بنفي الخواطر فاذا حقيقته كان في التوبة لكنه
المراقبة في التوبة والصبر من اعز مقامات المؤمنين وهو داخل في حقيقة
التوبة قال بعض العلماء اي شيء افضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى

خواطر

بنفي

في كتابه

في كتابه في نيف وسبعين موضعا وما ذكرناه بهذا العدد وصحة التوبة
تحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو ان لا
يصرفها في معصية الله تعالى وهذا داخل في صحة التوبة وكان سهل رحمه الله
يقول الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وروي عن بعض الصحابة
رضي الله عنهم انه قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ومن
الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر
على الخمول والذلة داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما ياتي
من مقام التوبة من المقامات الشريفة والاحوال يوجد في الزهد وهو بالثلثة
الاربعة التي ذكرناها وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها
من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا زكت بالتوبة النصوح ذهب
عنها الشراسة الطبيعية وعلة الصبر وجود شراسة النفس وابائها
واستعصائها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها
الى اللين لان النفس بالمجاهدة والمراقبة تصفو وتنطفي نيرانها الناجمة
من متابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن في مجاري
الاقدار قال ابو عبد الله النباجي لله تعالى عباد يستحيون من الصبر
يتلقون مواقع الاقدار بالرضا والمعافاة وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
يقول اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضاء وقال صلى الله عليه وسلم
لابن عباس رضي الله عنهما حين وصاه واعمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان
في الصبر خيرا كثيرا وفي الخبر ايضا من خير ما اعطي الرجال الرضا بما قسم الله تعالى

والاخبار والاثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه عن اكثر من ان
تحصر في التوبة النصوح وما يتعلق عنه عن الرضا الا التخلق بحسن
اذا صح التوبة النصوح حال الصبر ومقام الرضا والخوف
والرجا وهما كاينان في صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على
التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاوه ما خاف فالرجا والخوف
يتلازمان في قلب المومن ويعتدل الخوف والرجا للتايب المستقيم
في التوبة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في سياق
الموت فقال كيف تجدك قال اجدني واخاف ذنوبي وارجو رحمة
ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه
الله تعالى ما رجا وامنه مما خاف فالتايب يخاف فيتوب ويرجو الغفر ولا
يكون التايب تايبا الا وهو راج خايف ثم ان التايب يحبس فيه الجوارح
عن المكاره واشتغال نعم الله تعالى على طاعة الله عز وجل فقد شكر
النعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها كفها عن المعصية واستعمالها
في الطاعة واي شاكر للنعمة اكثر من التايب المستقيم فاذا صح مقام
التوبة بهذه المقامات كلها حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة
النفس والتقوى والمعاملة ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا
والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجا واذا صحت التوبة
النصوح وتزكت النفس انجلت مراة القلب وانفتح الدنيا فيها فتحصل
الزهد والزاهد يتحقق بمقام التوكل فانه لا يزهد في الوجود الا اعتمادا على

الموعود

الموعود والسكون الى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكلما بقي على العبد من
بقية في تحقيق المقامات كلها بعد توبته فيستند رضاه بزهده في الدنيا وهو
ثالث الاربعة عن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سفر فبدا بفاطمة رضي الله عنها فراها قد اخذت في البيت
سترا وزوايد فلما راى صلى الله عليه وسلم ذلك رجع ولم يدخل فجلس
فجعل صلى الله عليه وسلم ينكت في الارض ويقول مالي وللدنيا مالي وللدنيا
فرات فاطمة رضي الله عنها انه انما رجع من اجل ذلك الستر فحطت
الستر والزوايد ثم ارسلت بها مع بلال رضي الله عنه وقالت له اذهب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقل له قد تصدقت به فضعه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بابي وامي اذهب فبعه وقيل في
قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اي ايهم
ازهد في الدنيا وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه عن الزهد
فقال لا يبالي باي قدر الجناح يعوضه ان يزهد فيها فاذا صح زهد العبد صح توكله
ايضا لان صدق توكله يمكنه من زهده في الوجود فحينئذ يستقيم في
التوبة وزهده في الدنيا وتحقق هذين المقامين استوفا سائر المقامات
ويكون فيها ويتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة ان يتوب العبد ثم
يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيا ثم يرتقي من
تطهير الجوارح عن المعاصي الى تطهيرها عما لا يعني فلا يستمع بكلمة
فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن

ويستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية
عن باطنه ثم خواطر الفضول فإذا تمكن من رعاية الخطرات عصم من مخالفة
الأركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك، وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا
يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود
العصمة ولكن الصادق التائب إذا ابتلي بذنب بادر إلى محو أثر الذنب ذلك
عن باطنه في اللطف ساعة لوجود الملتزم في باطنه على ذلك والندم توبة
فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا فإذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا
حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا
يكون له تعلق بهم بعد ما يصح هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر
وهو تقرير زيادة لأن الفقير عادم الشيء اضطرارا والزاهد تارك الشيء اختيارا
وزهده تحقق بتوكله وبتوكله تحقق رضاه ورضاه تحقق الصبر وصبره تحقق
حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس تحقق خوفه وخوفه تحقق
رجاه ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات والتوبة والزهد إذا اجتمعا مع
صحة الإيمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام
العمل لأن الأحوال السنية تنكشف بعضها بهذه الثلاثة وبعضها يقف
على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد الذين قنعوا بالزهد
المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من شتى الأحوال لتخلفهم عن هذا
الرابع وما يراد الزهد في الدنيا إلا لكمال الفراغ المستعان به على إدامة العمل

لله تعالى

لله تعالى والعمل لله عز وجل أن يكون لا يزال العبد ذاكرا أو تاليا أو مصليا أو
مراقبا لا يشغله عن هذه إلا واجب شرعي أو مهم لا بد منه طبيعي وإذا اشتغل
العمل القلبي على القلب مع وجود الشغل الذي أدار إليه حكم الشرع لا يفتر
باطنه عن العمل فإذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل بعد
إكمال الفضل وما لا بد له لا جهله في العبودية واشتغله وقته الحاضر عن وقته الآتي
ويصل بذلك إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار
فيكون اختياره من اختيار الله تعالى لزوال الهوى ووجود علمه وانقطاع
مادة الجهل عن باطنه والعبد لا يصل إلى هذا المقام العالي والحال العزيز الذي
هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من
الاختيار إلا بإحكام هذه الأربعة التي ذكرناها لأن ترك التدبير كان بترك
التدبير والاختيار من الله تعالى عليه أورده إلى الاختيار وتصرف بالحق
وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ من وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق
بهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في
العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضيرة القرب بنفس
بين يدي الله تعالى متمسكا بالاستكانة والافتقار محققا بقوله صلى الله
عليه وسلم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك
يا صنيع الكلائي كلاية الوليد ولا تخل عني ●

الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

إشارات المشايخ

قولهم في التوبة قال رويم معنى التوبة أن تتوب عن التوبة قيل معناه قول رابعة

استغفر الله في قلة صدقي في قولي استغفر الله. سئل المغازلي عن التوبة
فقال تسألني عن توبة الانابة او توبة الاستجابة فقال السائل ما توبة الانابة
قال ان تخاف من الله تعالى من اجل قدرته عليك قال فما توبة الاستجابة قال
ان تستحيي من الله تعالى لقربه منك. وهذا الذي ذكره من توبة الاستجابة
اذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستحي
الله منه. وهذه توبة لازمة لبواطن اهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس
به ذنب. قال ذو النون رضي الله عنه توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص
من الغفلة وتوبة الانبياء عن رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم. سئل ابو محمد
سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن الرجل يتوب عن الشي ثم يخطر ذلك الشي
بقلبه او يراه او يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من
الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه الكريم بالشكوى وينكر
بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله ان ينسيه ذلك ويشغله
عنه بذكره وطاعته وان غفل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان لا يسلم
وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه
لا يضره. وقال ابو الحسن النوري التوبة ان يتوب من كل شي سوى الله تعالى
قولهم في الورع قال صلى الله عليه وسلم ملاك دينكم الورع. وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه لا ينبغي لمن اخذ بالتقوى ووزن بالورع ان يذل
لصاحب دنيا. قال معروف رحمه الله احفظ لسانك من المدح كما تحفظه
من الذم. نقل عن المحاسبي انه كان على طرف اصبعه الوسطى عرق اذا امد

الي طعام

الي طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق. سئل الشبلي رضي الله عنه
عن الورع فقال الورع ان يتورع ان تتشتت قلبك عن الله تعالى طرفة عين
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل
سئل الخواص رضي الله عنه عن الورع فقال ان لا يتكلم العبد الا بالحق غضب
او رضي وان يكون اهتمامه بما يرضي الله عز وجل. قال ابن الجلا اعرف من
اقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا من ما استقاه بركوته
ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيا. وقال الخواص الورع
دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القرب. قولهم في الزهد
قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا
فاقربوا منه فانه تلقى الحكمة وقد سمى الله تعالى الزاهدين علما في قصة قارون
تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فسماهم الزاهدين. وقال
سهل بن عبد الله للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه
ترك الدنيا. وقيل في قوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا قال
عن الدنيا. وفي الخبر العلماء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا
فاحذروهم على دينكم. وجاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن
العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله
الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين. وقال السري الزهد
ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا سوا كان مالا او جاها او حب

منزلة عند الناس او حب المحمدة والثناء وسئل الشبلي عن الزهد في الدنيا فقال
ذلك غفلة لان الدنيا لا شي والزهد في لا شي غفلة وقال بعضهم لما راوا
حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم وعندي ان الزهد في
الزهد غير هذا وانما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد لان الزاهد اختار
الزهد وارادته مستندة الي علمه وعلمه قاصر فاذا انتهى في مقام ترك
الاختيار والارادة وانسلخ منها كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا
لمراد الحق لا لمراد نفسه فيكون زهده بالله حينئذ او يعلم ان مراد الله تعالى
التلبس بشي من الدنيا فلا يدخل بالله في شي من الدنيا لا ينقض عليه زهده فيكون
دخوله في شي من الدنيا بالله وباذن منه زهدا في الزهد والزاهد في الزهد استوى
عنده وجود الدنيا وعدمها وقد راينا من العارفين من انتهى في هذا المقام ثم ترقى
هذا المقام ونحوه هذا مقام اخر في الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره ليسعه
عليه ولطهارة نفسه في مقام البقاء فيزهد زهدا ثانيا ويترك الدنيا بعد ان
تمكن من ناصيتها واعيدت عليه موهبة ويكون ترك الدنيا في هذا المقام باختياره
واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينا تاسيا بالانبيا والصالحين
ويرى ان احدهما في مقام الزهد في الزهد رفق دخل عليه لضعفه عن ذرك شاو
الاقويا من الانبيا والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد
يتناوله باختياره رفقا بالنفس لتدبير يتوشه فيه صريح العلم وهذا مقام
التصرف لاقويا العارفين قولهم في الصبر قال سهل الصبر انتظار
الفرج من الله تعالى وهو افضل الخدمة واعلاها قال تعالى والصابرين في

البأساء

البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وقيل
لكل انسان جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عون
النفس بالغرض عليه والصبر جاري في الصابرين مجرى الانفاس لانه يحتاج
الي الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل
ولا ينفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم شانه في الظاهر
والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقرا في مسكنه والعلم والصبر
متلازمان كالروح والجسد لا يستقل احدهما دون الاخر ومصدرهما الغريزة
العقلية فتقاربهما لاتحاد الصدر وبالصبر يتحامل علي النفس وبالعلم يرقي
الي الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل منهما في مستقره
وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال احدهما عن الاخر اعني العلم
والصبر تميل احدهما علي الاخر اعني النفس والروح وبيان ذلك يدنى وبا هيك
بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب كل اجير
اجره بحساب واجر الصابر بغير حساب وقال عز وجل واصبر وما صبرك
الا بالله استند الصبر الي نفسه لمكان شرفه قيل وقف اعرابي علي
الشبلي فقال اي صبر اشد علي الصابرين قال الصبر في الله قال لا قال الصبر لله
قال لا قال الصبر مع الله قال لا فغضب الشبلي وقال ويحك ايش فقال الرجل
الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه قال الشيخ
وعندي ان معنى ذلك ان يكون العبد في بعض مقامات المشاهدة فيرجع عن
مولاه استغنا راجلا الا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبانا وتغيب في مفاوز

استكانته وخضعه لاحتشاشه بعظيم امر التجلي وهذا من اشد الصبر لانه يودع
استدامة هذا الحال باذنه لحق الجلال والروح تود ان تتحمل بصبره بهابا بشتمل
نور الجمال وكان العقل منازعة في عموم حال الصبر والروح في هذا الصبر منازعة
فاشتد الصبر عن الله تعالى في ذلك. وقال ابو الحسن بن سالم بلانه متصبر
وصابر وصبّار فالمتصبر من صبر في الله فمره يصبر ومره يجزع والصابر من يصبر
في الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يتمكن منه الجزع واما
الصبار فذاك الذي صبره في الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا
يعجز ولا يتغير. قال جعفر الصادق رضي الله عنه امر الله تعالى انبياءه بالصبر
وجعل الحظ الاعلى لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه
فقال عز وجل وما صبرك الا بالله. قال الجنيد رضي الله عنه ان الله اكرم المومنين
بالايمان واكرم الايمان بالعقل واكرم العقل بالصبر. وانشد عن ابرهيم
الخواص رضي الله عنه:

صبرت على بعض الاذى خوف كله ❊ ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرّعتها المكروه حتى تدربت ❊ ولو لم اجرعها اذا لاشمازت
الا رب ذل ساق للنفس عزة ❊ ويا رب نفس بالتذلل عزت
اذا ما مددت الكف التمس الغنا ❊ الى غير من قال اسالوني فشلت
ساصبر جهدي ان في الصبر عزة ❊ وارضى بدنياي وان هي قلت

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما انعم الله تعالى على عبد من نعمة فانتزعها
فعاضه الصبر مما انتزع منه الا كان ما عاضه خيرا مما انتزع منهم رحمة الله عليهم

قولهم في الفقر

قولهم في الفقر. قال الشبلي اذا صح الافتقار الى الله تعالى صح الغنا بالله
لانهما حالان لا يتم احدهما الا بالاخر. وقال محمد بن الجلا الفقر ان لا يكون لك
فاذا كان لا يكون لك يعني بوبوه. وقال النوري نعت الفقر السكون
عند العدم والبذل عند الوجود. وقال غيره والاضطراب عند الوجود. وقال
ابرهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين.
وسُئل سهل عن الفقر الصادق فقال لا يسال ولا يرد ولا يحبس. وقال
بعضهم الفقير الذي لا تفتنه النعم ولا يغيره المحن. وقال يحيى بن معاذ حقيقة
الفقر ان لا يستغني الا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها. وسُئل ابن الجلا
عن الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع فقال انني لم اتكلم الا لدرهم كان
عندي فذهبت واخرجته واستحييت ان اتكلم في الفقر وعندي ذلك ثم
جلس وتكلم. وقال ابو بكر بن طاهر من حكم الفقر ان لا يكون له رغبة فان
كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته. قال الحارث قلت لبعض الفقراء
وقد رايت عليه اثر الجوع والعزلة لا تسال فقال الحاف ان اسالهم فيمنعوني فلا يفلحون.
وانشد لبعضهم:

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه ❊ فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما ❊ قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به ❊ يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي ماتم ان غبت يا املي ❊ والعيد ما دمت لي مراى ومستمعا

قولهم في الشكر. قال بعضهم الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم

وقال يحيى بن معاذ لست بشاكر ما دمت تشكر، وغاية الشكر التحير،
وذلك ان الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها، وفي اخبار داود عليه السلام
الهي كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك
فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني، والشكر في اللغة الكشف
والاظهار يقال شكر وكشر اذا كشف عن نعمه واظهره فشكر النعم ذكرها
وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان يستعين بالنعم على الطاعة
ولا يستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة، قال صلى الله عليه وسلم
اول من يدعا الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء،
وقال ايضا من ابتلي فصبر واعطي فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت فقيل
ما باله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون، قال الجنيد رضي الله عنه
فرض الشكر الاعتراف له بالنعم بالقلب واللسان، وفي الحديث افضل
الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله، قال بعض العلما في قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة العوافي والغنا والباطنة
البلايا والفقر فان هذه نعم اخروية لما يستوجب بها من الجزا وحقيقة الشكر
ان يرى جميع ما فضله به نعمة عليه مما نعرفه في دينه لان الله تعالى لا يقضي للمومن
شيا الا وهو نعمة في حقه فاما عاجله يعرفها ويفهمها واما اجله بما يقضي له
من المكاره فاما ان تكون درجة له او تمحيصا وتكفيرا فاذا علم ان مولاه انصح
له من نفسه واعلم بمصلحته وان كل ما منه نعم فقد شكر قولهم في الخوف،
قال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله تعالى، وروي عنه صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال كان داود النبي عليه السلام يعوده الناس يظنون ان به مرضا وما
به مرض الا خوف الله تعالى والحيا منه، قال ابو عمر الدمشقي الخايف من يخاف
من نفسه اكثر مما يخاف من الشيطان، وقال بعضهم ليس الخايف من يبكي
ويمسح عينيه ولكن الخايف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه، وقيل الخايف
الذي لا يخاف غير الله تعالى، قيل اي لا يخاف لنفسه انما يخاف اجلالا له
والخوف للنفس خوف العقوبة، وقال سهل ذكر والرجا انثى اي بينهما يتولد
حقايق الايمان، وقيل ان الله تعالى جمع للخايفين ما فرقه على
المومنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون، وقال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلما، وقال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه، وقال سهل كمال الايمان بالعلم
وكمال العلم بالخوف، وقال ايضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة،
وقال ذو النون رضي الله عنه لا يسقى المحب كاس المحبة الا بعد ان ينضج
الخوف قلبه، وقال فضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت
فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف،
قولهم في الرجا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ثم يقول
وعزتي وجلالي لا اجعل من امن بي في ساعة من ليل او نهار كمن لم يومن بي
وقيل جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يلي حساب الخلق فقال الله
قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مم



ضحك باعرابي قال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح قال شاه
الكرماني علامة الرجا حسن الطاعة وقيل الرجا روية الجلال بعين الجمال
وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب قال ابو علي الروذباري الخوف والرجا
كجناحي الطير اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه قال مطرف لو
وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا والخوف والرجا للايمان كالجناحين
ولا يكون خايفا الا وهو راج ولا راج الا وهو خايف لان موجب الخوف الايمان
وبالايمان رجا فموجب الرجا الايمان ولهذا المعنى قال لقمان لابنه خف الله
خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال وكيف استطيع ذلك
وانا لي قلب واحد قال اما علمت ان المومن له قلبين يخاف باحدهما ويرجوا
بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان قولهم في التوكل قال السري
التوكل الانخلاع من الحول والقوة وقال الجنيد التوكل ان تكون لله كما لم
تكن فيكون الله له كما لم يزل وقال سهل كل المقامات لها وجه وقفا
غير التوكل فانه وجه بلا قفا قال بعضهم ربه توكل العنايه لا توكل
الكفايه والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مومنين وقال وعلى الله فليتوكل المومنون وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع
من الحول والقوة وقال ابو بكر الدقاق التوكل رد العيش الى يوم واحد
واسقاط هم غد وقال سهل اول مقامات التوكل ان يكون العبد بين يدي
الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف اراد ولا تكون له حركة ولا تدبير

وقال ايضا العلم

وقال ايضا العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب
من الزهد والزهد باب من التوكل وقيل التقوى والتقين مثل كفتي الميزان التوكل
لسانه به تعرف الزيادة والنقصان قال الشيخ وقع لي ان التوكل على
قدر العلم بالوكيل فكل من كان اتم معرفة كان اتم توكلا ومن كمل توكله غاب في
روية الوكيل عن روية توكله ثم ان قوة المعرفة تعطي صاحب العلم بالعدل في
القسمة وان الاقسام تصيب باراء المقسوم لهم عدلا وموازنة وان النظر الى
غير الله تعالى لوجود جهل في النفس وكل ما احس بشي يقدح في توكله يراه من
منبع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكماله تثبت بغيبة
النفس ويبقى الا قوا باعداد تصحيح توكلهم وانما نشغلهم في تغيب النفس
تقوية مراد القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فيصح التوكل
والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفس يقتضيه ورد على صاحبهم ستر ان الله يعلم
ما تدعون من دونه من شي فيغلب وجود الحق الاعيان والاكوان ويرى
الكون بالله من غير استعمال الكون في نفسه ويصير التوكل حينيذ اضطرارا
ولا يقدح في توكل مثل هذا ما يقدح في توكل الضعفا من وجود الاسباب
والوسايط لانه يرى الاسباب مواتا فلا حياة لها الا بالله فهذا توكل
اهل الخصوص من اهل المعرفة قولهم في الرضا قال الحارث المحاسبي
الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ابن عطا هو سكون القلب
الى قديم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل ورضي له وهو ترك التسخط
وقال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضا وقال سفيان عند رابعة

اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي تطلب رضا من لست عنه براض وقال
صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في
الشك والسخط وقال ابو تراب ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار
وقال الفضيل الراضي لا يتمنى فوق منزلته شيئا وقال علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه ورضي عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ابدا
ومن جلس على بساط السوال لم يرض عن الله في كل حال وقال يرجع الامر كله
اليه في الاصلين تعمل ما بك وتعمل ما منك له تمرض بما على وتخلص بما تعلمه
قيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد الى مقام الرضا قال اذا اقام نفسه على
اربعة اصول فيما يعامل به فيقول ان اعطيتني قبلت وان منعتني رضيت
وان تركتني عبدت وان دعوتني اجبت قال الشبلي بين يدي الجنيد لا
حول ولا قوة الا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر قال صدقت قال ضيق
الصدر ترك الرضا بالقضا وهذا من الجنيد تنبيه على اصل الرضا وذلك
ان الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانفساح القلب من نور اليقين
قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فاذا تمكن النور
من الباطن انفسح الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير المولى
فينتزع السخط والضجر لان انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب
بموقع الرضا عند المحب الصادق ولان المحب يرى ان الفعل من المحبوب مراده ومحبوبه
واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل وكلما يفعل المحبوب

الباب الحادي والثمنون

١٨٧

ذكر الاحوال وشرحها

الباب الحادي والثمنون في ذكر الاحوال وشرحها

قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فقد وجد حلاوة الايمان من كان
الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن احب عبدا لا يحبه الا لله تعالى ومن يكره
ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وكان
من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي وسمعي وبصري واهلي
ومالي ومن الماء البارد وكان صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص
الحب هو ان يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قد يكون في حال قائما
بشروط حاله بحكم العلم والجبلة مقتضاه بضد العلم مثل ان يكون راضيا
والجبلة تكرهه فيكون النظر الى الانقياد بالعلم لا الى الاستعصا بالجبلة فقد
احب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الولد والاهل بحكم الطبع ودواعي المحبة
في الانسان متنوعة منها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة
العقل فذكر صلى الله عليه وسلم الاهل والماء البارد لاستيفاء عروق
المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله غالبا بحب الله بروحه وقلبه وكلمته
حتى يكون حب الله اغلب في الطبع والجبلة من حب الماء البارد وهذا حب خاص
لخواص يتحقق ويتورع نار الطبع والجبلة وهذا يكون حب الذات عن
مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى مواطن القرب قال الواسطي في
قوله تعالى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء عائد الى
الذات دون النعوت والصفات فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص
فالحب العام متشرب من اشتغال الامور ربما كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء

وهذا الحب لحرجه من الصفات. وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات
فيكون النظر الى هذا الحب العام الذي يكون للكسب العبد فيه مدخل واما
الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الاصطناع من الله الكريم
لعبده واصطفايه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة
ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم احب الي
من الما البارد لانه كلام عن وجدان روح ملمة بحب الذات وهذا الحب روح الحب
الذي يظهر من لمعات الصفات ويطلع من مطالع الايمان قال بهذا الروح
ولما صحت محبتهم هذه اخبر الله عنهم بقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين لان المحب بذل المحبوبه والمحبوب محبوبه ولينشد

لعين تفدى الف عين وتتقى ويكرم الف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخاص فهو اصل الاحوال وهو فيها كالتوبة في المقامات فمن صحت
توابه على الكمال يحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل على ما شرحناه
اولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال من الفنا والبقا والصحو والمحو
وغير ذلك. قال ابو يزيد من قتلته محبته فديته رويته ومن قتله عشقه
فديته مشاهدته. قال ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببت ولا يبقى لك منك شي. وقال ابو الحسن الوراق السرور بالله تعالى
من شدة المحبة له والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس. وقال يحيى بن معاذ
صبر المحبين اشد من صبر الصابرين واعجبا كيف يصبر الانسان عن حبيبه
وقال من ادعى محبة الله تعالى من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى

محبة الجنة

لعله تشبع

محبة الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى حب رسوله صلى الله عليه وسلم
من غير حب الفقرا فهو كذاب. وكانت رابعة رضي الله عنها تنشد

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وقال سمنون رضي الله عنه ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من احب فهم مع الله تعالى. وسئل الجنيد
عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب فقال هذا على
معنى قوله تعالى فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله لانه بنزاهة النفس وكمال التزكية مستعد
للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية لكن سنة الله جارية ان يزكي
نفوس احبابه بحسن توفيقه وتاييده فاذا منح نزاهة النفس وطهارتها
ثم حدث روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون
ذلك عند رتبة الوصول فتارة يبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك
لكون عظم امر الله تعالى غير متناه وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله
الذي يسكن نيران شوقه وباعث الشوق فيستقر الصفات الموهوبة
المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقرى وظهرت
صفات نفسه الحايلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه او
تخيله غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت
واشارات المشايخ في الاستغراق والفنا كلها عايدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلا

نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج
البقايا فاذا اصحت المحبة ترتبت عليها الاحوال وتبعتها فصل المحبة ظاهر
وباطن فظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها ان يكون مفتونا بالحبيب عن
كل شي فلا يبقا فيه بقية لغيره ولا لنفسه ان الاحوال المتنبه في المحبة
الشوق فلا ترى المحب الا مشتاقا فابدا الابدا امر الحق سبحانه لانهاية له فما
من حال يبلغها المحب الا ويعلم ان وراه لكا او في منها وانم من هذا الشوق
الحادث عنه ليس بكسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين ه
قال احمد ابن ابي الحواري دخلت على ابي سليمن الداراني فرايته يبكي فقلت
ما يبكيك رحمك الله تعالى فقال ويحك يا احمد اذا جن هذا الليل افترش اهل المحبة
اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم واشرف الجليل جل جلاله عليهم وقال
بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطلع عليهم في خلواتهم
استمع انينهم وارى بكاهم يا جبريل نادهم ما هذا البكا الذي اراه منكم هل
خبركم مخبر ان حبيبا يعذب احباه بالنار بل كيف يحل لي ان اعذب قوما اذا
جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفر لهم عن وجهي
وابيحهم رياض قدسي وهذه احوال قوم من المحبين انتهوا مقام الشوق
والشوق من المحبة كالزهد من التوبة اذا استغرقت التوبة ظهر الزهد فاذا
استغرقت المحبة ظهر الشوق ه قال ابو عثمن الشوق ثمرة المحبة من احب
الله تعالى اشتاق الى لقايه ه وقال ذو النون الشوق اعلا الدرجات واعلا
المقامات فاذا بلغها العبد استبطا الموت شوقا الى ربه ورجا اللقايه والنظر اليه

قال الشيخ

قال الشيخ وعندي ان الشوق الكاين من المحبين الى ربهم يتوقعونها في الحياه
غير الشوق الذي يتوقع بعد الموت وليس من ضرورة مقام الشوق استبطا
الموت وربما الاصحا من المحبين يستلذون الحياه لله تعالى كما قال صلى الله
عليه وسلم ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله فمن كانت حياته لله يمتعه
الكريم بها لذة المناجات ويكاشفه بعظيم المنح والعطايا فكيف يطلب الموت
وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق الى الغايب ومتى يغيب
الحبيب عن المحب حتى يشتاق اليه سيل الانطاكي عن الشوق فقال انما
يشتاق الى الغايب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق لا
وجه له لان رتب المنح والعطايا من انصبة القرب اذا كانت غير متناهية
كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غايب وغير مشتاق بالنسبة الى ما
وجد وانما مشتاق الى ما لم يجد من انصبة القرب وقد قال بعضهم شوق
المشاهدة واللقا اشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة
مشتاقا الى اللقا ويكون في حال اللقا والمشاهدة مشتاق الى زوايد ومبار
من الحبيب قال الشيخ وهذا هو الذي اراه واختاره وقال [illegible]
قلوب المشتاقين بنوره فاذا تحركت اشتياقا اضاء النور ما بين المشرق
والمغرب فيعرضهم الله تعالى على الملايكة ويقول هولاء المشتاقون الي
اشهدكم اني اليهم اشوق ه وقال ابو يزيد لو ان الله تعالى حجب اولياه من اهل
الجنة عن رويته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار وسيل
ابن عطا عن الشوق فقال احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب ه

ومنها الانس سئل الجنيد عن الانس فقال هو انبساط المحب الى المحبوب
قيل معناه قول الخليل رب ارني كيف تحيي الموتى وقول موسى رب ارني انظر
اليك وانشد الرويم

شغلت قلبي بما لديك فلا ... ينفك طول الحياة من فكري
انستني منك بالوداد فقد ... اوحشتني من جميع ذا البشر
ذكرك لي مونس يعارضني ... يوعدني عنك منك بالظفر
وحيث ما كنت يا مدا همي ... فانت مني بموضع النظر

كتب مطرف بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك
اليه فان لله عبادا استانسوا به فكانوا في وحدتهم اشد استيناسا من الناس
في كثرتهم واوحش ما يكون الناس انس ما يكونون وانس ما يكون
الناس اوحش ما يكونون قال الواسطي لا يصل الى مقام الانس من لم
يستوحش من الاكوان كلها فقال ابو الحسين الوراق لا يكون الانس
بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استانست به سقط عن قلبك تعظيمه الا
الله تعالى فانك لا تزداد انسا به الا ازددت منه هيبة وتعظيما قالت
رابعة رضي الله عنها كل مطيع مستانس وانشدت

ولقد جعلتك في الفواد محدثي ... وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس ... وحبيب قلبي في الفواد انيسي

قال مالك بن دينار من لم يستانس بمحبة الله تعالى وبمحادثته عن محادثة المخلوقين
فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال الخراز الانس محادثة الارواح

مع المحبوب في مجالس القرب وقد يكون من الانس الانس بالله وبالاعتماد على
كلامه وبنا بر ارباب القرب وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ولكن
ليس هو حال الانس الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند
طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب
والعلايق ومحو الخواطر والهواجس قال الشيخ وحقيقته عندي كشف
الوجود بنعت لا نعت العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح وله استقلال
بنفسه يستنير على القلب فيحجبه عن الهيبة وفي الهيبة اجتماع الروح
وبسوقه الى محل النفس وهذا الذي وصفناه انس الذات وهيبة الذات
يكون في مقام البقا بعد العبور على ممر الفنا وما غير الانس والهيبة لان
الانس والهيبة قبل الفنا ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال
وذلك مقام التلوين وما ذكرناه بعد الفنا في مقام التمكين والبقا من مطالعة
الذات ومن الانس خضوع النفس المطمينة ومن الهيبة خشوعها والخشوع
والخضوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف مدرك بايماء الروح
ومنها القرب قال الله تعالى واسجد واقترب وقال صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده فالساجد اذا اذيق طعم السجود
يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد
على طرف رداء العظمة فيقرب قال الجنيد ان الله تعالى يقرب من قلوب
عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك
وقال ابو يعقوب السوسي لا يكون العبد قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب

فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذاك قرب ◦ وقد قال القايل فيهم ◦
قد تحققتك في السر فناجاك لساني ◦ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان ◦
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ◦ فلقد صيرك الوجد من الاحشا دان ◦
قال ذو النون ما ازداد احد من الله قربة الا ازداد هيبة ◦ وقال سهل
ادنى مقام من مقامات القرب الحيا ◦ وقال النصراباذي باتباع السنة تنال
المعرفة وباداء الفرايض تنال المنزلة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ◦
ومنها الحيا ◦ والحيا على الوصف العام والوصف الخاص ◦ فاما العام
فما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله استحيوا من الله حق الحيا فقالوا
انا نستحيي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك ولكن من استحيى
من الله حق الحيا فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت
والبلا ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا ◦ واما الخاص من الاحوال كما
نقل عن عثمن رضي الله عنه انه قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوي
حياء من الله تعالى ◦ قال ابو العباس المودب قال لي سري احفظ عني
ما اقول لك ان الحيا والانس يطوفان القلوب فاذا وجدا فيها الزهد والورع
حطا والا رحلا ◦ والحيا اطراق الروح اجلالا لعظم الجلال والانس التذاذ
الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في البنا والنهاية في العطا ◦ قال
بعض الحكما من تكلم في الحيا ولا يستحيي من الله تعالى فيما يتكلم به فهو مستدرج
قال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك الى
ربك ◦ قال ابو سليمان ان العباد عملوا على اربع درجات على الخوف والرجا

والتعظيم

والتعظيم والحيا واشرفهم منزلة من عمل على الحيا لما يعرف ان الله تعالى يراه على
كل حال استحيا من حسناته اكثر مما استحيى العاصون من سيئاتهم ◦ ومنها
الاتصال ◦ قال النوري الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار
وقال بعضهم الاتصال وصول السر الى مقام الذهول ◦ وقال بعضهم
الاتصال ان لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه ◦
وقال سهل بالبلا تحركوا ولو سكنوا اتصلوا ◦ وقال يحيى بن معاذ الرازي
العمال اربعة تايب وزاهد ومشتاق وواصل فالتايب محجوب بتوبته
والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله ◦ والواصل لا يحجبه شي
عن الحق ◦ وقال ابو سعيد القرشي الواصل الذي يصله الله تعالى فلا يخشى
عليه القطع ابدا والمتصل الذي يجتهد فيتصل ◦ وكلما فتر انقطع وكان هذا
الذي ذكره حال المريد والمراد لكون احدهما مبادا بالكشوف والاخر يرد
الى الاجتهاد ◦ وقال السياري اذا اراد الله تعالى ان يوصل عبدا اختصر
عليه الطريق وقرب اليه البعيد ◦ قال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه
قال ذو النون رضي الله عنه ما رجع من رجع الا من الطريق ما وصل اليه
احد فرجع عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليها الشيوخ وكل من
وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول ثم
يتفاوتون فمنهم من يجد الله تعالى بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي
فيفني فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من
التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ◦ ومنهم من يوقف مقام الهيبة والانس

بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجلال والجمال وهذا التجلي بطريق الصفات وهو
رتبة في الوصول ومنهم من ترقى الى مقام الفنا مشتملا على باطنه انوار
اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات
لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون
من ذلك في الدنيا لمح للخواص وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد
حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى رتب الوصول
واذا تحققت الحقائق يعلم العبد انه مع هذه الاحوال الشريفة بعد في اول
منزل من الوصول فهيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الآباد في
عمر الآخرة الابدي فكيف في العمران ومنها القبض والبسط وهما
حالان شريفان قال الله تعالى والله يقبض ويبسط وقد تكلم فيهما الشيوخ
واشاروا باشارات في علامات القبض والبسط ولم اجد كشفا على
حقيقتهما لانهم اكتفوا بالاشارة والاشارة تقنع الاهل واحببت ان
استبع الكلام فيهما لعله يتشوف الى ذلك طالب ويحب ضبط القول فيه
واعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان
قبله ولا بعده وقتهما وموسمهما في اوائل حال المحبة الخاصة لا في نهاياتها
ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم
الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد
شبه حالي القبض والبسط ويظنهما ذلك وليس به وانما هو هم يعترضه
فيحسبه قبضا واهتزاز نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطا والهم والنشاط

بصدران

يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها وما دامت صفة الامارة
فيه منها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم والهم
وهج مشاجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع
فاذا ارتقى من اوائل المحبة العامة الى اوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال
وذا قلب وذا نفس لوامة ويتبين له القبض والبسط عند ذلك لانه
ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه
الحق تارة ويبسطه اخرى قال الواسطي يقبضك عما لك ويبسطك
فيما له واعلم ان القبض لظهور صفة النفس وغلبتها والبسط لظهور
صفة القلب وغلبته والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة
والقبض والبسط باعتبار ذلك منهما فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه
النور الى لا يتقيد حينئذ بحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض
والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط ما دام متخلصا من الوجود النوراني
الذي هو القلب ويتحقق بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد
الى الوجود من الفنا والبقا عاد الى الوجود النوراني الذي هو القلب يعود
يعود القبض والبسط اليه واما المتحقق بالفنا والبقا فلا قبض ولا بسط
لان القبض والبسط يقع مع الوجود فاما مع الفنا والبقا فلا ثم ان
القبض قد يكون عقوبة الافراط في البسط وذلك ان الوارد من الله تعالى
يرد على القلب فيمتلي القلب منه فرحا واستبشارا وروحا فتستير الى
نفس السمع عند ذلك وتاخذ نصيبها فاذا وصل اثر الوارد الى النفس

طبعت بطبعها وافرطت في البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فيقابل بالقبض عقوبة
وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من حركة النفس وظهورها بصفاتها ولو تادبت
النفس وعدلت ما وجد صاحب القلب القبض ودام روحه وانسه ورعايته
الاعتدال الذي يسد باب القبض متلقا من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم فوارد الفرح ما دام موقوفا على الروح والقلب لا يكتنف ولا
يستوجب صاحبه القبض فاذا لطف الفرح الوارد وما لا الى الله تعالى
واذا لم يلتجي الى الله تعالى تطلعت النفس واخذت حظها من الفرح وهو الفرح
بما اوتي المنهي عنه ثم ذلك القبض في بعض الاحايين وهذا من لطف الذنوب
الموجبة للقبض وفي النفس متحركاتها وصفاتها وهيآت متعدده موجبة
للقبض ثم الخوف والرجا لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الانس
والهيبة لانهما من ضرورة الايمان فلا يعدمان واما القبض والبسط يعدمان
عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفنا والبقا والقرب
لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى الا
على قليل الحظ من العلم بالحال وعلم المقام ومن احكمهما لا يخفى عليه سبب
القبض والبسط وربما تشتبه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما يعلم ذلك
من استقام قلبه ومن ارتفع عن القبض والبسط كنفسه مطمئنة لا تنقلع
من جوهرها ما يوجب القبض ولا ينطلق طبيعتها من الهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه
لكون نفسه المطمئنة تطبع القلب بمجرى القبض والبسط في نفسه المطمئنة

وما قلبه يقبض ولا يبسط لان القلب مختص بشعاع نور الروح مستغرق في دعة
القرب فلا يقبض ولا يبسط ومنهم الفنا والبقا قيل الفنا ان يفنى
عنه الحظوظ فلا يكون له في شي حظ ويفنى عن الاشيا كلها شغلا بمن فني به قال
عامر بن عبد الله لا ابالي امراة رايت ام حايطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا
عن جميع المخالفات والبقا يعقبه وهو ان يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل يفنى
عن المخالفات ويبقى بالموافقات قال الشيخ وهذا عندي هو مقام صحة
التوبة النصوح ليس من الفنا والبقا في شي وقيل الفنا هو الغيبة عن الاشيا
كما كان فني موسى حين تجلى ربه للجبل وقال الخراز الفنا هو التلاشي بالحق
والبقا هو الحضور مع الحق وسئل الخراز ما علامة الفاني قال علامته
ذهاب حظه من الدنيا والاخرة الا من الله تعالى واعلم ان اقاويل الشيوخ
في الفنا والبقا كثيرة فبعضها يشير الى فنا المخالفات وبقاء الموافقات
وهذا مقتضيه التوبة النصوح وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والامل
وهذا مقتضيه الزهد وبعضها يشير الى فناء الوصف المذموم وبقاء المحمود
وهذا مقتضيه تزكية النفس وبعضها يشير الى حقيقة الفنا المطلق وكل
هذه الاشارات فيها معنى الفنا من وجه لكن الفنا المطلق هو ما يستولي
من امر الحق سبحانه على العبد فيغلب كون الحق تعالى على كون العبد وهو
ينقسم الى فنا ظاهر وفناء باطن فالظاهر ان يتجلى الحق سبحانه بطريق الافعال
ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولغيره فعلا الا بالحق
ثم ياخذه في المعاملات مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت ان بعض من اتفق لهم

في هذا المقام من الفنا كان يقيم اياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له
فعل الله فيه ويقيض الله تعالى له من يطعمه ويسقيه كيف شا ولحب وهذا
لعمري فنا لانه فني عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله تعالى فيفنا وفعل غير
الله عز وجل والفناء الباطن ان يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة
اثار عظمة الذات فيستولي علي باطنه امر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس
وليس من ضرورة الفنا ان يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس
لبعض الاشخاص قال الشيخ سالت الشيخ ابا محمد بن عبد البصري هل
يكون بقا التعلقات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفي وكان
عندي ان ذلك منه فقال لي هذا يكون في مقام الفنا ولم يذكر انه من الشرك
الخفي ام لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار انه كان في الصلاة فوقعت اسطوانة
في الجامع انزعج لها اهل السوق فدخلوا المسجد فراوه في الصلاة ولم يحس
بالاسطوانة ووقوعها وهذا هو الاستغراق والفنا باطنا ثم قد يتسع وعاوه
حتى لعله يكون متحققا بالفنا ولا يغيب عن كل قول وفعل ويكون ما يجري
من قول او فعل يرجعه الى الله تعالى وينتظر الاذن في تقلبات امور ليكون
في الاشيا بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب
الانتظار لاذن الحق في تقلبات اموره راجع الى الله بباطنه في حركاته فان
ومن ملكه الله تعالى اختياره واطلقه في التصرف يختار كيف شا واراد لا
منتظر للفعل ولا للاذن فهو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق
ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق والفنا الظاهر لارباب القلوب

والاحوال

والاحوال والباطن لمن اطلق عن وثاق الاحوال وصار بالله لا بالاحوال وخرج
عن القلب وصار مع مقلبه لا مع تقلبه

الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم

شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال

روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من معادن التقوى تعلمك الى ما قد علمت
علم ما لم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزاد فيه وانما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم لقلة
الانتفاع بما قد علم فمشايخ الصوفية احكموا اساس التقوى فتعلموا العلم لله
وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرايب العلوم
ودقايق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرايب العلوم وعجايب
الاسرار ومن شيع قدمهم في العلم قال ابو سعيد الخراز اول الفهم لكلام الله
تعالى العمل به لان فيه الفهم والعلم والاستنباط واول الفهم القاء السمع
والمشاهدة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد وقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا العلما بالله فاذا انطقوا به لا ينكره الا العزة بالله
وقال الخراز للعارفين خزاين اودعوها علوما غريبة وانبا عجيبة يتكلمون
فيها بلسان الابدية ويخبرون عنها بعبارة الازلية وهو من العلم المجهول
فقوله بلسان الابدية وعبارة الازلية اشارة الى انهم بالفهم ينطقون ومنه
الحديث في نطق وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى في حق الخضر عليه السلام
وعلمناه من لدنا علما فمما نذكره الشي من الكلمات يفهم البعض عن
البعض واشارة الى احوال الجارية ومعاملة قلبية يعرفونها فمن قولهم الجمع

والتفرقة قيل اصل الجمع قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق
فقال والملائكة واولوا العلم وقال تعالى آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما
انزل الينا والجمع اصل والتفرقة فرع وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا
جمع تعطيل قال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة
وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق
فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة والعبارات في ذلك
كثيرة والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وبالتفرقة الى الاكتساب
فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون بذلك اشتمال
مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شيء من عمله عاد الى التفرقة فصحة الجمع
بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله
والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا وقد غلط قوم وادعوا انهم في
عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما
الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلا بد
من الجمع والتفرقة قال الواسطي اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت
الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت فان بلا جمع ولا تفرقة وقد
يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا اثبت لنفسه كسبا ونظر الى اعماله فهو في
التفرقة واذا اثبت الاشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات يعني ان الكون
يفرق والمكون يجمع فمن افرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية
والجمع توحيد فاذا اثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا اثبتها بالله جمع

واذا اتفق

واذا اتفق بالفنا فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال رؤية الافعال تفرقة
ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع سئل بعضهم عن حال
موسى عليه السلام في وقت الكلام قال افنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى
خبر من موسى ثم كلمه فكان الكليم والمكلم هو وكيف كان موسى يطيق حمل
الخطاب ورد الجواب لولا اياه مع معنى هذا ان الله تعالى منحه قوة ملك القوة
سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم انشد القائل مهلا

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تالق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع اركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا اليه ورده اشجانه
فالوجد ما اشتملت عليه ضلاعه ... والما ما سحت به اجفانه

ومنها قولهم التجلي والاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب
وتذويب فالتاديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلي
والتذويب للاولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات ان الاستتار والتجلي
راجع الى ظهور صفات النفس ومنها الاستتار وهو الاشارة الى غيبة
صفات النفس بكمال ظهور صفات القلب ومنها التجلي ثم التجلي قد يكون
بطريق الافعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق
تعالى ابقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم وللعوام فاما لهم فلانهم به
يرجعون الى مصالح النفوس واما للعوام فلانهم لولا موضع الاستتار لم ينتفع
بهم لاشتغالهم في جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار قال بعضهم علامة

تجلي الحق للاسرار وهو ان لا تشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم
من غير او رخيم فهو حاضر استدلال لا ناظر اجلال ومنها التجريد والتفريد
اشارة منهم في التجريد والتفريد ان العبد يتجرد عن الاعواض فيما يفعله لا ياتي
بما ياتي به نظرا الى الاعواض في الدنيا والاخرة بل ما كوشف به من حق العظمة
يؤديه حسب جهله عبودية وانقيادا والتفريد ان لا يرى نفسه فيما ياتي
به بل يرى منة الله عليه فالتجريد ينفي الاغيار والتفريد ينفي نفسه ومنها
الوجد والوجود الوجد ما يرد على الباطن من الله تعالى يكسبه فرحا او حزنا
ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرحة يجدها المغلوب عليه
بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر
والتفكر والوجود اتساع فرحة الوجد بالخروج الى فضا الوجدان فلا وجد
مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت
بثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربني وجدي فاقعدني عن رؤية الوجد من في الوجد موجود
والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

ومنها الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة
كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفي سريعا والغلبة
تبقي للاسرار مديحا ومنها المسامرة وهي بعز الارواح بخفي مناجاتها
ولطيف مناغاتها في ستر السر بلطف ادراكها القلب لتفرد الروح بها
وتلذذها بها دون القلب ومنها السكر والصحو السكر استيلا

سلطان

سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال قال محمد
ابن خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال
الواسطي مقامات الواجد اربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن
سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج ومن بقي عليه اثر من
شربان الحال فيه فعليه اثر من السكر ومن عاد كل شي منه الى مستقره فهو
صاحي فالسكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب
ومنها المحو والاثبات المحو محو رسوم الاعمال بنظر الفنا نفسه وصفاته
والاثبات اثباتها بما انشا الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه باثبات
الحق اياه مستانفا بعد ان محاه عن اوصافه قال ابن عطا يمحو
اوصافهم ويثبت اسرارهم ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان عن نظر واستدلال وعين اليقين ما كان عن كسوف
ونوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود
رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو
العلم الذي اودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما
بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة
ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين قال الجنيد حق اليقين ما يتحقق
العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان
ويحكم على الغيب ويخبر عنه بالصدق كما اخبر الصديق رضي الله عنه حين قال
لما قال حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لعيالك قال الله ورسوله

وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم
علم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الانبيا وحق اليقين للأنبيا وحقيقة
حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الوقت
والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب ما على العبد وقته فإنه كالسيف
يمضي الوقت بحكمه وينقطع وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه
فيتصرف فيه فيكون بحكمه فيقال فلان بحكم الوقت يعني مأخوذ عن ما منه
بما للحق ومنها الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقد ينعت
المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود والرعاية
فهو حاضر فإذا افتقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو
غائب وقد يعنون بالغيبة الغيبة على الأشيا بالحق فيطلقون على هذا
المعنى حاصل ذلك راجع إلى مقام الفناء ومنها الذوق والشرب
والري فالذوق إيمان والشرب علم والري حال فالذوق لأرباب
البواده والبوادي والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع والري
لأرباب الأحوال وهي أن الأحوال هي التي تستقر فما لم يستقر فليس بحال
وإنما هو لوامع وطوالع وقيل الحال لا يستقر لأنها تحول فإذا استقرت
صارت مقاما ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فالمحاضرة
لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما الا ان
تستقر المشاهدة فالمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة
لأهل الحق أي حق اليقين وعلمه وعينه ومنها الطوارق والبوادي

والبادة

والبادة والواقع والفاتح والطوالع واللوامع واللوائح وهذه كلها ألفاظ
متقاربة المعنى ويمكن بسط القول ويكون حاصل ذلك راجع إلى معنى
واحد بكثرة العبارة بلا فائدة فيه والمقصود أن هذه الأسما مبادي الحال
ومقدماته وإذا صح استوعب هذه الأسما كلها ومعانيها ومنها التلوين
والتمكين فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب والقلوب
تخلص إلى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها تظهر لأرباب القلوب
بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز القلوب وأربابها عن عالم
الصفات وأما أرباب التمكين خرجوا من مشائم الأحوال وخرقوا
حجب القلوب وباشر أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين
لعدم التعيين في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات
فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلي الذات ارتفع عنهم
التلوين فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب
لوضوح طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج
صاحبه من حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس لبقايا رسم الإنسانية
وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس يعني بالتمكين
أن لا يكون للعبد تغير لأنه بشر وإنما يعني به أن ما كوشف به من
الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص
الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه ويغيب عنه الحقيقة في بعض
الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال

ومنها التفتيش ويقال التفتيش للمنتهي والوقف للمبتدي والحال للمتوسط
وحكاية اشارتهم الى ان المبتدي بطريقة من الله طارق لا يستقر والمتوسط
صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهي صاحب نفس يتمكن من الحال لا ينتاب
عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بانفاسه مقيمة
لا متناوبة عليه هذه كلها احوال الارباب ولهم منها ذوق وشرب نفعنا
الله ببركات انفاسهم واسرارهم وحشرنا في زمرتهم

ذكر شيء من البدايات

الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه النية اول العمل وبحسنها
يكون العمل واهم ما للمريد في ابتداء امره ان يدخل طريق الصوفية ويتبرك
بهم ويعاشر طائفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته
وقد ورد المهاجر من هجر ما نهاه الله تعالى عنه وقد قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
فالمريد ينبغي ان يخرج الى الطريق القويم لله تعالى فان وصل النهايات فقد
لحق بالمنزل وان ادركه الموت في الطريق فقد وقع اجره على الله وكل من
كانت بدايته احكم كانت نهايته اتم قال الجنيد اكثر العوايق والموانع
من فساد الابتداء فالمريد يحتاج في مباديه الى احكام النية وذلك بتنزيهها
من دواعي الهوى وحظوظ النفس حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى

كتب سالم

١٦٨

كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم الى عمر بن عبد العزيز اعلم
يا عمر ان عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت
نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك وكتب بعض الصالحين الى اخ له
اخلص النية في اعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد الى حسن النية
فليصحب من يعلمه حسن النية قال سهل بن عبد الله التستري
رضي الله عنه اول ما يؤمر به المريد في مبادي امره التبري من الحركات
المذمومة ثم التنقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد لامر الله تعالى ثم التوقف
في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم
الموالاة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم من
الله تعالى بعد هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله تعالى مقام المتبري
من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام قلت هذا من
كلام سهل جمع فيه بين البداية والنهاية ومتى تمسك المريد بالصدق
والاخلاص بلغ به مبلغ الرجال وكمال تحققهما له بشيئين متابعة امر
الشرع وقطع النظر الى الخلق فكل الافات دخلت على البدايات بموضع
نظرهم الى الخلق روي في حديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يكمل ايمان
المرء حتى يكون الخلق عنده كالاباعر اشارة الى قطع النظر اليهم والخروج
عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الصدق يهدي الى البر وقد قال بعضهم
من احب ان يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فلا بد للمريد من
الخروج من المال والجاه والخروج من الخلق بقطع النظر اليهم الى ان يحكم اساسه

الكلام

فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس فما نفع شيء للمريد معرفة النفس
او لا يقوم بذلك من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات او عليه
من الهوى بقية، قال زيد بن اسلم رضي الله عنه خصلتان هما كل البركة
تصبح لا تهم لله بمعصية وتمسي لا تهم لله بمعصية واذا احكم الزاهد التقوى
انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها
ودسائسها وتلبيسها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى،
قال ذو النون رضي الله عنه لله تعالى في ارضه سيف ما وضع على شيء الا
قطعه وهو الصدق، ونقل في معنى الصدق ان عابدا من بني اسرائيل
راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلا فلما انطلق ثم صعد
اعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فاوحى الله تعالى الى ملك الهوى الزم عبدي
فلزمه ووضعه على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس الا اغويته فقال
وكيف لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله عز وجل، وينبغي
للمريد ان تكون له نية في كل شيء لله تعالى حتى في اكله وشربه ولبسه فلا ياكل
ولا يشرب ولا يلبس ولا ينام الا لله تعالى لان هذا كله ارفاق يدخله على
النفس لتخف الى طاعة الله تعالى تستعين به على الطاعة واذا دخله
عليها الا بنية صالحة صار ذلك وبالا عليها، وقد ورد في الخبر من تطيب
لله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب
لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة، وقيل كان انس
رضي الله عنه يقول طيبوا كفي بمسك فان ثابتا البناني يصافحني ويقبل يدي

وقد كانوا

وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك الى الله تعالى بثيابهم فالمريد
ينبغي ان يتفقد جميع اقواله وافعاله ولا يسامح نفسه ان يتحرك بحركة او
يتكلم بكلمة الا لله تعالى، وقد راينا من اصحاب شيخنا من كان ينوي عند كل
لقمة ويقول بلسانه اكل هذه اللقمة لله تعالى ولا ينفع القول اذا لم يكن
النية في القلب لانها عمل القلب وانما اللسان ترجمان، ونادى رجل امراته
وكان يسرح شعره فقال هاتي المدرا اراد الميل ليفرق شعره فقالت له امراته
اجي بالمراة فسكت ساعة ثم قال نعم فقال له من سمعه سكت عن المراة فقال
اني قلت لها هاتي المدرا بنية فلما قالت المراة لم يكن لي في المراة نية
فوقفت حتى هيا الله نية فقلت نعم، وكل مبتدي لا يحكم اساس بدايته
بمهاجرة الالاف والاصدقا والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته
قد يخلص من قلة الصدق كثرة الخلطاء وانفع ما له لزوم الصمت وان لا
يطرق سمعه كلام الناس فان باطنه يتغير ويتاثر بالاحوال المختلفة وكل
من لا يعلم كمال زهده في الدنيا وتمسكه بحقائق التقوى لا ينتفع به ابدا
فان معرفته لا يفتح عليه خيرا وبواطن المبتدين كالشمع ينطبع بها كل
نقش وربما تضرر المبتدي بمجرد النظر الى الناس ويستبصر بفضول النظر
ايضا وبفضول المشي فيقف على حد الضرورة في الاشيا كلها فينظر ضرورة
حتى اذا مشى في الطريق يجتهد ان يكون نظره في الطريق الذي يسلكه لا
يلتفت يمينا ولا شمالا لانه يبغي موضع نظر الناس اليه واحتسابهم منه بالرعاية
والاحتراز فاذا علم الناس منه بذلك اعرض عليه من فعله ولا يخفف فضول المشي

فان كل شي من قول او فعل او نظر او سماع خرج عن حد الضرورة جر الى الفضول
ثم يجر الى تضييع الاصول وكل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل
لا يقدر ان يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى
الضرورة تداعت عزائمه فتلبد واغلقت شيئا فشيئا قال سهل من لم
يعبد الله تعالى اختيارا عبد الخلق اضطرارا او يفتح على العبد ابواب الرخص
والاتساع وهلك مع الهالكين ولا ينبغي للمبتدي ان يتعرف احدا من ابناء
الدنيا فان معرفته لهم سم قاتل وقد ورد الدنيا مبغوضة الله تعالى فمن
تمسك بحبل منها فادته الى النار وصاحبها ابناؤها وطلابها ومحبوها فمن عز منهم
انجذب اليها شيئا فشيئا واياه يحترز المبتدي من مجالسة الفقراء الذين لا يقومون
بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم شر مما يدخل عليه من مجالسة
ابناء الدنيا وربما يشيرون الى ان الاعمال شغل المتعبدين وان ارباب الاحوال
ارتفعوا عن ذلك وان الفقير ينبغي له ان يقتصر على الفرائض وصوم رمضان
فحسب فلا ينبغي ان يدخل هذا الكلام في سمعه اصلا فانا جربنا ومارسنا الامور
كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا القائلين بهذا القصور مع صحة احوالهم
وعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك تثبت قدمه في البداية
ويراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشي من احوال نفسه
ومآربها ويبكر الى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وان اغتسل
قريبا من الصلاة اذا امكنه ذلك فحسن ويخدم بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة
وانواع الاذكار من غير فتور الى ان يصلي الجمعة ويجلس معتكفا في الجامع الى

ان يصلي العصر

ان يصلي العصر ويشتغل بقية النهار بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فانه يجد بركة ذلك في جميع اسبوعه وقد كان بعض
العارفين يضبط جميع اقواله وافعاله جميع الاسبوع حتى يجد ثمرة ذلك
يوم الجمعة لانه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة محكا
يعتبر به سائر الاسبوع الذي مضى فانه اذا كان الاسبوع سالما يكون يوم
الجمعة فيه مزيد الانوار والبركات وما يجد من الظلمة والوحشة وتشويش النفس
وقلة الانشراح فلما ضيع في الاسبوع يعرف ذلك ويعتبره وينبغي جدا ان
لا يلبس للناس الارفع من الثياب او ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد
ففي لبس الارفع للناس هوى وفي لبس الخشن رياء فلا يلبس الا لله
بلغنا ان شقيق رضي الله عنه لبس ثوبا مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع
النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم ان يقلع ويغير ثم استدرك فقال
لا البسته الا لله تعالى فلا اغيره فالبسته لله لا للناس وقد تقدمت
هذه الحكاية فليعمل العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتدي ان يكون له
حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن جميعه الى السبع الى
الثلث الى اكثر ولا يصغي الى قول من يقول بملازمة ذكر واحد افضل من
تلاوة القرآن فانه يجد بالقرآن وتلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة ما يتمنى
من كنوز الله تعالى وانما اختار بعض المشايخ ان يديم المريد ذكرا واحدا
ليجتمع الهم ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة يغنيه او في
مما يغنيه الذكر الواحد فاذا استانس صانع النفس بالذكر صانعه ونزل

من التلاوة اليه فانه اخف على النفس والاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة
وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل
ناقص ولا يحضر الوسواس وحديث النفس فانه مضر وداء عضال فينبغي للطالب
نفسه ان يصير في تلاوته منصورا معنى القرآن مكان حديث النفس من
باطنه كما ان اللسان مشغول بالتلاوة لا يمتزجها كلام آخر كذلك يكون معنى
القرآن في القلب لا يمتزجه حديث النفس وان كان اعجميا لا يعلم معنى القرآن
تكون المراقبة حلية باطنه فيشتغل باطنه بمطالعة نظر الله تعالى مكان
حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من ارباب المشاهدة فليتمسك
المريد بهذه الاصول وينبغي بدوام الافتقار الى الله تعالى والالتجا اليه
ليتم لك بنية قدمه ودوام الافتقار الى الله تعالى اصل كل خير ومفتاح كل
علم وتحقق في طريق القوم وهذا الافتقار مع الانفاس لا يستتم حركة ولا
يشتغل بكلمة دون الله تعالى ودون الافتقار اليه فيها وكل كلمة
وحركة خلت عن مراجعة الله تعالى والافتقار اليه فيها لا يعقب خيرا
قطعا علمنا ذلك وحققناه، قال سهل من اشتغل من نفسه الى نفسه
من غير ذكر الله تعالى فقد ضيع حاله وادنى ما يدخل على من ضيع حاله
دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه، وبلغنا ان حسان بن سنان
قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع الى نفسه وقال ما لي ولهذا السؤال
وما هذه كلمة لا تعنيني وهل هذا الا اشتغال بنفسي ثم آلى على
نفسه ان يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة ثم صامها فبالصدق نالوا ما نالوا

ودنوه

ودنوه الجزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا من ما يطول شرحه لو اردناه فالمبتدي
صادق والمنتهي صديق، قال ابو سعيد القرشي الصادق الذي ظاهره مستقيم
وباطنه يميل احيانا الى حظ النفس وعلامته ان يجد الحلاوة في بعض الطاعة
ولا يجد في البعض، واذا اشتغل بالذكر يتنور الروح واذا اشتغل بحظوظ
النفس يحجب عن الاذكار والصديق الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد
الله تعالى بتلوين الاحوال لا تحجبه عن الله تعالى وعن ذكره اكل ولا نوم
ولا شرب ولا طعام والصديق مريد بنفسه لله عز وجل واقرب الاحوال
الى النبوة الصديقية، قال ابو يزيد نهايات الصديقين اول درجات الانبياء
واعلم ان ارباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله عز وجل وارواحهم
خلصت من ظلمة النفوس ووطيت بساط القرب ونفوسهم منقادة
مطاوعة صالحة للقلوب مجيبة الى كل ما يجيب القلوب اليه وارواحهم
متعلقة بالمقام الاعلى انطفت فيهم نيران الهوى وتحقق في بواطنهم صريح
العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق
ابي بكر رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى
ابي بكر رضي الله عنه اشارة منه الى ما كوشف به من صريح العلم الذي لا
يصل اليه عوام المؤمنين الا بعد الموت حيث قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد، فارباب النهايات ماتت اهويتهم
وخلصت ارواحهم، قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن العارف فقال رجل
معهم باين منهم وقال مرة عبد كان فبان فارباب النهايات هم عند الله تعالى



تحقيقهم يعوقهم بتوقيت الاجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه
بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب اهل الارادة علامتهم بل نظرهم دواظاهرهم
محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم قال ذو النون علامة العارف
ثلاث لا يطفي نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا ينقض عليه ظاهرا من
الحكمة ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك استار الله تعالى
ومحارمه فارباب النهايات كلما ازداد رفعة ازدادوا عبودية وكلما
ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة اذلة على المومنين اعزة على
الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم
شكرا صافيا نقيا ولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لانها معهم كالطفل
الذي يلاطف بالشي لانه ههنا رحمة الشباشة مرحوم ملطوف به وتارة
يمنعونها الشهوات تاسيا بالانبيا عليهم الصلاة والسلام واختيارهم التقلل
من شهوات الدنيا قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الدنيا عروس وطالبها
ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثيابها والعارف
مشتغل بسيده لا يلتفت اليها فاعلم ان المنتهي مع كمال حاله لا يستغني
عن سياسة النفس ومنعها الشهوات واخذ الحظ من نوافل الصيام
والقيام وانواع البر وقد غلط في هذا قوم وقالوا المنتهي استغنى عن الزيادات
والنوافل ولا يضره الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات وهذا خطا من
حيث انه يحجب العارف عن معرفته بذلك ولكن يوقف عن مقام المريد
نعقوبهم لما راوا ان هذه الاشيا لا يوثر فيهم قوة ولا تورثهم محبة ركنوا اليها

واسترسلوا

واسترسلوا فيها وتمتعوا باداء الفرايض واتسعوا في الماكل والمشارب
وهذا الانبساط منهم نقيه من تنكر الاحوال وتقيد بنور الحال وعدم التخلص
بالكلية الى نور الحق ومن تخلص من نور الحال الى نور الحق ذهبت عنه بقايا
السكر ويقف نفسه مقام العبيد كاحاد عوام المومنين يتقرب بالصلاة
والصوم وانواع البر حتى باماطة الاذى عن الطريق ولا يستكثر ولا
يستنكف ان يعود في صور عوام المومنين من اظهار المبادرة بكل بر وصلة
ويتناول الشهوات تارة رفقا بالنفس المطهرة المزكاة لتنقاد المطاوعة
لانها استترت ويمنعها الشهوات وقتا لان في ذلك صلاحها واعتبر هذا
بحال الصبي سواء فانه اذا جاوز حد الاعتدال من اعطاء المراد وقتا ومنعه
وقتا فسد طبعه لان الحيلة لابد من دفعها بسياسة العلم وما دامت
الحيلة باقية لابد من سياسة العلم وهذا باب غامض دخل على المتهبين
من ذلك دواخل ووقع الركون والمستند باب المريد والمنتهي يملك ناصية
الاختيار في الاخذ والترك فلابد له من اخذ وترك في الاعمال والحظوظ
فتارة ياتي بالعمل وتارة يترك النافلة رفقا بالنفس وتارة ياخذ الحظ من
الشهوة رفقا بها وتارة يتركها افتقادا لها لحسن السياسة وهو في ذلك
كله مختار ومن شاهد ترك الحظ بالكلية فهو زاهد ومن استرسل في
تناوله بالكلية فهو راغب والمنتهي شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال
واقف على الصراط بين التفريط والافراط لا يتقيد بالاخذ ولا بالترك واختياره
من اختيار الله تعالى وهكذا نقله ياتي به وقتا ويتمتع به النفس وقتا وهو

يختار في ذلك وهذا هو الصحيح فإن النهاية مضارعة حال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهكذا كان يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر
ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال رجل إني
عزمت أن لا آكل اللحم قال لا آكل اللحم فأنا آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربي أن
يطعمنيه في كل يوم لأطعمني وهذا يدلك على أنه صلى الله عليه وسلم كان يختار
في ذلك أن يتناول وأن يتناول الأكل وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل
لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشرعا وهذا الذي قالوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به
جهل محض فإن الرخصة الموقوفة على حد قوله والعزيمة التأسي بفعله فقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفعله لأرباب العزائم ثم إن
المنتهي يحاكي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاية الخلق إلى الحق
فينبغي أن يعتمد فعله أيضا ثم إن قيامه صلى الله عليه وسلم وصيامه لا
يخلو إما أن يكون فعله ليقتدى به وإما أن يكون لمزيد يحصل له بذلك فإن
كان ليقتدى به فالمنتهي أيضا يقتدى به والصحيح الحق أنه ما كان صلى الله
عليه وسلم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يحصل له بذلك زيادة وهو ما ذكرناه
من تهذيب الجبلة قال تعالى خطابا له واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
لأن بذلك يستمد من الحضرة الإلهية ويقرع باب الكريم وهو صلى الله عليه وسلم
مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن فكيف بغيره لم يتعلق بالزيادات
واسترسل في الشهوات فإذا ذلك بدلا له محض النفس ومن أعطى الاعتدال

حقه

حقه من ذلك فقد أيد بنور الحكمة فصل الحمد من الفضل حاجة العارفين
إلى ما دائما فإن حاجتهم إلى الفضلة التي حملت بها المحاسن كلها ألا وهي
الاستقامة فكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فالاستقامة
أرباب النهاية على التمام والعبد في الابتداء مأخوذ بالأعمال محجوب عن الأحوال
وفي التوسط محظوظ بالأحوال وقد يحجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا تحجبه
الأحوال عن الأعمال ولا الأعمال عن الأحوال وذلك الفضل العظيم سئل
الجنيد رضي الله عنه عن النهاية فقال الرجوع إلى البداية ومعناه عند بعضهم
أنه كان في ابتداء أمره محجوبا جهل ثم وصل إلى المعرفة ثم رد إلى التحير والجهل
وهو كالمقول فيه يكون جهل ثم علم ثم جهل قال تعالى لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا قال بعضهم أعرف الخلق بالله تعالى أشدهم تحيرا فيه ويجوز
أن يكون معنى ذلك كما ذكرناه أنه مبادي الأعمال ثم ترقى إلى الأحوال ثم
جمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون المنتهي الوارد المأخوذ في طريق
المحبين يجذب روحه إلى الحضرة الإلهية ويستتبع القلب والقلب
يستتبع النفس والنفس يستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله
ساجدا بين يدي الله عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم سجد لك سوادي
وخيالي وقال عز وجل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالغدو والآصال والظلال القوالب فيسجد لسجود الأرواح فعند
ذلك يسري روح المحبة في جميع أجزائهم وأبعاضهم فيتلذذون ويستعذبون
بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم الله تعالى ويحببهم إلى خلقه

نعمة منه وفضلا قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا نادى يا جبريل
ان الله قد احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل عليه الصلاة والسلام
في السما ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ويوضع له القبول في الارض

قال مختصره الامام شهاب الدين احمد بن عبد الله
الطبري رحمة الله عليه فرغت منه خامس شوال
سنة ستين وستمايه والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة في اخر نهار الاحد الحادي عشر من شهر
ذي القعدة الحرام احد شهور سنة اربع وسبعين وثمانمايه بمكة المشرفة
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله
مما من الله به على عبده
محمد بن محمد بن محمد [illegible]
السقاف العلوي
عفا الله عنهم
امين

٧٣

